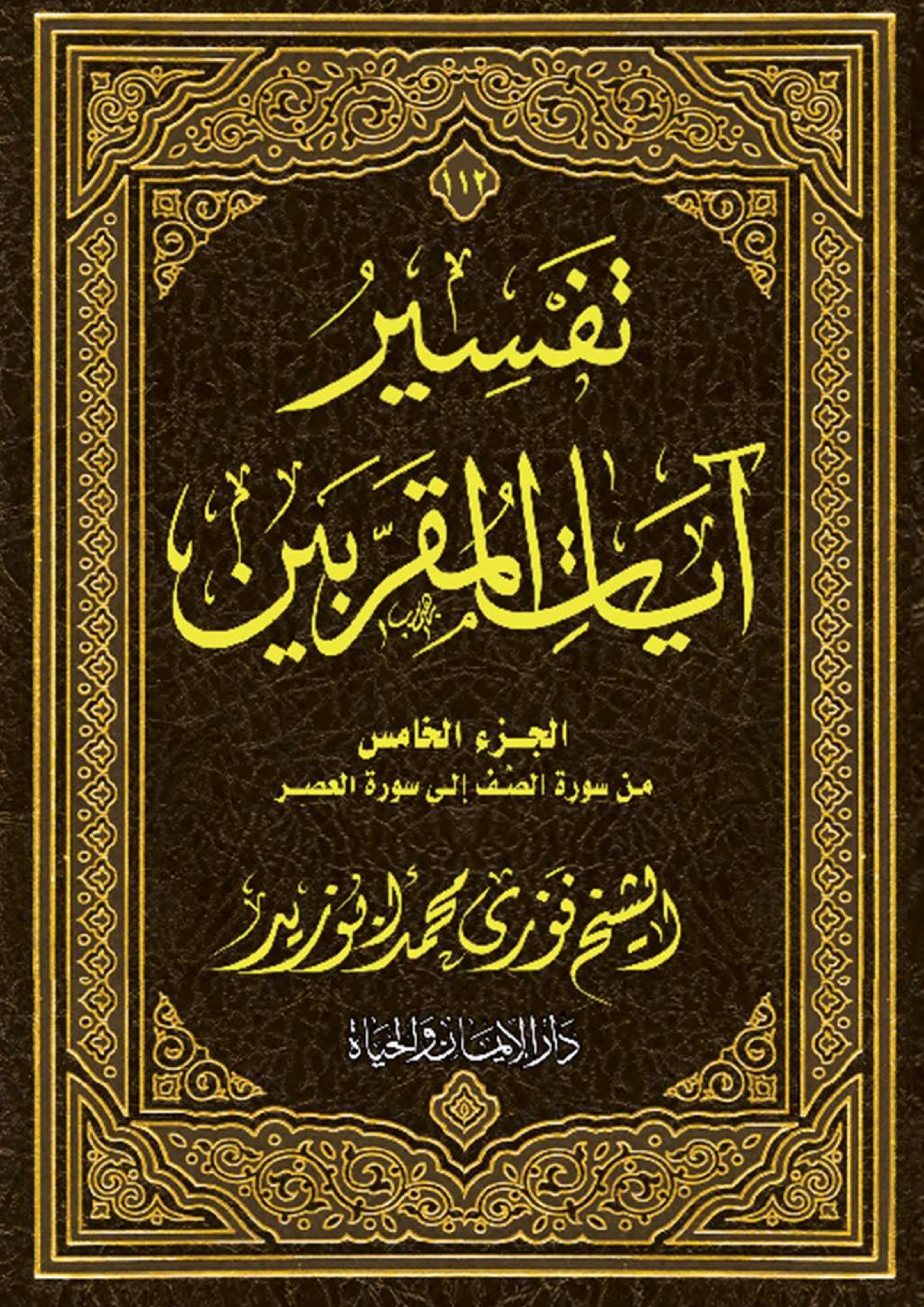


١١٢
تفسير
آيات المقربين
الجزء الخامس
من سورة الصف إلى سورة العصر
الشيخ فوزي محمد أبو زيد
دار الإيمان والحياة

(112)



بسم الله الرحمن الرحيم

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it.
[75:19]

الكتاب	تفسير آيات المقربين – جزء 5
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	18 رجب 1440هـ 25 مارس 2019م
كتاب رقم	المائة والثاني عشر من المطبوع
سلسلة	تفسير القرآن الكريم، الكتاب الثانى عشر
الداخلى	304 ص*80جم /17*24سم، 1 لون واحد
الغلاف	كوشيه مط*350 جم*4 لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، 114 ش 105 ، المعادى، القاهرة، ت: 0020-2-25252140، ف: 0020-2-25261618
إيداع محلى	2019/7402
ترقيم دولى	978-977-9062-358
باركود	07402 9 789779 062358
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

dddddddddddddddddd

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منزل القرآن على رسوله الذي علمه البيان سيدنا محمد وآله نجوم الهدى والعيان وأصحابه أهل الضيا والنور والإيقان ...

اختار الله تبارك وتعالى لنا في لقاءاتنا الدينية في كافة البلاد التى ننزلها أن يبدأ اللقاء بعد صلاة المغرب أو العشاء، ويكون بتلاوة آيات يختارها القارئ من القرآن الكريم ثم نقوم بشرحها وتفسيرها وأخذ العظة البالغة منها على حسب ثقافة وأذواق السامعين، وقد جمع الأحباب قبساً من هذه الآيات في جزئين كبيرين هما (نفحات من نور القرآن) الجزء الأول والثاني، وقد تم طباعتهما.

ورأينا بعد ذلك أن نختار موضوعات محددة ونتتبعها في آيات القرآن الكريم شارحين ومفسرين مع ربط الآيات ببعضها بموضوعها في تسلسل قويم ..

وبدأنا في ذلك بآيات المناسبات الدينية، والتى تمر بالمسلمين طول العام كالإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وشهر رمضان بما فيه من آيات الصيام ويوم بدر ويوم الفتح وليلة القدر وعيد الفطر، وكذلك يوم عرفة والحج والأضحية وعيد الأضحى، بالإضافة إلى يوم عاشوراء، وذكرى الهجرة النبوية الشريفة، هذا بالإضافة إلى ذكرى المولد النبوي الشريف، وقد تم طبعها في كتاب (تفسير آيات المناسبات).

ثم جمعنا الآيات المتعلقة بالأدب مع الحضرة المحمدية وطبعناها في كتاب سميناه (الآداب القرآنية مع خير البرية)، ثم كانت الإشارة لجمع الآيات التى تتحدث عن المقربين وأوصافهم وفتوحاتهم وجزاؤهم عند الله في الآخرة وفي الجنة، وقد طبعنا منه أربعة أجزاء ضخمة وأنهينا اليوم هذا الجزء وهو الخامس والأخير ليتم طباعته لتكتمل أجزاء كتاب (تفسير آيات المقربين).

وهذه المعالجة للآيات القرآنية تعد في باب التفسير من التفسير الموضوعي الذي يراعي حديث القرآن المتعدد عن موضوع واحد في كل آيات كتاب الله وقد اخترنا هذا المنهج في التفسير لملاءمته للحياة العصرية ومناهج العلوم الحديثة، وكذلك لتركيز أذهان السامعين والمتابعين وعدم تشتيت أذهانهم في التنقل بين كثير من الموضوعات، خاصة في هذا العصر الذي تشتت فيه الأذهان نظراً لكثرة المشاغل الدنيوية وتعدد الأحداث الكونية وازدحام المشاكل والهموم العائلية.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل في هذا الكتاب الخير والنفع والنور والهدى؛ لمن قرأه أو سمعه، وأن يجعل فيه الأجر الكريم والثواب العظيم .... لكل من سجَّله، أو فرّغه، أو كتبه، أو طبعه ونشره.

﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

اليوم الجمعة غرة شهر رجب 1440هـ

الموافق 8 من مارس 2019

فوزي محمد أبوزيد

البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون : 0020-40-4340519

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾

(الصف)

1.تجارة لن تبور [1]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بيده وحده مفاتيح القلوب، وهو الذي يُشـرق فيها بنوره الموهوب من حضـرات الغيوب، حتى يكون العبد في الدنيا مؤمناً بالله، مصـدقاً بحبيبه ومصطفاه، متصلاً نور قلبه بنور مولاه، ونور حبيبه ومصطفاه، ونور كتاب الله جل في عُلاه، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا هداه، ووفقنا أجمعين للإتصال بنوره قلبياً والاقتداء به ظاهرياً في هذه الحياة، واجمعنا جميعاً على حوضه الميمون، واجعلنا ممن يشـرب بيمينه الشـريفة كأساً مليئةً هنيةً لا نظمأ بعدها أبداً، وتجلَّى علينا يا متجلي وانظر إلينا نظر عطف وحنان، واجعلنا من أهل المساكن المجاورة لحضـرته في الجنان، حتى نكون دائماً وأبداً في منازل الرضـوان نتمتع بجوار النبي العدنان، ونتنعَّم بالنظر إلى وجه حضـرة الرحمن أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

هذه الآيات تدل على المكانة العُظمى للمؤمنين عند رب العالمين، فبمجرد ما يتمنى أمراً يجد الله ﷻ يُلبي طلبه ويُحقق رجاءه.

---

1 سوهاج – جرجا - مسجد الرحمن الرحيم بقرية بيت داود 9 من صفر 1440هـ 2018/10/18م

أسباب النزول

ذُكر في أسباب نزول هذه الآيات أن نفراً من أصحاب حضرة النبي ﷺ ورضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، قالوا: يا رســول الله لو يُخبرنا الله تعالى بأحب عمل إليه لســارعنا إلى تنفيذه، أُمنية يتمنَّوها، فاســتجاب الله ﷻ لهذه الأُمنية، ونزَّل هذه الآيات القرآنية.

وكان أبرز هؤلاء سيدنا عثمان بن مظعون رضــي الله تبارك وتعالى عنه، وقد كان مأخوذاً بالكلية في الحضــرة الإلهية - كمن نسـميه بالمجذوب في زماننا - وكان قريباً من حضـــرة النبي ﷺ على الدوام، وورد أنه قال لرســول الله ﷺ: لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصــيت وحرَّمت اللحم ولا أنام بليل أبدًا ولا أفطر بنهار أبدًا! فقال رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ سُـــنَّتِي النِكَـاحُ، وَلا رَهْبَـانِيَّـةَ فِي الإِسْـــلام إِنَّمَـا رَهْبَـانِيَّـة أُمَّتِي الجِهَـاد فِي سَـــبِيـلِ الله، وخِصَـــــاءُ أُمَّتِي الصَّـــوم، ولا تُحَرِّمُوا طَيِّبَـاتِ مَـا أَحَـلَّ الله لَكُم، ومِنْ سُـــنَّتِي أَنَـامُ وَأَقُومُ، وأَفْطُرُ وأَصُـــومُ، فَمَن رَغِـبَ عَنْ سُـــنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، فقال عثمان: والله لَوَدَدْتُ يَا نَبِيَّ الله؛ أَيُّ التِجَارَاتِ أَحَبُّ إِلَى الله فَـأَتْجُر فِيهَـا؟ فنزلـت: ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آَمَنُوا هَـلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَـارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الآيات }[2]

---

2 ورد في تفسير القرطبي عن مقاتل وفى حاشية الصاوى على تفسير الجلالين عن بن مظعون، أنه قال لرسول الله: لو أذنت لي فطلقت خولة وئر هبت و اختصيت و حرمت اللحم ولا أنام الليل أبداً ولا أفطر النهار أبداً فقال: (الحديث).

نزل الجواب في الكتاب من خزائن الكريم الوهاب تبارك وتعالى له، وللصحابة وأهل العصر، وللمؤمنين أجمعين إلى يوم الدين، جواب عام لكل المؤمنين بالله تبارك وتعالى في كل وقت وحين.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ :

عندما نسمع الخطاب نجد الذوق الرفيع من الكريم الوهاب في معاملة المؤمنين، فهذا النداء تعظيم من الله ﷻ، والنداء هنا من حبيب قريب، لمؤمن آمن بالله تبارك وتعالى وقلبه إليه قريب، نداء محبة ومودة من الله لعباده المؤمنين، بينما هو تبارك وتعالى كان ينادي على اليهود في كتابهم: (يا أيها المساكين) وهذا نداء التوراة دائماً، لكن نداءنا: ...(يا أيها الذين آمنوا).

التجارة الرابحة

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ :﴾:

نحن نفهم أن التجارة هي أموال ومقتنيات نشتري بها أي بضاعة من البضاعات، فهذه هي التجارة في مفهومنا، لكن هناك تجارة رابحة ليس فيها خسارة، وليس فيها كساد، وليس فيها أي شيء من الذي يطرأ على التجارات الدنيوية، وهي التجارة مع رب العزة تبارك وتعالى، واسمها التجارة الرابحة على الدوام.

النجاة من العذاب

ولمـاذا هـذه التجـارة؟ ﴿ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وفي قراءة أخرى: "تُنَجِّيكُمْ"

والعذاب الأليم ليس في الآخرة فقط، فأشـــدُّ العذاب الذي يكون في الدنيا، كالهم والغم والحُزن والنكد والبؤس والشـــقاء والمرض والتعب ... كل هذا نوعٌ من أنواع البلاء، وهذا يكون عذاباً لو أن صاحبه يئس من كرم الله، ولم يرض بقضاء مولاه.

لكن المؤمن الذي يرضى بقضاء الله مع أخذه بالأسباب وعدم تركها، فإن الله ﷻ يُحوِّل كل هذه العذابات إلى تكفير للسيئات، قال ﷺ:

{ أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلازِلُ وَالْقَتْلُ }[3]

جعل الله عذابها في الدنيا بالزلازل والأمراض والنكبات، لماذا؟ لأنها تُخفِّف عن الإنســان ما عليه من بلاء، وما عليه من ذنوب، وإن لم يكن عليه ذنوب فتكون له رفعة إلى المقامات العُلا في الجنة عند حضرة علام الغيوب، قال ﷺ:

{ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلا نَصَبٍ، وَلا هَمٍّ وَلا حَزَنٍ، وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ }[4]

3 سنن أبي داود والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه
4 مسند أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

لمن هذا؟ للمؤمن الذي لايَشْــكُو الله إلى خلق الله، ولا يتبرَّم ويُعلن الاعتراض على قضـــاء مولاه، ولكن - كما قلت - مع الأخذ بالأســباب التي أوجدها الله في هذه الحياة.

ولا يجوز أن نختبر رب العزة، كيف؟! يعني إنسان يمرض فيقول: إن كان كتب الله لي الشفاء بدون ذهابي إلى طبيب أو بدون أخذ الدواء فسأُشفى، فهل أنت تمتحن الله؟!! والنبي قال:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً } [5]

فلا بد من الأخذ بالأسباب، ويكون يقيني في قلبي أن الشفاء ليس من الطبيب، ولا من الدواء، وإنما من الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (80الشعراء)

وانظر إلى أدب أبو الأنبياء، لم ينسب المرض إلى الله، مع أنه لم يأت بالمرض لنفسه، ولكن نسب المرض لنفسه، لماذا؟ لأن المرض ربما لخطأ قد ارتكبته، أو لذنب فعلته، أو لغفوة غفوتُ فيها، والله يُحبني فيريد أن يُطهرني على الدوام حتى أخرج من الدنيا ولا أدخل في ديوان المحاسبة مع باقي الأنام.

5 جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك رضي الله عنه

من أسرار البلاء

فمن حب الله للمؤمنين. .. يُريد أن يخرجه من الدنيا إلى الجنة، أو إلى لقاء الله، أو إلى جوار حبيبه ومصـــطفاه، ولذلك قال الله في أغلب المؤمنين في هذا الزمان وغيره: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (10الزمر) الذي يصبر على أي أمر في الدنيا يدخل الجنة بغير حساب.

رجل من أصحاب حضرة النبي ﷺ اعتراه الخوف عند سكرات الموت، فجاءه حضرة النبي ليُبشره، فقال:

{ كَيْفَ تَجِدُكَ؟، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ: لا يَـجْـتَـمِـعَـانِ فِـي قَـلْـبِ عَـبْـدٍ فِـي مِـثْـلِ هَـذَا الْـمَـوْطِـنِ إِلا أَعْـطَـاهُ اللَّهُ مَـا يَـرْجُـو، وَآمَـنَـهُ مِـمَّـا يَـخَـافُ }[6] .... وقـال ﷺ: { الْحُمَّى كِيرٌ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ }[7]

---

6 جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه
7 شعب الإيمان للبيهقي وابن عساكر عن شمعون بن زيد رضي الله عنه

من ذاق الحمَّى مرة واحدة في الدنيا فقد قضـــى ما عليه من العذاب إن كان له عذاب في الآخرة، فيخرج من الدنيا وليس عليه شـــيء، كمن مكث في الحبس ســـتة أشهر، وبعدها صدر حُكم القاضي بسجنه ستة أشهر، فكم يوم سيسجن بعد ذلك؟ ولا يوم، لأنه قضـــى الحبس، وكذلك نفس الأمر - ولله المثل الأعلى - فالحُمَّى نصـــيب المؤمن من نار جهنم.

فإذا كان عليه ذنوب يُخففها علام الغيوب بهذا القضاء مع أنه يسبقه بجند لُطفه، ويُخففه بجوده وكرمه، ولولا جُند الُلطف الإلهي ما استطاع أحدٌ منا أن يتحمَّل شوكة إبرة، لكن اللطيف يلطف بنا قبل نزول البلاء.

فإذا لم يكن الإنسان عليه شيء، ولكن يتمنَّى منزلةً عظيمة في الجنة، وعمله لا يُوصله إليها، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ لِلإِنْسَانِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي الْجَنَّةِ، وَلا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَبْلُغُهَا، فَلا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ حَتَّى يَبْلُغَهَا } [8]

8 مسند أبي حنيفة عن عائشة رضي الله عنها

يأخذها بالبلاء الذي نزل وصـــبر عليه وتحمله في هذه الحياة الدنيا، وهذا هو السـر لأُمة المصـطفى، لأن بعض المعترضـين يقولون: كيف نكون مؤمنين ونُصـلـي ونصـوم ونحج ونعمل بما كلَّفنا به الله وعندنا فقر وعندنا أمراض وعندنا كذا وكذا؟!! والكافرين من أهل أمريكا وأوربا وغيرهم يتمتعون بخيرات وصـحة وعافية وأشـياء لا تُعد ولا تُحد؟!! مثل هذا نسي قول رسول الله ﷺ:

{ أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [9]

جائز أن أحدهم له أعمال من الخير، لكن الله يُعطيه أجره في الدنيا ليخرج من الدنيا وليس له حســنة واحدة يطالب بها رب العزة ﷻ، لأن هؤلاء أهل جهنم والعياذ بالله.

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الوقفة الماضـــية لنُريح النفوس فقط، لكثرة الشكاوى التي بين المؤمنين، وكثرة الاعتراض على أقدار رب العالمين، والتي لم نُحصِّل فيها حتى نساء الأنصار والمهاجرين.

فالمرأة التي كانت هي وزوجها وليس عندهما غير جلباب واحد، فيذهب ليُصلي مع رســول الله في الجماعة الأولى ويخرج ســريعًا ويعود لمنزله لتلبس زوجته نفس الجلباب وتُصـلي في أول الوقت، لأنهم كانوا حريصـين على الصـلاة في أول الوقت، قال ﷺ:

---

9 الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ } [10]

وسيدنا رسول الله ﷺ كان شديد الملاحظة، فلا يوجد ألمعيٌّ ولا ذكيٌّ يضاهيه ولا يشابهه، فلاحظ أن هذا الرجل يقوم بسرعة بعد انتهاء الصلاة، وهذا عمل لم يكن عليه النبي ولا أصحابه، كان لا بد بعد الصلاة أن يجلسوا قليلاً حتى يختموا الصلاة، فسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

{ كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالتَّكْبِيرِ } [11]

وفي رواية أخرى قال:

{ كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [12]

وهذا الكلام للمعترضين على ختم الصلاة جهرًا، مع أن الحديث واضح وصريح، متى يعرف أنهم أنهوا الصلاة؟ عندما يجلسون لختام الصلاة فيسمع أصواتهم عالية بالتسبيح.

وعلَّمهم النبي ﷺ هدياً كريماً كان عليه سلفنا الصالح، لكنا أهملناه، هذا الهدي الكريم أن المُصلي لا يتحرك من مكانه حتى يقوم الإمام، وهذا موجود في كتب الفقه الشرعية، طالما الإمام لا يزال في مكانه أظل جالساً، ومتى أمشي؟ إذا الإمام تحرك ومشى ... فلاحظ النبي أن هذا الرجل يخرج مسرعاً بعد الصلاة،

---

10 سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي ﷺ
11 البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
12 الدعاء للطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

فاستدعاه وسأله: وكانوا لا يكذبون، فقصَّ عليه قصته فدعا النبي ﷺ أصحابه لمساعدة أخيهم، يتبرعون له بما يستطيعون، فأبطأ الرجل وعاد لبيته، فوجد زوجته خلف الباب قلقة وضجرة، فسألته: لِمَ تأخرت،؟! فحكى لها: فقالت له: أتشكو الله ﷻ لرسوله ﷺ؟!! ما هذا الإيمان؟! هذا ما نحتاجه في هذا الزمان، مع أن الشكوى لحضرة النبي واردة في كتاب الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ (64النساء) يأتوك لك أنت، لكنها تريد استسلاماً تاماً للملك العلام.

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ يعني أُعرفكم وأصف لكم التجارة التي تنجيكم من العذاب الأليم يوم القيامة وفي الدنيا، وأكبر عذاب في الدنيا البُعد عن الله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (36الزخرف) ويقول مرة ثانية: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (124طه) حتى ولو كان عنده مليارات!!، وحتى ولو كان عنده خزائن أكثر من خزائن قارون!!، لكن لو عرفته ستجده يعيش في هم وغمٍّ ونكد لا يعلم مداه إلا الله، فالناس يغترون بالمظاهر، لكن الله يكشف لنا حقيقة هذه المظاهر.

من الذي يعيش في الدنيا في ســـعادة وفي نعيم؟ الذي يقول فيه الله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (97النحل) يعيش في الدنيا في حياة طيبة، أما في الآخرة: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (97النحل).

تجديد الإيمان

﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾: وهنا العجب أن يكون النداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ثم يرجع ويقول: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ماذا يعني ذلك؟ يعني تحافظوا على الإيمان، وتحافظوا على قوة اليقين في حضرة الرحمن، إياك أن تختلف فيك شعرة مهما توالت عليك المحن في قدرة الله، وعظمة الله، وكفاية الله تبارك وتعالى لك في هذه الحياة ... وإياك أن تفعل كما يفعل بعض المحرومين عندما يُصاب بهزّة صغيرة يسارع إلى الخطأ الشنيع أمام المخلوقين في حضرة رب العالمين،

وهذا نســمعه كثيراً فيقول: لماذا أنا يا رب الذي يُصــيبني كذا وكذا، ولماذا أنا الذي تبتليه بكذا؟ لماذا أنت غاضــبٌ عليَّ؟ أنا أعلم أن الله لا يُحبني لأنه عمل لي كذا وكذا، وهذا الكلام نســمعه كثيراً، مع أن الله ســبحانه لو لم يكن يُحبك لما ابتلاك، مَن أكرم الخلق عند الله؟ الأنبياء والمرسلين، ولكنهم أشد الناس بلاءاً، قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلاهُ، فَمِنْ حُبِّهِ إِيَّاهُ يَمَسُّهُ الْبَلاءُ،

حَتَّى يَدْعُوَهُ فَيَسْمَعَ دُعَاءَهُ } [13]

لماذا يبتليه؟ حتى يناجيه وينادي عليه ويدعوه، وعندما ندعوه يأمر الله ﷻ الملائكة أن يؤجلوا قضاء هذه الحاجة، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ يَدْعُو اللَّهَ ﷻ وَهُوَ يُحِبُّهُ، فَيَقُولُ الله ﷻ: يَا جِبْرِيلُ اقْضِ لِعَبْدِي هَذَا حَاجَتَهُ،

وأَخِّرْهَا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَدْعُو اللَّهَ ﷻ

وهُوَ يُبْغِضُهُ، فَيَقُولُ: اقْضِ لِعَبْدِي هَذَا حَاجَتَهُ بِإِخْلاصِهِ، وعَجِّلْهَا،

فَإِنِّي أُبْغِضُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ }[14]

كما يحدث معنا في الدنيا، عندما يأتي أحدٌ لا أريده، فأقول لأولادي انظروا ماذا يريد لأني لا أُحب أن أراه، أما من أُحبه فأقول لهم: أدخلوه، وكلما أراد أن يقوم أقول له: انتظر حتى أئتنس به.

---

13 شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
14 معجم الطبراني عن جابر رضي الله عنه، والترغيب في الدعاء للمقدسي عن أنس رضي الله عنه

كذلك نفس الأمر - ولله المثل الأعلى - يريد الله منا أن نناجيه ونناديه ونقف على أبواب عطاءاته وهباته على الدوام، لأنه ﷻ يُحب من عباده أن يكونوا دائمًا ذاكرين شاكرين فاكرين حاضرين لحضرته تبارك وتعالى في كل وقت وحين.

أحد الصالحين كان يطوف ببيت الله تعالى الحرام، فيقول: يا رب هل تُحبني؟ فسمع هاتفاً ينادي: وهل يدعو إلى بيته إلا من يُحبهم!!. فالله سبحانه وتعالى يريدنا دائماً أن نُجدد الإيمان، ولذلك كان ﷺ يقول لصحبه المباركين:

{ جَدِّدُوا إِيمَانَكُم } [15]

وتجديد الإيمان ليس بترديد (لا إله إلا الله) فقط، ولكن تجديد الثقة في الله، وتجديد اليقين القلبي في حضرة الله، حتى يصل العبد إلى كمال اليقين، ويعلم علماً لا يتغير ولا يتحول ولا يزول أن الأمور كلها بيد الله، وأن الله لا يصنع له إلا ما يُحبه ويرضاه، وما فيه نفعه في الدنيا، وما فيه سعادته يوم يلقاه تبارك وتعالى.

فإذا وصل إلى هذا الحال فهذا اسمه مقام الرضا، والذي يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ } [16]

---

15 مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ
16 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

الجهاد الموصِّل

إذا وصلت إلى مقام اليقين تبدأ في المجاهدة في سبيل الله:

﴿ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾:

والجهاد في سبيل الله بابٌ مفتوحٌ في كل أعمال الخير التي يُحبها الله.

بعض العلماء قصر الجهاد في سبيل الله على القتال والحرب، لكن نحن في زمن سِلمٌ، فأين نحارب؟ الجهاد في أبوابه في المجتمع يُبلغ الغاية، ويجعل الإنسان من كُمَّل المجاهدين في طريق الله .

الذين يمشون مع الصالحين كثيرٌ منهم يظن أن الجهاد الموصل للفتح قيام الليل، وصيام النهار، والمداومة على الأذكار، والحج بعد الحج، وتلاوة القرآن، وما شابه ذلك، لكن عندما ننظر إلى عبادة الكُمَّل من أصحاب حضرة النبي ﷺ ورضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، نجد غير ذلك، ونأخذ نموذجاً فقط وهو سيدنا أبو بكر ﵁ وأرضاه، كيف كان قيامُه لليل؟ أحب حضرة النبي ﷺ أن يُبين لأصحابه عمل هذا الرجل، فبعد صلاة الفجر قال لهم:

{ مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْــكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًـا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ } [17] وفي رواية أخرى:

{ مَنْ أَصْــبَحَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ صَــائِمًا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا نَوَيْتُ مِنَ الْبَارِحَةِ فَأَصْــبَحْتُ صَائِمًا، فَقَالَ: مَنْ تَصَدَّقَ الْيَوْمَ بِصَدَقَةٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، تَطَرَّقَ مِسْكِينٌ، فَدَخَلْتُ، فَإِذَا كِسْرَةٌ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَخَذْتُهَا، فَأَعْطَيْتُهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمُ الْيَوْمَ عَادَ مَرِيضًـا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قِيلَ لِي إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ مَرِيضٌ فَذَهَبْتُ فَعُدْتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا اجْتَمَعَتْ فِي رَجُلٍ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي يَوْمٍ إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ } [18]

عبادات أنفع من قيام الليل، لأن من يقوم الليل قد تنتابه الوســـاوس والهواجس، وليس له من صـــلاته إلا ما عقل منها، لكن كونه أن يجبر خاطر إنســـان فهذه عبادة أرقى وأعلى عند رب العزة تبارك وتعالى، فالنبي يُعرّفنا أبواب الخير التي نحتاجها كلنا، والتي فيها جبر خاطر للمؤمنين والمؤمنات، فمن الذي في كل البلاد بين العباد أكثر الناس تنفلاً لرب العباد؟ الذي يسعى للصُلح بين المتخاصمين، لقوله ﷺ:

---

17 صحيح مسلم وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ
18 مسند البزار وتاريخ دمشق لابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ

{ أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ } [19]

الذي يجلس مع اثنين متخاصمين في ليلة ويُصلح بينهما أفضل ممن أحيا هذه الليلة وصلَّى فيها ألف ركعة لله تبارك وتعالى، لأن هذا عملٌ نافع للمسلمين.

هذه أبواب الجهاد التي فتحها لنا حضرة النبي ﷺ، والتي كان يتسابق فيها أصحابه المباركين، فسيدنا أبو بكر وسيدنا عمر كيف كان جهادهم في قيام الليل؟ كانوا يمشون في المدينة يتحسسون الفقراء والمساكين ليساعدوهم.

سيدنا عمر وجد امرأة مُقعدة وليس لها عائل يعولها، ولكن كلما ذهب إليها يجد البيت مكنوسًا ومرشوشًا وعندها الماء وعندها الطعام، فسألها: من الذي يفعل لك ذلك يا أمة الله؟ قالت له: يأتيني رجلٌ لا أعرفه، فقال: سأنظر من يأتيها، فتخفَّى في مكان لا يراه فيه أحد، فوجد سيدنا أبو بكر هو الذي يأتيها ويفعل لها ذلك، فكان هذا قيام ليل سيدنا أبو بكر، وليت المسلمين في عصرنا هذا يفقهون هذا السر الذي به نالوا هذا البر، وهو العمل النافع لخير المسلمين أجمعين.

19 سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه

فالجهاد في سبيل الله له أبواب كثيرة، ومن جملتها تجهيز المجاهدين بالسلاح وبالمال وبالمؤن وبالذخيرة وبالكسوة وغيرها، وهذا باب من ضمن الأبواب، لكنه ليس قاصراً على هذا الباب، فكل ما ينفع المؤمنين فهو باب من أبواب الجهاد ينبغي أن يمشي فيه المؤمن، ولكن كل ما في الأمر يجب عليه أن يُقدم فيه نية صالحة طيبة قبل هذا العمل لله .

الإنفاق

ولأن الإنسان دائماً أعزُّ ما يشتهيه هو المال قدَّم الله المال على النفس، فالإنسان قد يصوم وقد يقوم، لكنه لا يُخرج شيئاً من جيبه، فهذا شحيح، فما الذي يُظهر زُهد المؤمن وقوة الإيمان ورغبته في رضاء الرحمن؟ الإنفاق، والإنفاق الذي يُريده الله يَسَّره لنا حضرة النبي فقال: { اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ } [20] نصف تمرة وليس تمرة كاملة، وقال ﷺ:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ } [21] وفي رواية: { حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا } [22]

20 البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه
21 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
22 جامع البيان للطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه

المرء يتصدق بالصدقة لا يُلقي لها بالاً - شيئ بسيط جداً - فيجدها يوم القيامة كجبل أُحد، فيقول: يا رب من أين لي هذا؟!! فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا، أخذناها وربيناها لك فصارت كما ترى .. هل يوجد بنك في العالم كله يُعطي فائدة 700 %؟ لا يوجد إلا عند رب العزة تبارك وتعالى، وليس هذا فقط، ولكنه يضاعف لمن يشاء، ويكفي قوله ﷺ: { الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ }[23]

ما الذي يُظلني هناك ولا يوجد شجر ولا بيوت؟! صدقتي التي تصدقت بها لوجه الله، والتي مشيتُ فيها على قول الله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ (الإنسان).

طلب العلم

﴿ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾:

وهذه دعوة للعلم، فلا بد أن تتعلم وتطلب العلم لتعرف الخير والشر والضُر والنفع والحسن والأحسن،

23 مسند الشهاب وسير أعلام النبلاء للذهبي عن عقبة بن عامر ﷺ

وإياك أن تقول في يوم من الأيام أنني تعلمتُ !!! لأن الله يقول لحضـــرة النبي ذاتـه: ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ (114طه) مع أنـه قال لـه:﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ (113النساء) لكن لا تقف: ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ (114طه).

فالمؤمن لا يشبع أبدًا، ولا يتوقف عن طلب العلم آناء الليل وأطراف النهار حتى يخرج من هذه الدنيا !!! فلا يقول في يوم من الأيام: كفى ما تعلمتُه وأُعلِّم الناس، لا، فقد كان الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وقد جمع مائة ألف حديثًا عن حضرة النبي، وكان قد حفظهم بعنعنتهم:، يعني فلان عن فلان عن فلان، وله مذهب فقهي، ومع ذلك كان يقول: (مع المحبرة إلى المقبرة) والمحبرة كانت الريشة التي يكتب بها.

واحد منهم كان يعالج ســكرات الموت، ودخل عليه عالم، فقال له: أُريد أن أعرف الحُكم الفلاني في الميراث، فقال له: وأنت في هذه الســاعة؟!! فقال له: ولماذا أموت قبل أن أعرف هذه المسألة؟!! يريد أن يستزيد من العلم، فهذا ما يريد أن يُعرِّفه لنا الله، لأن العلم هو المفتاح لفضل الكريم الفتاح .

أجر المجاهدين

الذي يجاهد في سبيل الله بماله، وبنفسه، وفي أبواب الخير، وفي طلب العلم، ما أجره؟ ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ هذه الأولى،

وإذا غفر الله للإنسـان ذنبه فمم يخاف بعد ذلك؟! كل ما نبتغيه هو المغفرة، اللهم إنك كريم حليمٌ تُحب العفو فاعف عنا، فبشَّـرنا بالمغفرة، وماذا نريد بعد ذلك؟ ﴿ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّتٍ ﴾: ليس جنة واحدة، بل جنات، فهناك جنة الفردوس وجنة الخُلد، وجنة عدن وجنة المأوى .. جنات لا عدَّ لها ولا حد لها، قال ﷺ في ذكر بعضها:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ } [24]

والفردوس هو مساكن النبيين والمرسلين، ومن لحق بهم من الصديقين والشهداء والصالحين، وجنات عدن دار الإقامة للمؤمنين والمتقين والصالحين في الجنة.

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾: والأنهار في الجنة بيَّنها لنا الله في قوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (15محمد)

24 صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

كلها تجري في مجرى واحد، ولا يختلط بعضـــها ببعض بقدرة القادر، وهذه الأنهار تنبع من تحت الفردوس الأعلى وتجري تحت قصـــور المؤمنين والمؤمنات ليكونوا في أبهى حُلل الزينة والنور والنعيم في جوار الكريم .

النظر إلى وجه الله

مع هذه الأشـــياء هناك شـــيء آخر: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾ وهذه المســـاكن الطيبة لن

يطيب أهلها إلا برؤية وجه الله تبارك وتعالى، فبعد أن يدخلوا الجنة والحور والقصور والنعيم المقيم، كما قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ } [25]

لا شـــيء أطيب ولا ألذ ولا أهنأ من النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة)،

25 صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

ولذلك الشيخ أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه وأرضاه وكان حكيماً وكلامه فيه إشارات عالية، يقول: إن في الجنة أُناسٌ يتعذبون أكثر من أهل النار، فسألوه كيف يكونون في الجنة ويتعذبون؟!! قال: لأنهم حُرموا من رؤية وجه الله تبارك وتعالى!! ماذا يصنعون بالجنة؟!! أنت دعوتني في بيتك، وقدَّم لي أهل البيت الطعام والشراب وكل شيء، فسألت عنك فقالوا: لا يريد مقابلتك، فهل سآكل أو أشرب وأتهنَّى بهذه الأشياء؟! لا، لأني هل أريد الدار أم صاحب الدار؟!! صاحب الدار وهو الله ، وهذا النعيم الأعلى والأرقى والأغلى.

﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ طيبةٌ لأنها في جوار حضرة النبي، وطيبة لأن القلوب فيها تتمتع بالنظر إلى جمال حضرة الله، وطيبةٌ لأنها طابت بذكر الله ولا تميل ذرة ولا أقل لسواه، ولا تهنأ إلا بدوام التجليات الواردة عليها من حضرة الله تبارك وتعالى.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ القرآن مرة يقول: الفوز الكبير، ومرة يقول: الفوز العظيم، والناس يظنون أن هذا كلام مترادف، لكن هذا غير هذا، وهذا نعيم وهذا نعيم، وألوان النعيم وأصناف التكريم عند الرب تبارك وتعالى للمؤمنين قال فيها ﷺ:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } [26]

بشرى النصر

ومن عجائب غيوب الله ﷻ للمؤمنين أنه ذكَّرنا في هذه الآية بما نحن فيه الآن: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ وهذه تمشي مع قول الله قبل هذه الآيات: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (9الصف) وهل ظهر على الدين كله من أيام حضرة النبي إلى وقتنا هذا؟ لا، لأن البوذيين وغيرهم وغيرهم أكثر عدداً في العالم من المسلمين، لكن الله يُعرِّفنا أنه سيأتي يومٌ وكل هؤلاء سيتحولون إلى الإيمان بالله، والتصديق بكتاب الله والإسلام، وإسلام الوجه لله ، قال ﷺ عن آخر الزمان: { وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ الإِسْلامِ، وَيُسْلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ، وَلا يَكُونُ مُلْكٌ إِلا لِلإِسْلامِ } [27]

26 صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه
27 مسند الروياني عن أبي إمامة رضي الله عنه

إذا كان آخر الزمان أفنى الله جميع الملل والنحل ولم يبق إلا الإسلام، وهذا الذي يُبشِّرنا به الله في هذه الآية، ﴿ نَصرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتحٌ قَرِيبٌ ﴾ قد يكون فتح بيت المقدس، والنبي بشَّر به فقال:

{ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ }[28]

سيتم فتح بيت المقدس وسنُصلي فيه إن شاء الله، لأن هذا عن قريب، لأن الله وصفه بأنه قريب، وقد يكون هذا الفتح من الله ﷻ على المسلمين في الخير والهناء والعلم حتى يتفوقوا على الكافرين الذين يتحكمون في مصائرنا، ويريدون إذلالنا بما وصلوا إليه من العلم الدنيوي، فنريد أن نغير هذه الأمور ونرجع سادة العالم كما كنا من قبل، ولكنها تحتاج الجهاد والعمل والعلم الذي طالبنا به الله .

28 البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

الفتح القريب

وكُمَّل المؤمنين الذين يعملون هذه الأعمال يكون لهم فتحٌ قريبٌ في قلوبهم، فيفتح الله القلوب بعد أن يطهروها من العيوب، ويرفع عنها الحُجب فتتمتع بما ترى من أنوار الغيوب التي يكشفها لها حضرة علام الغيوب ، وهذا موجود في كل زمان ومكان، فكل من صدق مع الله يصطفيه مولاه، ويفتح قلبه، ويُدخله في قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ وليس وحده ولكن: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (75الأنعام) الذين يصلون إلى مقام الإيقان يرزقهم الله النصر على أنفسهم، ويفتح لهم في قلوبهم فتحاً نورانياً، فيشهدون أولاً في المنام حضرة النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وصحابته الكرام، والصالحين المبرزين في كل زمان ومكان، ثم يفتح الله قلوبهم إلى عالم الملكوت الأعلى وعالم الجنان، فيكونوا كما قال القائل:

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لايراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمين

سيدنا رسول الله سأل رجلاً منهم وكان اسمه حارثة، فقال له:

{ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ: عَبْدٌ نَوَّرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ }[29]

عزفت نفسي عن الدنيا يعني زهدتُ فيها، ثم أسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري، وهذا هو الجهاد، وسيدنا رسول الله يُبين لنا كيفية الطريق إلى الله، أوله الزهد في الدنيا، وبعد ذلك قيام الليل وصيام النهار، لكن قيام الليل وصيام النهار قبل الزُهد لا يصلح.

قيل لبشر الحافي ﷺ وأرضاه: فلان الغني هذا يقوم الليل كله، فقال: مسكين دخل فيما ليس له فيه!، فقالوا: كيف؟ قال: إن عبادته أن يُنفق ماله هذا في سبيل الله، فلماذا يدخل في عبادة الفقراء؟! فقيام الليل للفقير الذي ليس معه، لكن هذا عبادته الإنفاق، وهو لا يريد الإنفاق ويستسهل قيام الليل، وهي ليست طريقه، ولكن طريقه إطعام ذوي القربى والفقراء والمساكين مما أتاه الله ، فيجب أن يكون الزُهد أولاً ثم قيام الليل وصيام النهار، وما النتيجة؟ ...... قال:

---

29 مصنف ابن أبي شيبة

{ وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَــابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَـتَـزَاوَرُونَ فِـي الْـجَـنَّـةِ، وَكَـأَنِّـي أَسْـــمَـعُ عُـوَاءَ أَهْـلِ الـنَّــارِ، فَـقَــالَ لَــهُ: عَبْدٌ نَوَّرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ }

نسأل الله ﷻ أن ينور بالإيمان قلوبنا، وأن يفتح عيون بصائرنا، وأن يجعلنا من عباده الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وأن يأخذنا بهديه ونوره إلى منهجه القويم، وطريقه المستقيم خلف رسوله الرءوف الرحيم، وأن يجعلنا من عباده الذين لا يملون عن ذكره طرفة عين ولا أقل، وأن يُنير لنا سبيلنا، ويُضيئ بصائرنا وأبصارنا، ويحفظنا بحفظه من فتن هذا الزمان، ويقينا شر شياطين الإنس والجان، ويُدخلنا في الدنيا والآخرة تحت لواء الأمان:

﴿ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (82الأنعام).

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم ۝١ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ۝٢ وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ۝٣ ذالك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝٤ ﴾ (الجمعة)

2.رسول الأميين [30]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ـ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه، وشمس الحق المشرقة بنور هُداه، سيدنا محمد الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والشفيع لجميع الخلائق يوم نلقى الله، صلَّى الله عليه وعلى آله المباركين، وعلى أصحابه الطيبين، وعلى أتباعه أجمعين، وانظمنا في معيتهم واحشُرنا في زُمرتهم، وأدخلنا الجنة في صُحبتهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

هذه الآيات تتحدث عن أربع أمور:

الأمر الأول: تسبيح كل الكائنات لخالق الأرض والسماوات.

الأمر الثاني: صفات النبي الكريم الذي أرسله لنا العزيز الحكيم.

الأمر الثالث: بُشرى لنا جماعة المؤمنين المعاصرين، والذين يأتوا من بعدنا إلى يوم الدين.

الأمر الرابع: بيان فضل الله تبارك وتعالى علينا جماعة المسلمين.

30 سوهاج – جرجا – نادي المعلمين 10 من صفر 1440هـ 2018/10/19م

تسبيح الكائنات

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بدأ الله هذه السورة بالتسبيح، وهناك عدة سور تُسمَّى المسبحات، عددهم سبع سور، مرة يقول رب العزة: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ وتارة يقول: ﴿ يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ مرة بالماضي، ومرة بالمضارع.

والمضارع للحاضر والمستقبل، لكي يُعرفنا أن كل الكائنات من البدء إلى الختام لا تملُّ ولا تكلُّ عن التسبيح لله ، فكل ما نراه وما لانراه يُسبح الله جل في عُلاه، الطيور والأشجار والحيوانات والجمادات .. كل شيء في الكون يُسبِّح خالق الكون.

وما معنى سبَّح؟ يعني يُنزِّهه، ينزه الله ﷻ عن المثيل وعن النظير وعن الوزير وعن المُشير، ويُقرر الحقيقة التي يقولها العلي القدير:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (11الشورى).

وسيدنا رسول الله ﷺ من جملة معجزاته أنه أسمع بعض أصحابه تسبيح الكائنات، يقول سيدنا أبو ذر ﷺ:

{ إِنِّي لَشَـاهِدٌ عِنْدَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصَـيَاتٌ فَسَـبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْـمَعُ تَسْـبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ،ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَـبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْـمَعُ تَسْـبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ،ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا } [31]

فكان بيان النبي ﷺ العملي أنه لا يسمع التسبيح إلا تقيّ نقيّ، اتصل قلبه بالمولى العليّ، واستنار فؤاده بنور النبي، هذا الذي هيأه الله لسماع تسبيح الكائنات:

﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (44الإسراء).

الكل يُسبح بحمد الله، ويُقدِّس الله ﷻ عن كل ما لا يليق بحضرته تبارك وتعالى، فالله ﷻ متصفٌ بكل كمال، وكل جمال، ومنزَّهٌ عن أي صفة لا تليق بالجمال والكمال، فهذا التسبيح لله.

وكان ﷺ في زيارة لعمه العباس ﵁، فطلب منه العباس الدعاء له ولأولاده، فدعا النبي، والعجب يقول الراوي:

31 دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر ﵁

{ فَأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الْبَابِ وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ، فَقَالَتْ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ } [32]

وأُسكُفَّةُ الباب يعني عتبة الباب أو سياج الباب.

وكان ﷺ حتى قبل بعثته يحكي ويقول : { إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن }[33] وروت عائشة رضي الله عنها: { لما استقبلني جبريل بالرسالة، جعلت لا أمُرُ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله }[34] وفى السيرة الحلبية: { وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا } الأحجار والأشجار والرمال كلها تنادي على رسول الله ﷺ.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الله تبارك وتعالى ملأ السماوات بملائكته، فمنهم القائم أبدًا، ومنهم الراكع أبدًا، ومنهم الساجد أبدًا، والملائكة لا تنام ولا تموت ولا تفوت، عمرٌ واحد من بدء الدنيا إلى أن تنتهي الحياة، فيُخبر النبي ﷺ عنهم أنهم عند بعثهم مع أنهم في سجدةٌ واحدةٌ أو ركعة واحدة من بدء الدنيا إلى نهايتها، يقومون من هذه السجدة أو الركعة ويقولون:

{ سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ } [35]

---

32 دلائل النبوة للبيهقي ومعجم الطبراني عن مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه
33 صحيح مسلم عن جابر بن سمرة .
34 رواه البزار وأبونعيم عن عائشة رضى الله عنها.
35 معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

مع أنهم في سجدة واحدة منذ خلقهم الله إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، هؤلاء الملائكة يقول فيهم ﷺ:

{ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلا شِبْرٍ وَلا كَفٍّ إلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ، أَومَلَكٌ رَاكِعٌ، أَومَلَكٌ سَاجِدٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ } [36]

لماذا يُعرِّفنا الله هذه الحقيقة؟ حتى لا تضحك علينا نفوسنا فنظن خطئاً أن الله - حاشا لله - يحتاج إلى تسبيحنا وعباداتنا، أو أننا نقدم شيئاً لربنا!، مع أننا مهما فعلنا لا نستطيع أن نفعل كما يفعل الملائكة الكرام، فما بالك بالأنبياء العظام؟! وما بالك بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام؟!. فنستقلل ما نقدمه لله، ونعلم علم اليقين أننا نُسبِّح وإن كنا في مشاغل تشغلنا عن الله أثناء التسبيح، فنسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل، على ما فيه من الأخطاء، وعلى ما فيه من العيوب، فإنه سبحانه وتعالى لو قابلنا بعدله، ما تقبل منا تسبيحة واحدة لحضرته.

36 معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

تسبيحة واحدة صحيحة يقول فيها سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ: (لو سبَّح رجلٌ بصدق يقين وإخلاص نية وحضور قلب لرب العالمين تسبيحة واحدة لكفته هموم دنياه وأُخراه)، وورد أن رسول الله ﷺ نظر لجبل أحد وقال : { ربَّ رجل من أمتى يعدل الحرف الواحد من تسبيحه هذا الجبل }[37]، يعني التسبيح في حالة الحضور مع المذكور تبارك وتعالى، وهذا التسبيح له شأنٌ وله كيانٌ وله معزَّةٌ عند حضرة الرحمن، هذه التسبيحة الواحدة ورد في قدرها عن وهب بن منبه فقال:

{ كَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَلْفُ بَيْتٍ، أَعْلاهُ قَوَارِيرُ، وَأَسْفَلُهُ حَدِيدٌ، فَرَكِبَ الرِّيحَ يَوْمًا، فَمَرَّ بِحَرَّاثٍ يَحْرُثُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْحَرَّاثُ، فَقَالَ: لَقَدْ أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا، فَحَمَلَتِ الرِّيحُ كَلامَهُ، فَأَلْقَتْهُ فِي أُذُنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: فَنَزَلَ حَتَّى أَتَى الْحَرَّاثَ، وَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكَ، وَإِنَّمَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ لِئَلا تَمَنَّى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، لَتَسْبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ، فَقَالَ الْحَرَّاثُ: أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ كَمَا أَذْهَبْتَ هَمِّي }[38]

37 أخرجه الترمذى فى نوادر الأصول عن أبى موسى ﷺ.
38 رواه أحمد فى الزهد عن إدريس بن وهب بن منبه، كما أورده صاحب الحلية

وبساط سليمان كان عبارة عن سجادة♣، لكنها كانت تتسع بأمر الله لكل من يأتيه مهما كان عددهم، وبعد أن ينتهي تعود مرة أُخرى، فكان معه ذات يوم على هذا البساط خمسمائة ألفاً من الإنس، وخمسمائة ألفاً من الجن، غير الوحوش والطير والوزراء والوجهاء والأمراء، وسخَّر الله له الريح، يأمرها فتأتمر بأمره: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (36ص) ورخاءاً يعني هادئة، أو ما نسميه النسيم الهادئ فلا تُصيب الإنسان بأذى، لأنها لو كانت زوابع فستُحدث مشاكل، ولو كانت إعصاراً، كالأعاصير التي يُسلطها الله على أمريكا ليل نهار ليتَّعظوا لأحدثت مشاكل لا حد لها ولا عد لها، فأمر الريح أن تحمل البساط، وتمشي به، وكان البساط يحمله الهواء قريباً من الأرض فيراه الناس بدون مناظير وإنما بالعين العادية، وكان رجلٌ فلاح واقفاً في بيت المقدس، وكان مقر سيدنا سليمان في المُلك، نسأل الله أن يرُدها للمسلمين عاجلاً غير آجل، فنظر الرجل وقال: ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود!!، فحملت الريح الصوت إلى أُذن سليمان، فأمر الريح أن تنزل بالبساط، واستدعى الرجل - يريد أن يُعطي درساً لمن حوله - فقال للرجل: ماذا قلت؟ قال: قلت: ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود، لأنه طلب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخَّر الله له الريح، وسخر الله له الجن، وأشياء لا عد لها ولا حد لها من القدرات التي منحها له بارئ المكونات ـــ فماذا قال سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام؟ قال: (لَتَسْبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ).

♣ أنظر الحاشية رقم 206 صفحة 147 لتقريب المعنى.

التســبيحة الواحدة التي تقولها ولا تنتبه إليها أعظم من ملك ســليمان ومما أوتي ســـليمان عند حضـــرة الرحمن، وقرَّب الحقيقة لنا نبينا ﷺ فقال: { الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآَنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } [39]

بماذا تملأهم؟ خيرات وبركات وحســنات ومكرومات من عند رب العزة تبارك وتعالى، بسبب هذه الكلمات التي نستهين بها، فبيَن الله لنا قيمة التسبيح، لأن كل ما في الكون يُسبح الله ... ولا يليق بسيد الأكوان، والذي خلق الله الأكوان من أجله وسخرها له أن يكون كل شـيء حوله يُسبح الله وهو وحده الغافل عن التسبيح لمولاه، فلا بد أن يدور في هذا الإطار ويشتغل بالتسبيح ليل نهار، حتى يُحبه الواحد القهار .

ووصـف الله بما يليق بذلك: ﴿ ٱلْمَلِكُ ﴾ أي الذي لا يزول ملكه: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (42النور) وملك الله لا ينتهي ولا يفنى ولا يبيد، بل إن الله يُفني كل شـــيء ويبقى الحي الذي لا يموت.

---

39 صحيح مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري ﷺ

﴿ ٱلْقُدُّوسِ ﴾ المنزه عن كل ما لا يليق بالحضــرة الإلهية، ولذلك ينبغي أن تقدس

الذات العلية عند الحديث عنها، فلا يخرج على لسـانك ألفاظ لا تليق بحضـرته، وليس فيها تكريمٌ لمقام عظمته، لأنه ﷻ منزه حتى عن الكمال، فالكمال منه لمن يختارهم في الدنيا من الرجال، أما هو ﷻ ففوق الكمال، لأنه الخالق الرازق الواحد الأحد المبدئ والمعيد.

﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ الذي لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، ولا ينال منه أحد.

﴿ ٱلْحَكِيمِ ﴾ في كل أموره في خلقه، وفي تقديره لأرزاق خلقه، وفي كل أفعاله،

لأنه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة عالية، فهو ﷻ الحكيم في كل تصرفاته وأفعاله.

حكمة إرسال الرسول منا

ثم بيَّن الله ﷻ لنا أوصـــاف حضــرة النبي، والمهمة التي كلَّف الله بها النبي من أجلنا ومن أجل المؤمنين في كل زمان ومكان: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾

ذكَّرنا بحقيقتنا جميعاً، حقيقة من أُرسل إليهم النبي، وكانوا أُميين كلهم، وقال فيهم نبينا ﷺ:

{ إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ وَلا نَحْسُبُ الشَّهْرُ هَكَذَا } [40]

كانوا كلهم أميون، ونحن عندما خلقنا الله وأنزلنا إلى هذه الحياة كنا أُميين، ثم علَّمنا بفضله وكرمه وجوده رب العالمين تبارك وتعالى.

﴿ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ هذا الرســـول منهم، لماذا؟ حتى يقتدوا به، ويهتدوا بهديه، ولِمَ جعل الله ﷻ الرســول منا؟ لنتعلم منه، فلو أرســل الله لنا مَلَكاً رســولاً ولا نراه، فماذا نتعلم من هذا المَلَك؟!! لكننا نحتاج أن نراه يُصلي كما قال لنا: { صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي } [41] فنُصلي مثله، وقال: { خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ } [42] فنحج مثله، ونأكل كما كان يأكل، ونشــرب كما كان يشــرب، وننام كما كان ينام، ونتحدث كما كان يتحدث، مع أننا لو نظرنا بعين اليقين نجد أن النبي ﷺ كانت له أحوالٌ خاصة لا نشاركه فيها، وأراد أصحابه مشاركته فنهاهم، فكان يصوم صيام الوصال، يعني عدة أيام بدون إفطار ولا سحور، فأراد أصحابه أن يتابعوه فقال لهم: { إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي } [43]

---

40 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
41 البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﵁
42 سنن البيهقي عن جابر ﵁
43 سنن البيهقي ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة ﵁

وانتبه للحديث؛ هل الذي يُطعمه الله ويسقيه يحتاج لأكلنا وشربنا؟!! هل يحتاج للفول والعدس واللحم وما شابه؟!! لا، فلماذا يأكل؟ سألوا سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه عن ذلك فقال رضي الله عنه: (والله ما أكل رسول الله ﷺ إلا ليُعلِّمنا كيف نأكل، وما شرب إلا ليُعلِّمنا كيف نشرب، ولا نام لأنه تنام عينه وقلبه لا ينام، إلا ليُعلِّمنا الكيفية الصحيحة للمنام)، لأن الله قال لنا فيه:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (21الأحزاب) كيف نقتدي به؟ لا بد وأن يكون مثلنا، وإن كان هو ﷺ في حقيقته غيرنا بالكلية، والحقيقة مُبينة في الآيات القرآنية، ويضيق الوقت عن ذكرها أو الإفصاح عن كُنهها لأنها تحتاج إلى وقت طويل.

مهمة النبي في أمته

ما مهمة هذا النبي لنا؟ ﴿ يتلوا عليهم ءايته ﴾ هذه واحدة، ﴿ ويزكيهم ﴾ وهذه الثانية، ﴿ ويعلمهم الكتب ﴾ وهذه الثالثة، ﴿ ووالحكمة ﴾ وهذه الرابعة، فالمنهج الذي يُعلِّمه لنا حضرة النبي أربع مناهج ذكرهم الله في كتاب الله.

تلاوة الآيات

والحقيقة أنني طالعتُ كُتب المفسرين، ومعظمهم أجدهم يكتبون عند تفسير قول الله: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ فيقولون: آيات القرآن، لكنه ذكر بعدها الكتاب! والكتاب هو القرآن، وكلام الله لا يُكرر.

فما تلاوة الآيات هنا؟ ننظر في القرآن فنجد هناك آيات مكتوبة في المصـــحف، وهناك آيات مشـــهودة في الآفاق وهي آيات الله في الأكوان، وهناك آيات في نفس الإنسان: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (53فصلت) وسنريهم يعني في المستقبل، لذلك نحن مأمورون بتلاوة الآيات التي في الآفاق، والآيات التي في النفس.

وكيف نقرأها؟ نُفكر فيها ونتدبَّر في خلقها، وحكمة إيجادها لنهتدي إلى معرفة الله المعرفة الحقَّة، واسمع إلى الله وهو يقول: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (190آل عمران) الذين يتفكرون ويتدبرون في خلق الله.

وعبـادة التفكر هي العبـادة الأولى التي طـالـب الله بهـا المؤمنين قبـل فرض الصلاة، لأن الصلاة فُرضت قبل الهجرة بعام في ليلة الإسراء والمعراج، فأصحاب حضـرة النبي وهم في مكة، في المدرسـة المحمدية والتي كانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ماذا كان يُعلِّمهم حضرة النبي طوال هذه السنين؟ كان يتلو عليهم الآيات.

نســـأل تلميذاً من هؤلاء التلامذة وهو ســـيدنا أبو ذرٍّ ، وكان من التلاميذ الأوائل، آمن برسول الله وهو في مكة، قالوا له: ماذا تعلمتم؟ قال: { لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا } 44

عبادة التفكر

علَّمهم هذه الأمور لأنها هي التي تزيد اليقين، وتزيد الإيمان في قلوب المؤمنين برب العـالمين : ﴿ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (190آل عمران) من هم أُولو الألبـاب؟ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (191آل عمران) عبادة التفكر يقول فيها ﷺ: { تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ } 45

44 مسند أحمد ومعجم الشيوخ عن أبي ذر
45 الفوائد المجموعة للشوكاني

والساعة يعني لحظة، ويقول في أجرها وفي ثوابها بالنسبة لقريناتها من النوافل الأُخرى:

{ لا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ } [46]

ولكن ليس التفكر في ذات الله، وإنما التفكُّر في آلاء الله وفي خلق الله ، وأول عبادة، وأول مهمة، وأول وظيفة للنُبوة هي تلاوة الآيات التي في الأنفس والتي في الآفاق:﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (21الذاريات) يعاتبنا الله!! لماذا لا تشـــاهدون هذه الآيات التي أوجدها الله في أنفسكم؟!! أين الكمبيوتر الذي يشغل كل الأجهزة التي في باطنك وفي ظاهرك؟!! إلا قدرة القادر تبارك وتعالى، وهذا ما يحتاجه المؤمن على الدوام.

عندما يأكل الإنســـان، إياك أن تأكل وأنت غافل ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ (24عبس) انظر كيف أتاك؟ ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ (عبس) لمن هذا كله؟ ﴿ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴾ (32عبس).

---

46 معجم الطبراني ومسند الشهاب عن علي بن أبي طالب ﷺ

عندما أنظر في هذا كوب من اليأنسون، المادة التي فيه سمَّاها العرب: يأنسون وليست ينسون، فنحن لا ننسى الله ﷻ، وسموها يأنسون لأنهم كانوا عندما يجلسون مع بعضهم كان هذا شراب أُنسهم، ولكن جرت عادة الناس أن يُسهلوا في النُطق، فقالوا: ينسون، وأخطأوا، فالمفروض أن يقولوا: يذكرون!!.

هذه المادة أين زُرعت؟ الزارع كل ما صنعه أنه وضع البذرة في الأرض، فمن الذي أوجد البذرة؟ الله، ووضع فيها خريطة إلهية، كم فرع يخرج منها؟! وكم ثمرة؟! وكم حبَّة؟! وكل حبة مكتوبٌ عليها من الذي سيشربها، وفي يوم كذا، والساعة كذا، في وقت كذا، وهذا تقدير الله، وذلك يحتاج إلى نظر المؤمن على الدوام، ولا يأكل وهو غافل، ولذلك يعاتب الله المؤمنين ويقول: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (105يوسف).

لكن ما حال المؤمن؟ دائماً منتبه، يقرأ ويتفكر في آيات الله في الآفاق، وفي آيات الله في نفسه، حتى القراءة القرآنية الأخرى عن آيات الله في النفس: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَه ﴾ (21الذاريات) يعني ألم ترَ الله بداخلك؟!!.

هل تستـــطيع أن تتحكَّم في أجهزة جســـمك؟! من الذي يســـتطيع أن يتحكم في الجهاز الهضـــمي؟! وبعد أن يأكل يقول له: انتظر نصـــف ســـاعة وبعدها ابدأ في الهضـــم!! هل يتحكم فيه؟ لا، من الذي يتحكم في النوم عندما يأتيه ويقول له: اتركني ساعتين فأنا مشغول الآن؟!! لا أحد أبداً يُدير هذا الجسم إلا ملك الملوك .

وأنت تمشـي بأمر الله وبقدرة الله، ولكن ينبغي عليك أن تتفكر لتهتدي إلى صُـنع الله وتقدير الله جل في عُلاه، وهذا اســمه علم الآيات، الآيات التي في الآفاق، والآيات التي في النفس، كان سيدنا رسول الله يقرأها لهم، لكي يمشون على هذا المنهاج.

تزكية النفس

وبعد تلاوة الآيات: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ والتزكية يعني الطهارة، فالطهارة كالوضـــوء والغُســـل تكون مع الصـــلاة، لكن ما هذه الطهارة التي هنا؟ طهارة القلوب من الغل، ومن الحقد، ومن الحســـد، ومن الكُره، ومن البُغض، ومن الشُـــح، حتى إذا دخل على حضـــرة الله يجد نفســـه في صـــفاء تام، فتُشـــرق عليه أنوار الملك العلام، فيكون في الصلاة في مناجاة مع مولاه، فكلما قال جملة يسمع الردُّ، يقول الله في الحديث القدسي:

{ قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، قَالَ:هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ"، قَالَ:هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ } [47]

إذًا الفاتحة عبارة عن محادثة بينه وبين حضـــرة الله ، متى تســـمع ما يُقال؟ إذا صفا القلب مما ذكرناه، وأصبح قلباً بدلاً من أن يكون ممتلئاً بالخيال تُشرق فيه أنوار الجمال للواحد المتعال، فيتواصل مع الله ﷻ في هذه الصلاة.

إذاً التزكية هي تطهير النفس، وتصـفية القلب، حتى يسـتطيع الإنســان أن يؤدي العبادة التي ينبغي أن يقوم بها لحضرة الله .

علوم الكتاب

بعد تصـــفية النفس وطهارة القلب: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ علوم الكتاب هي الشـــريعة التي أنزلها في هذا الكتاب، فيتعلم الأحكام الشـــرعية التي جاءت في كتاب رب البرية، والذي لا يستوضحه يجده في المذكرة التفسيرية للحضرة المحمدية.

47 صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﵁

فيكون قلب طاهر، ونفس صافية، وإيمانٌ يقيني عندما يرى أحكام الله، وبذلك لن يستطيع أن يقترب من المعاصي ولو للحظة، ولن يستطع أن يتهاون بالطاعات ولو مرة، لأنه أصبح رجلاً امتلأ قلبه باليقين فيريد أن يواصل في الطاعة لرب العالمين.

والأحكام الشرعية بذاتها تُعلم المؤمن الحكمة في كل التصرفات، الحكمة في الكلام فلا يُخرج من لسانه ما يؤذي أي فرد من الأنام، والحكمة حتى في الطعام والشراب، لأنه سمع الله يقول له: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (31الأعراف) فيعمل كما ورد فى الأثر المشهور: { نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأكُل حَتَّى نَجُوع وإذَا أَكَلنَا لاَ نَشْبَع }[48] فمن أين يأتينا المرض؟!!

وكذلك سيُحسن معاملة كل من حوله لأن الله وهبه الحكمة: ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (269البقرة) والحكمة هي الإصابة؛ إصابة الحق في القول والفعل، فيُعلِّمه الله من عنده ومن فضله الإصابة في القول والفعل.

---

48 ورد بزاد المعاد والبداية لابن كثير والسيرة الحلبية ولكن بغير إسناد، ولم نقع له على تخريج له بأى مصدر للتخريج، فليس بحديث، ولكن معناه العام مقبول لما ورد من الأحاديث التى تدور حول تنظيم وإعتدال تناول الطعام والشراب.

هذه الأوصـاف التي ذكرها الله لحضـرة النبي هي الأوصـاف التي يُجمِّل الله بها ورثة حضرة النبي الذين يجب أن نتبعهم، ونمشي خلفهم، ونتعلم من هديهم.

إذا كانت هذه الأوصـــاف التي ذكرها الله موجودة في رجل، فيكون هذا الرجل وارث لرسول الله ﷺ، وينبغي أن أُسارع إليه، وأُسلِّم نفسي له ليُعلمني كما علَّم النبي ﷺ أصحابه.

فإذا لم يكن عنده هذه الصـــفات فإنه يحتاج أن يتعلم معي، وأقول له: تعال معي نبحث عن وارث لحضرة النبي ليُعلِّمنا العلوم التي علمها الله للنبي، وأمر النبي وورثة النبي أن يُعلِّموها لأتباع النبي وورثة النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

ثم ذكَّرنا الله ﷻ بأن كل هذا فضـلاً علينا من الله، لأننا قبل هذا لم نكن نعلم شـيئاً إلا بعد أن أكرمنا الله: ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ يعني في ضلال واسع.

البشرى للمؤمنين المعاصرين

هذا الكلام كان لأهل المعاصـــرة لحضـــرة النبي، وأخذنا منه ما يلزم لورثة حضـــرة النبي، لكن ما البُشـــرى التي جاءتنا نحن؟ ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾

وانتبه، ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾

مع أننا جئنا في هذا الزمن، لكن إذا مشـــينا على هذا النهج فســـنكون من هؤلاء الأوائل: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (29الفتح) ولذلك حضرة النبي ﷺ قال:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْـحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْــحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[49]، وقال: { إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّــبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِــينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُــولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِــينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِــينَ مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَانَـاً وَلاَ يَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَانَـاً }[50]

فسيدنا رسول الله بذاته تمنَّى أن يرانا، وقال فينا ﷺ:

{ مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ }[51]

يتمنى أن يدفع ماله وأولاده و كل أهله ويحظى بنظرة من حضـــرة النبي، وهذا ما يحدث في عصــرنا الآن، الناس الذين يشــتاقون لرؤية رسـول الله أو حتى للزيارة تجده يدفع كل ما يملك، لماذا يذهب إلى هناك؟! هل هناك كســب مادي؟! أبداً، لكنه ذاهب هناك لأن لـه فضـــلٌ من الله، وكرمٌ من الله في هذه الآية الكريمة، وهي أعظم بُشرى لنا:.

49 مسند أحمد عن أنس ﵁
50 جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﵁
51 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﵁

﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ وليس حتى معهم، بل منهم: ﴿ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ :

مشوا على هديهم وعلى منوالهم وعلى منهاجهم: ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ﴾.

فضل الله

هؤلاء القوم ونحن، ومَن في عصـــرنـا، ومَن بعدنـا، بِمَ أخذنـا هذا من الله؟ هل بعمل عملناه؟ أبداً، فنحن ضـــعفاء كلنا في العمل، وهل بعبادات قدمناها؟ أبداً، لكن: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ هذا فضل من الله علينا، وإكرام من الله لنا، وتفُضل من الله ﷻ علينا، بلا عمل عملناه، ولا شـــيء قدمناه، وإنما اجتباء واصـــطفاء من الله، فياليتنا نشكر الله على هذه النعمة العُظمى؛ أن خصَّنا بهذا الفضل العظيم، وهذا الكرم العميم، وذكر ذلك في كتابه الكريم: ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤ ﴾.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يـأيها الذين ءامنوا إذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون ۝٩ فإذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۝١٠ وإذا رأوا تجرة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قايما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجرة والله خير الرازقين ۝١١ ﴾ (الجمعة)

3.السعي إلى ذكر الله [52]

بِسْـــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا وعجَّل لنا روضـــات الجنة، ومتعنا بالجلوس فيها الآن؛ ونحن في الحياة الدنيا، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا وقُرة عيننا سـيدنا محمد وآله وصـحبه وكل من اتبع هُداه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين ... سعدتُ برؤية هذه القلوب المملوءة بالحُب للنبي الحبيب المحبوب، وهذه الوجوه التي فيها نور السـجود لله ﷻ، فأنتم والحمد لله خيارٌ من خيارٍ من خيار، ونريد أن نكون في مجلسـنا هذا يظهر فينا قول النبي المختار في مجالس الصالحين والأخيار والأبرار، فيقول ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[53]

والحمد لله الذي أكرمنا ووفقنا لإحياء المجالس التي نوَّه عنها سـيدنا رسـول الله ﷺ، فنحن الآن تحفُّ بنا الملائكة من الأرض إلى السـماء، وتتنزل على قلوبنا رحمة الله وسـكينته، ويُباهي بنا الله ملائكته فيُذكرنا في ملأ خير من ملأنا، لأننا ننفذ وصـية النبي ﷺ.

---

52 قنا – قفط – مسجد الإمام علي - 25 من صفر 1440هـ 2018/11/3م

53 سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

والآيات التي معنا اليوم من سـورة الجُمعة، وسـورة الجمعة سُـميت بهذا الإسـم لأنه فُرض فيها صلاة الجُمعة على المؤمنين والمؤمنات.

وبيَّن الله تبارك وتعالى بياناً شافياً كافياً في الآيات القرآنية فضل الجمعة، وآداب التوجه إلى صـلاة الجُمعة، وما ينبغي أن يكون عليه المؤمن عند تواجده في المسـجد أثناء صـلاة الجمعة، والفضـل الكبير، والخير الكثير الذي يعود على من يفعل ذلك ويستجيب لذلك من كلام اللطيف الخبير ﷻ.

اسـمع معي وتلذَّذ بالنداء، عندما ينادي الله ﷻ الغني علينا، وينادي علينا نداء مُحبب إلى القلوب، ويقول لنا كلنا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ يُعظمنا، فلم يقُل يا مسـلمين أو يا مؤمنين، ولكن: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ وهذا تعظيم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ عندما نرى حال المسـلمين في هذه الأيام في أغلب المسـاجد والبلدان، غيَّروا هذه الآية وجعلوها: فاسعوا إلى الصلاة، لكن الله يقول: ﴿ فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وهم جعلوا السعي إلى الصـلاة، فيجلس شـبابنا أمام المسـجد يتكلمون مع بعضـهم حتى يسـمعون إقامة الصلاة، ثم يدخلون المسجد، وكثير منا يكون جالس في البيت!!.

الاستعداد لصلاة الجمعة

يوم الجمعة ينبغي على المؤمن أن لا يكون لـه عملٌ يشـــغلـه قبل الجمعة إلا الاســـتعداد للصــــلاة، وإذا كان راءه ســـفر أو وراءه عمل .. كل هذا يُؤجله إلى بعد الصــــلاة:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لكن قبل الصــــلاة كل الوقت يكون استعداد لصـلاة الجمعة كما أمر الله، وكما كان عليه سـيدنا رسـول الله ﷺ وأصـحابه المباركين.

أمرهم حضــرة النبي ووجَّههم إلى أن يغتسـلوا قبل صــلاة الجمعة، إلا إذا كان الإنســان مسـافر في بلد بعيد، فليس عليه غُسـلٌ، لكن ما دام كان في بيته فالأفضـل أن يغتسل يوم الجمعة، ويتطيَّب، ويلبس أحسن ما عنده، لأنه مدعُوٌّ إلى حضرة الله تبارك وتعالى.

ومسجد المسلمين الذي نُصلي فيه يجب أن نجهزه قبل الجمعة وتنظفه، وصباح الجمعة نبخره، فبُخور المســـاجد عادة كادت أن تنقطع، مع أن من ذهب منكم للبيت الحرام ومدينة الحبيب المصــطفى عليه أفضــل الصــلاة وأتم الســلام يجد هناك أن البخور لا بـد أن يكون يوم الجمعـة، وبخور من أعلى أنواع البُخور، وليس بخوراً عادياً، لأنهم يمشون على النهج النبوي.

وقد رأينا آباءنا وأجدادنا مع أنهم كانوا على قدر بسيط في العلم، لكنهم كانوا محافظين على آداب القرآن، وعلى تعاليم النبي العدنان، وكنا نرى أُناساً منهم كثيراً يتناوبون على تبخير المسجد، لكي يكون المسجد رائحته طيبة.

والمسلم القادم للمسجد يغتسل فيكون ليس به عرق، ويتطيب فتكون رائحته طيبة، فيكون طيبٌ على طيب، مع طيب القلوب، فيشتركون كلهم في عمل يُرضي حضرة علام الغيوب تبارك وتعالى.

لماذا يجهزِّوا أنفسهم قبل الصلاة؟ ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾ يعني أصبحت هذه الصلاة فريضة، فصلاة الجمعة ليست سُنَّة ولكنها فريضة لا بد منها، إلا للنساء فالرسول ﷺ ترك الأمر لهن، فإذا استطاعت أن تُصلي في المسجد فبها ونعمت، وإذا لم تستطع فتُصلي الظهر.

السعي إلى ذكر الله

لماذا يذهبون لصلاة الجمعة في المسجد؟ ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ نذهب لنسمع تذكير النبي، أو من ينوب عن حضرة النبي بالله .

إذاً متى ندخل المسجد؟ قبل أن يصعد الرجل الذي سينوب عن حضرة النبي المنبر، والذي يدخل استجابة لأمر الله وتطبيقاً لسُنَّة رسول الله فيا هناه، قال فيه ﷺ:

{ مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ } [54] وقرَّب بدنة أو بقرة يعني كأنه ذبحها ووزعها على الفقراء والمساكين، ورب العالمين تبارك وتعالى يُرسل الملائكة المقربين يجلسون على أبواب المساجد في يوم الجمعة، ومعهم صُحف من فضة، وأقلام من ذهب يُسجلون الداخلين الأول فالأول، وكل واحد يضعوه في العلاوة المناسبة له عند رب العزة، فإذا صعد الإمام المنبر طوُوا الصُحف، ورفعوا الأقلام، وجلسوا يستمعون الوعظ مع المؤمنين كما أنبأ الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

هذا الفضل الذي ذكرناه لمن يدخل المسجد قبل صعود الإمام للمنبر، والذي جاء لذكر الله، أما الذي يدخل عند الصلاة فقد حُرم من هذا الفضل، وليس له نصيبٌ في هذه العطاءات الإلهية، ولا هذه الخيرات الربانية، وغير ذلك أيضاً، قال ﷺ:

{ مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ } [55]

---

54 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
55 صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فيكونوا عشـرة أيام، ما دام استجاب وأناب لسيدنا رسول الله ﷺ، أما من يدخل بعد أن يصـــعد الإمام المنبر فلن يأخذ هذا ولا ذاك، وكل ما له أنه لن يُحرر ضـــده محضـــر، لأن من ترك جُمعة واحدة بدون عُذر يُحرر عليه محضـــر، والحكم فيه فوري، يقول فيه ﷺ:

{ مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ } [56]

يعني من ترك جُمعة تهاوناً بها اســـودَّ ثُلث قلبه، ومن ترك جُمعتين تهاوناً بهما اسـودَّ ثُلثي قلبه، ومن ترك ثلاثة جُمع تهاوناً بهم اسـودَّ قلبه كله .. حكمٌ فوري، يسـودُّ ثُلث قلبه إذا ترك الجُمعة بغير عُذر، فكونه يأتي بعد أن يصـعد الإمام المنبر يُعفى من هذا الجزاء، ولكنه ليس له في العطاء الذي ذكرناه، والفضـــل الكريم الذي ذكَّرنا به سيدنا رسول الله ﷺ.

نحن نبيع ونشـتري طوال الأيام في الليل وفي النهار، لكن الله ﷻ حِرصـاً علينا وشفقةً علينا أمرنا عند وقت الجُمعة أن نمتنع تماماً عن البيع والشراء.

الذي عنده محل أو دكان، أو من كان في الســـوق، عندما يســـمع قرآن الجُمعة يغلق المحل ويُؤجل البيع إلى ما بعد الصـــلاة، لماذا؟ لأن هذا وقتٌ قدّســـه الله، ولكي نُكرم بإكرام الله لا بد أن نُعظم ونُكرِّم ما كرَّمه الله : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾

يعني اتركوا البيع والشراء في هذا الوقت.

56 جامع الترمذي وأبي داود عن أدرع الضمري ﵁

لماذا نذهب لصـلاة الجمعة؟ لنسـتمع للوعظ، وأثناء إلقاء الإمام لعظته لا ينبغي على مسـلم أن يتكلم مع جاره بأي كلام، حتى أنه لو وجد اثنين يتحدثان وقال لهما: اسكتا، بطلت جمعته!، قال ﷺ:

{ مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ، فَقَدْ لَغَا }[57]

ومن لغا فلا جُمعة له، يعني ليس له ثوابٌ في الجُمعة، كذلك لا يجوز أثناء خطبة الجمعة - وهذا عمل أُستجدَّ في عصرنا - أن نجد الشباب يتصفحون في هواتفهم المحمولة، فهذا لا يصِحّ مع صلاة الجُمعة، لكن إذا دخلت بيت الله، إما أن تترك المحمول في البيت، أو تُغلقه ولا تلتفت إليه ولا تنشغل به أثناء الجمعة، كذلك تجد البعض أثناء خطبة الجُمعة يمسك بالمسبحة وينشغل بها، فتسأل أحدهم: ماذا تفعل؟ فيقول: أستغفر الله!، والثاني يقول: أنا أذكر الله!، والثالث يقول: أنا أُصلي على رسول الله! ... لكن في هذا الوقت يجب أن تكون كلك آذانٌ صاغية لما يقوله العالم الواقف مكان رسول الله ﷺ.

أعظم عبادة الأُمة تلاوة كتاب الله، فهل يجوز لمسلم أن يترك الإمام على المنبر ويفتح المصحف بحُجة أنه يتلو في كتاب الله؟!! لا، لذلك لا بد أن نترك حتى العبادات والطاعات لكي نُنصت لسماع الموعظة من العالم الذي يجلس مكان رسول الله ﷺ.

---

57 سنن النسائي والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

بعض شبابنا تسأله: لم لا تحضر صلاة الجُمعة من بدايتها؟ يقول لك: الشيخ لا يأتي بجديد، أو يقول: الشيخ لا نعرف كيف نستفيد منه!!، وأنا على يقين أن كل مسلم جاء مُلبياً لنداء رب العالمين، ومُنفذاً للآداب التي سنَّها لنا سيد الأولين والآخرين لا بد أن يخرج من الخُطبة بمنفعة تنفعه في الدنيا، وترفعه يوم الدين، ولو كلمة واحدة، أو حديث واحد.

فليس الشـأن بكثرة الكلام، لأن كلمة واحدة ربما يكون فيها سـعادتي إذا عملتُ بها، وربما يكون فيها صلاح أحوالي إذا نفذتها، لذلك لا بد أن أجلس في المسجد مؤدباً بأدب الله، ولذلك قال لنا الله: ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾.

وعندما يخبرنا الله أن الخير لنا في هذا، فهل فنترك ما اختاره لنا الله ونمشـي على هوانا وعلى حسب نفوسنا؟ لا، بل اختيار الله.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ من كان معه مصـلحة في سـفر، أو من كان معه مصـلحة في تجارة، أو معه مصـلحة في درس أو في أي أمر، يؤديها بعد الصلاة.

ابتغاء فضل الله

ثم أوصـــانا الله ﷻ أن لا ننســـى بعد الصـــلاة شـــيئين هامين لا غنى لنا عنهما أجمعين: ﴿ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ ابحث عن عمل يأتيك به فضـــلٌ من الله، مثل بر الوالدين، وصلة الأرحام، وعيادة المريض، وإصلاح المتخاصمين، وقضاء حوائج الفقراء والمساكين ... ابحث عن أي عمل نافع من هذه الأعمال، فإن هذه الأعمال هي التي ترفع الإنســان يوم الدين مع الصــالحين والمقربين في جوار النبيين والصــديقين والشــهداء والصــالحين .. هؤلاء كانوا حريصين على هذه الأعمال التي كادت تختفي في هذا الزمان، فالإنســان منهم من الجائز أن يكون مشــغولاً طوال الأســبوع، لكنه يُجهِّز لنفسه قائمة لزيارة المرضى ممن حوله ولم يزرهم، وقائمة للأقارب، سـأزور فلان وفلان هذا الأسبوع، وفلان وفلان الأسبوع بعده، لصلة الرحم، وحتى لا تشكوه الرحم إلى الله يوم القيامة، لأن الرحم ستشكو قاطعها يوم القيامة.

العقوق الخفي

وبر الوالدين، فيطوف على الوالدين أولاً ويســـألهم عن أخبارهم، وقد ظهر في هذا الزمان عقوق جديد والناس في غفلة منه اسمه العقوق الخفيُّ.

وكيف يكون هذا العقوق الخفي؟ كثيرٌ من شبابنا يقول: أنا كل شهر أعطي لأبي وأُمي مبلغاً من المال حتى لا يحتاجون لأحد، ويعتقد أن كل ما يحتاجونه هو المال، وطالما معهم المال فلا يحتاجون شيئاً منه ولا من غيره، ونسـي المسكين أن الأبوين الكبار في الســن قد يكون معهما المال، لكن ليس معهم من يقضـــي لهم حاجاتهم بهذا المال.

قد يكون الابن في مكان بعيد أو قريب بمفرده، وتعطلت الكهرباء عند والديه، ولا يستطيع والده أو والدته أن يستدعيا كهربائي، فمن الذي يأتيهما به؟!! وجائز أن يحدث عندهم عُطل في السباكة، وقد يستمر شهور، لماذا؟ لأنهما لا يجدان مَن يُصلح لهما هذا العُطل، فهم يحتاجون إلى من يُصـــلح لهم الأحوال، ومن الجائز أن يمرض الوالد أو الأُم ولا يجدا من يذهب بهما إلى الطبيب، صحيح أن معهما المال، ولكن من الذي يأخذهما للطبيب؟!! فهما يحتاجان إليه هو، وليسا في حاجة لما في يديه.

فبر الوالدين يحتاج أن نلاحظ فيه هذه المهمة المقدسة؛ أن أُعوضهم لبعض ما قاموا لي به في الصِغر، ماذا كانوا يفعلون معي في الصِغر؟ فيحتاجون لي في هذه الحالة، لو قلت وأنا صغير (آه) يسمعونها قبلي ويبحثوا عمن يمنع هذه الـ (آه) وهم أيضاً في هذه السن يحتاجون لمن يرعاهم .. هذه الأعمال التي ذكرناها هي التي قال لنا الله فيها: ﴿ وَٱبۡتَغُوا۟ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ يعني اطلبوا فضل الله، ومجتمعنا الآن قصَّر كثيراً في هذه الأعمال، لذلك نحتاج أن نُحييها مرةً ثانية حتى ندخل في حديث الحبيب ﷺ:

{ مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ }[58]

يعني من يحيي هذه السنن فله أجر مائة شهيد عند الله تبارك وتعالى.

فإذا انتهينا من الصلاة وانصرفنا للبيع أو للتجارة أو للسفر أو لقضاء فضل الله، لابد أن ننتبه: ﴿ وَٱذۡكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ المؤمن لا يغفُل عن ذكر الله طرفة عين، لأن كل لحظة لن تذكر الله فيها في الدنيا ستندم عليها مرتين، مرة عند الخروج من الدنيا وتقول: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (56الزمر) ومرة في الجنة عندما ترى الفضل الكبير وتقول: يا ليتني استكثرتُ من هذا الخير، لذلك المؤمن على الدوام يذكر الله على كل حال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (191آل عمران) المؤمن كحضرة النبي، يقول هند بن أبي هالة رضي الله عنه:

58 الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إِلا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ } 59

كان ﷺ لا يدخل إلا على ذكر، ولا يخرج إلا على ذكر، ولا يجلس إلا على ذكر، ولا ينام إلا على ذكرٍ لله تبارك وتعالى، وكان يقول: { تَنَامُ عَيْنِي، وَلا يَنَامُ قَلْبِي } 60

لأنه مشغول بذكر الله ، الشيخ كمال الدين الأخميمي ﷺ، وكان من كبار علماء السادة الحنيفية وكان من أهل البصيرة والكشف والنورانية، ذهب ليزور سيدي عبد الرحيم القنائي في ضريحه المبارك بعد وفاته، فيقول ويحكي: عندما ذهبتُ إليه خرجت يده الشريفة من القبر فصافحته وسلَّمتُ عليه، وقلت له: يا سيدي أوصني، قال: يا بُنيَّ لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين، فأنا كما ترى في روضات عالين، ولكني أقول: يا حسرتى على ما فرطّت في جنب الله!!. هل هناك أحد يدخل الجنة ويندم؟! نسأل حضرة النبي؟ قال ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا } 61

فالمؤمن الذي يُحبه الله، ويريد أن يستزيد من فضل الله وإكرام وعطاء الله، لا يغفُل عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل، ولذلك قال الله: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠)

59 الطبراني والبيهقي عن هند بن أبي هالة ﷺ
60 صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
61 معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

عندما يقول لنا الله: "كَثِيرًا" فهل كثيراً هذه لها حدود؟! ليس لها حد أبداً، فالإنسان مهما يذكر الله، هل يذكر الله ذكراً كثيراً؟ مستحيل، ولكن يكفيه أن يكون من: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ (35الأحزاب) وهذا في المقام الأعلى عند الله.

سـيدنا رسـول الله ﷺ فُرضـت عليه صـلاة الجُمعة عندما هاجر إلى المدينة المنورة، وأثناء صلاة الجُمعة كان هناك رجل من الصحابة البررة الكرام اسمه دِحية الكلبي، وكان تاجراً، فجاءته تجارة من بلاد الشام وقت الصلاة، وكانت تجارة كبيرة، وكانت المدينة في وقتها في شدِّة شديدة، يعني يحتاجون إلى هذه البضاعة، وكان من عاداتهم أن يستقبلوا التجارة القادمة من بلاد الشام بالطبول والأغاني الطيبة فنادى جماعة: التجارة وصلت، فخرج الذين في المسجد ليستقبلوا هذه التجارة وتركوا سيدنا رسول الله على المنبر، ولم يبق معه إلا حوالي اثني عشر فرداً، وهناك رواية تقول: أنهم أربعين فرداً، الإمام مالك أخذ بالرواية التي تقول: إنهم اثنى عشر، وقال: الجُمعة لا تنعقد إلا إذا حضر اثني عشر مُصلياً قبل أن يصعد الإمام المنبر، فإذا لم يتم الإثنى عشر يصلونه ظهراً، والإمام الشافعي أخذ الرواية الثانية، فقال: لا تنعقد الجمعة إلا بأربعين مُصلياً، جاءت بعد ذلك تجارة أُخرى في جُمعةٍ أُخرى،

وجُمعة ثالثة، فتكرر الموقف، وكان سيدنا رسول الله في هذا الوقت يصلي صلاة الجمعة كصلاة العيد، يعني يُصلي أولاً وبعدها الخطبة، وهم لأنهم صلُّوا الجُمعة فهموا أن الأمر مُباح وخرجوا على هذا الأساس، فعاتبهم الله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَـٰرَةِ ﴾.

فلما نزلت هذه الآية قدَّم سيدنا رسول الله ﷺ خطبتي الجمعة أولاً وأخَّر الصلاة، فأصبح الوضع كما نسير عليه الآن، الخطبة أولاً وصلاة الجُمعة بعد ذلك.

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ ما دُمت مع الله فاعلم علم اليقين أن رزق الله لن يفوتك، وإنما يأتيك رزقك كما يأتيك أجلك، فأنت تطلب الرزق والرزق يطلبك حتى يعثر عليك.

وهذا يحتاج من الإنسان أن يعتمد أولاً على تقوى الله وطاعة الله، ويؤدي ما فرضه عليه الله، ويثق ويعلم علم اليقين أن رزق الله سبحانه وتعالى واصلٌ إليه لا محالة، قال ﷺ

{ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا } [62]

---

62 مسند الشافعي والبيهقي

لن يخرج أحدٌ من الدنيا ولا يزال له تموين لم يُصرف من مكتب رب العالمين، فقبل أن يخرج من الدنيا لا بد أن يستوفى تموينه من الهواء ومن الضياء والنور ومن الطعام ومن الماء، ومن كل أنواع التموين التي جهَّزها لنا رب العالمين، وهذا أمرٌ ضمنه الله ، فعلينا أن نعمل بذلك أجمعين إن شاء الله رب العالمين.

لذلك نريد أن نُحي مرة ثانية صلاة الجُمعة بآدابها وسننها ومستحباتها حتى يُحي الله قلوبنا، ويُحي الله بلادنا بالخيرات يجعلها مباركات، ويُطبق علينا قوله في مُحكم الآيات:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

(96الأعراف) لم يقُل لفتحنا عليهم خيرات، فالخيرات كما هي ولكنه سيضع فيها البركة، والقليل يقوم مقام الكثير.

ما نحتاجه في زماننا كزمان سيدنا رسول الله تماماً بتمام في البركة، البركة في الرزق، والبركة في الصـــحة، والبركة في الأولاد، والبركة في الأوقات، والبركة في الدور، والبركة في الأعمال .. والبركة في كل شيء، إذا نزَّل لنا الله البركات فستفيض عنا الخيرات، ولن يُحوجنا الله إلى المسـاعدات، ولا المعونات، لا من الشـرق ولا من الغرب.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُصلح أحوالنا، وأن يُصفي نفوسنا، وأن يُطهر قلوبنا، وأن يُبلغنا فيما يُرضيه أعمالنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يٰأيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموٰلكم ولا أولٰدكم عن ذكر الله ۚ ومن يفعل ذٰلك فأولٰئك هم الخسرون ۝٩ وأنفقوا من ما رزقنٰكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصٰلحين ۝١٠ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ۚ والله خبير بما تعملون ۝١١ ﴾ (المنافقون)

4.المسارعة إلى الصالحات [63]

بِسْــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمـد لله الفتـاح العليم الوهـاب الرزاق الكريم، والصــلاة والســلام على نبينا ســيدنا محمد الذي وصــفه ربُه في القرآن الكريم فقال: ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (128التوبة) صـــلى الله عليه وعلى آله الرحماء، وأصـــحابه الأتقياء الأنقياء وكل من تابعهم على هذا الهُدى والنور حتى انتظم معهم في سلك عباد الله السُــعداء، واجعلنا منهم ومعهم في الدنيا ويوم العرض والجزاء أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

لا بد لكل إنســان انتســب إلى دين الإســلام من جهاد، والجهاد يكون على حسـب نوايا العباد، منَّا من يُجاهد ليدخل الجنة، ومنَّا من يجاهد ليحصُـــل على كمال المنَّة وهي القُرب والوداد من رب العباد تبارك وتعالى ... ولكلٍ جهاده، لكن لا بد من الجهاد للجميع، أما الطالبون للجنة فســـمَّاهم الله أهل اليمين، لأنهم يعملون عمل أهل اليمين، وأهل الشمال عملهم يؤدي إلى البوار وإلى جهنَّم وبئس القرار.

63 الأقصر – ساحة الشيخ حسن الدح بالبياضية - 27 من صفر 1440هـ 2018/11/5م

جهاد أهل اليمين

فأهل اليمين يُجاهدون في العمل بفرائض الله التي فرضـــها الله تبارك وتعالى علينا كما يُحب ويرضـــى، ودرجاتهم عند الله على قدر محافظتهم على العمل الموافق لرضـــا ربهم، فيُحافظون على الصــلوات الخمس، لكن ليس من أدَّاها في أول الوقت كمن أخَّرها عن أول الوقت في القدر وفي المقام وفي الرتبة عند الملك العلام: ﴿ حَـٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ (238البقرة).

جعل الله ﷻ ميقاتاً للصــلاة، وبيَّن الحبيب فضــائل هذه المواقيت، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (103النســـاء) وقال النبي ﷺ في بيان درجات المحافظين على الصلاة:

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ } [64]

فجهاد أهل اليمين في المحافظة على ما فرضـــه علينا رب العالمين، بالطريقة المرضـــية الإلهية التي ذُكرت في القرآن المبين، والتي كان عليها ســـيد الأولين والآخرين لينال أعلى الدرجات في جنات النعيم عند رب العالمين تبارك وتعالى.

---

64 سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي ﵁

وتفصيل هذا الأمر لا يعنينا كثيرا، لأني أرى أن مُعظم الحاضرين إن لم يكونوا من المقربين، فأراهم يقدمون طلبات بأرواحهم وقلوبهم ليلحقوا بركب المقربين، نسأل الله أن نكون من المقربين أجمعين: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الواقعة) لهم راحٌ ولهم ريحان فضلاً عن جنة النعيم، والراح بغير قداح من يد الكريم الفتاح، والريحان أنواع المواصلات الإلهية التي تتوالى على أراوحهم التقية النقية من المشاهدات والتجليات والتنزلات والأسرار العاليات الغاليات التي لا يستطيع الإنسان كشفها بالكلمات، ولكن كما يقول أهلها: ذُق تعرف.

جهاد المقربين

هؤلاء المقربون لهم جهاد فضلاً عن جهاد أهل اليمين، يعني هم أسبق الناس في جهاد أهل اليمين، وبالإضافة إلى ذلك لهم جهاد خصَّهم به ربهم ليكون لهم شرفٌ أن يكونوا من المقربين.. سنأخذ بعض أنواع هذا الجهاد، وأنا أرى أنها عُمُد هذا الجهاد لمن يُريد أن يكون من المقربين، ولذلك ينادي الله ﷻ علينا فيقول: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وكلمة آمنوا يعني صدَّقوا، صدَّقوا بالله، وبرسول الله، وبكتاب الله، وبدين الله تبارك وتعالى.

﴿ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ فهموا الحكمة العالية من فرائض الله، فقد فرض الله الصــلاة لحكمٍ لا تُعد ولا تُحد، ومن جُملتها في آية واحدة من كتاب الله: ﴿ إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (45العنكبوت) ولكن الحكمـة الأعظم منها: ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ (45العنكبوت) وفيها معاني: فقد يكون ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة، لأن الصلاة في أوقات محدودة، لكن ذكر الله على الدوام، وإذا تذكَّر العبد مولاه حبس نفسه عن معصية الله، وكان دائماً مُوفقاً لطاعة الله تبارك وتعالى في عُلاه.

وقد يكون ذكر العبد لمولاه في الصلاة أكبر من الصلاة: ﴿ وأقم الصلوة لذكرى ﴾ (14طه) فذكر الله الذي نُردده في الصلاة أكبر من الصلاة.

وقد يكون ذكر الله لعبده إذا ذكره في الصلاة، وهذا لا شك أعظم وأكرم، قال الله تعالى في الحديث القدسي:

{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ } [65]

65 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

أيهما أعظم، ذكرك لله،أم ذكر الله ﷻ لك؟!! وذكر الله تبارك وتعالى لك ليس معناه أن ينطق باسمك، ولكن يقضي لك الحوائج التي تطلبها من حضرته، فإذا ذكرته تبارك وتعالى طالباً الشــفاء، يذكرك ﷻ فيمنحك الشــفاء، وإذا ذكرته ﷻ لِهَمٍّ ملكك، يذكرك ﷻ فيكشــف عنك هذا الهم، وإذا ذكرته ﷻ لضــيق رزق، يذكرك ﷻ بتوسـيع هذا الرزق، فذكر الله على الدوام هو أن يقضـي لك، ويستجيب لك فيما يراك تعرضـه على حضـــرته، وتتوجَّه إليه تبارك وتعالى وأنت في الصــــلاة، فالحكمة الأعلى من الصــلاة ذكر الله، وفريضـــة الحج: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ﴾ (198البقرة) فالغاية العُظمى من الحج هي الذكر: ﴿ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ (28الحج) ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ (203البقرة) كل عبادة الحج الغاية العُظمى منها ذكر الله تبارك وتعالى.

المداومة على ذكر الله

عرف المقربون أن الغاية العُظمى من جميع العبادات - ولا نستطيع سردها وعدَّها - هي ذكر الله، فعلموا أن الأصل الأول الذي به يبلغ العبد مناه، وبه يبلُغ درجة القُرب ويكون من المقربين عند الله، أن يُديم على ذكر الله في كل الأحوال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (191آل عمران) في كل حالاتهم يذكرون الله تبارك وتعالى.

هل لذكر الله ﷻ عددٌ محدد حدَّده الله ﷻ للذاكرين؟ يعني هل وردي ووردك في اليوم والليلة أن نذكر الله – مثلاً - ألف مرة أو أكثر أو أقل؟ نسأل كتاب الله؟ يقول الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (41الأحزاب) وكثيراً هذه من يستطيع أن يعرف حدودها؟!، هل يوجد أحدٌ من الأولين أو الآخرين يستطيع أن يذكر الله الذكر الكثير؟!، أبداً لأن الذكر الكثير لله ليس له نهاية.

الذكر الكثير

ومعنى الذكر الكثير يقول فيه سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ وأرضاه: أخذتُ في ذكر الله ﷻ حتى أُخذتُ عن نفســي، فرأيتُ العين تذكر، والأُذن تذكر، وكل شَـــعرةٍ تذكر، وكل حقيقة من حقائقي تذكر الله بلســـان عربيٍّ مبين، وهذا هو الذكر الكثير، لأننا نذكر باللســان، لكنه يذكر بكل الأعضــاء، وإياك أن تُنكر هذا الأمر، لأن هذا أمر الكُمَّل من العارفين، يذكرون الله بكل أعضــائهم، وبكل شـــيء لهم حتى يتأثر بذلك من حولهم، فيذكر الله تعالى معهم ... وسيدنا رسول الله ﷺ ضرب مثالاً في ذلك لصحبه المباركين، يقول سيدنا أبو ذر ﷺ:

{ إِنِّي لَشَــاهِدٌ عِنْدَ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصَــيَاتٌ فَسَــبَّحْنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْـمَعُ تَسْـبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَــبَّحْنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْــمَعُ تَسْــبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا } [66]

66 دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر ﷺ

ليُعرِّفنا أن هؤلاء الذين بلغوا هذا المقام الذي يقول فيه الله في كتابه وقرآنه: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (44الإسراء) نحن لا نفقه، لكن هناك أُناسٌ يفقهون هذا التسبيح، فكل ما في الوجود يذكر الله، وكل ما في الإنسان يذكر الله، فإذا وصلت إلى الحالة التي تستمع فيها إلى ذكر الله فيك وفي الآفاق، فهذا هو الذكر الكثير، لأن الكل يذكر الله تبارك وتعالى ... لكن الذكر باللسان ذكرٌ يسير وبسيط، ومع ذلك هو البداية، فلذلك لا بد أن نبدأ بهذا الأمر المبارك، ولذلك كان يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ: لا تترك الذكر لوجود الغفلة فيه، فرُبَّ ذكر مع وجود غفلة ينقلك إلى ذكر مع حضور، وذكر مع حضور ينقلك إلى ذكر مع شهود وجه المذكور تبارك وتعالى.

فأنت لا بد وأن تسير في هذه الدرجات، سيدي أحمد الرفاعي ﷺ لما أراد خاله سيدي منصور الباز البطائحي ﷺ أن يستخلفه، وكان عنده أولاد، فزوجته غضبت وقالت: كيف يترك أولاده ويستخلف ابن أُخته؟! مع أنه كان يتيماً وخاله الذي ربَّاه.

فكلَّمت كبار المحبين المحيطين به ليستخلف أحد أبناءه، فكلَّموه، فقال لهم: ائتوني بالإثنين وقال لهما: أنا أريد أن يأتيني كل واحدٍ منكما بحِمل حشيش من الجبل، فخرج ابنه مسرعاً وجمع الحشيش وأكثر منه وحمَّله على ركوبة وأتى به.

وسيدي أحمد الرفاعي لم يأت حتى انتصف النهار، فقال: أين أحمد لِمَ لم يحضر؟! اذهبوا إليه وأتوني به، فذهبوا وأتوا به وليس معه شيء، فقال له: لِمَ لم تأتي بما أمرتك؟ قال: ياسيدي كلما أردتُ أن أقطع نبتةً من الأرض سمعتها تذكر الله فأستحي من الله ﷻ أن أقطعها وهي تذكره، فقال لهم: هل رأيتم الفارق بين الإثنين؟! فقالوا: سلَّمنا ... وصل إلى مقام يسمع فيه الكائنات وهي تذكر مكوِّن الكائنات، ومُبدع الأرض والسماوات.

الانشغال بالله عما سواه

أهل اليمين ينشغلون أحياناً بطاعة الله في المناسبات الطيبة، كشهر رمضان، وفي يوم عرفة، وفي يوم عاشوراء، وبعد ذلك يركنون للأولاد، والمصالح التي تجلب الأموال، والمشاكل التي يتعرضون لها، وهذا الذي يُؤخرهم عن الرُتبة العلية، فقال الله تعالى للذين يُريدون المراتب الهنية وأن يكونوا من المقربين: ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ يعني لا تشغلكم ... إياكم أن يشتغل أحدكم بجمع حطام الدنيا الفاني عن ذكر الله تبارك وتعالى، وخاصة أن الله ﷻ يسَّر الذكر للذاكرين، فما التعب والعناء الذي تتحمله لتذكر الله؟!. .. في البداية حركة اللسان وهي سهلة، ولا يطلب منك في ذكره ﷻ الوضوء، ولا الجلوس في المسجد،

ولا الإتجاه للقبلة، ولا حتى الطهارة، يعني حتى الإنســـان إذا كان في حالة الجنابة ينبغي عليه أن لا يسهو عن ذكر الله وهو في هذه الحالة ! يعني لا يقول أنتظر حتى أغتســل وأذكر! لأنها لا تمنع عن ذكر الله ومن الاســتغفار ومن الصــلاة على حضــرة النبي ﷺ .... فما الذي يمنعني أن أذكر الله وأنا أســير في الطريق؟! أو وأنا أتهيأ للنوم، أو وأنا في أي مواصلة من المواصلات، هل يوجد مانع؟! المانع هو عدم توفيق الله تبارك وتعالى، لكن علامة التوفيق هي ذكر الله على الدوام، سُــئل أحد الصــالحين: كيف أعرف أن الله يُحبني؟ فقال رضــي الله تبارك وتعالى عنه: إذا أحب الله عبداً ألهمه ذكره! ... الذكر على الدوام، حتى أنه من كثرة ذكر الله بلسانه ينام وهو يذكر الله، فيســتيقظ من النوم فيجد قلبه وهو يذكر الله، ويســمع القلب وهو يذكر الله، وإذا تكلم مع أحد فيتكلم معهم باللسان وهو يسمع وجيب القلب بذكر حضرة الرحمن !! وهذا حال الصالحين.

أعلى المقامات في سورة الأحزاب لمن؟ ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (35الأحزاب) لنعرف أن هذا المقام ليس خاصَّــاً للرجال فقط، ولكن للرجال وللنساء معاً.

لحظة مفارقة الدنيا الإنســـان يحزن حزناً شــديداً جداً على كل لحظة مرَّت عليه دون ذكر الله، لأنه لن يســتطيع تعويضـــها، ويقول: لِمَ لم أســتزد من طاعة الله؟! ولِمَ أوقعتُ نفسي في هذه الغفلة في هذه اللحظة عن ذكر الله؟! حتى أن الحبيب ﷺ قال:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا } [67]

فعندما يروا في الجنة الدرجات والقربات والخيرات فيقولون: لِمَ كنا نُقصـــر في طاعة الله؟!! ولِمَ كنا نقضي الوقت في الغفلات؟!!.

الاستعانة بذكر الله على إتمام الأعمال

فالإنســان الذي يريد مقامات المقربين يلهج لسـانه بذكر الله على الدوام، ولا يدع شيئاً من أمور دنياه يشغله عن ذكر الله، والذي يُريد أن يتم له أي عمل سريعاً، وتأتيه المعونة من الله، عليه أن يسـتقبل هذا العمل بذكر الله ، وهذا ما ذكر ه الله في أكثر من موضع من كتاب الله، حتى الحرب:

﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (45الأنفال)

تريدون الفلاح في الحرب اذكروا الله على الدوام.

67 معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

وكانت وصـــية الدكتور عبد الحليم محمود رضـــوان الله تبارك وتعالى عليه لجنودنا في 1973 وكان في وســـطهم هناك، فقال لهم: إياكم أن تتركوا التكبير، فأهم شـــيء أن تُكبروا الله، وكان ســـلاح التكبير كأنه ســـلاح الرُعب الذي ألقاه في قلوب أعدائهم اللطيف الخبير، عندما يســـمعون التكبير تتزلزل الأرض من تحت أرجلهم ويحدث لهم هلعٌ وخوفٌ شـــديد وجُبن ويفرون، من أين هذا؟ من التكبير، فلا بد للإنسـان حتى لو يريد أي أمر من أمور دنياه أو معاشـه أو معاده أن يسـتكثر من ذكر الله، كان ﷺ ماشياً من المدينة وذاهب إلى مكة وبجواره جبل اسمه (جُمدان) فقال:

{ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ }[68]، وفـي روايـة أخـرى قـال: { سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا }[69]

وبيَّن ﷺ فائدة كلمة التوحيد ولو لمرةٍ واحدة، فقال ﷺ:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا طُمِسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ }[70]

---

68 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
69 جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
70 مسند أبي يعلي الموصلي واتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن أنس رضي الله عنه

إذا قال العبد (لا إله إلا الله) ذهبت إلى صحيفته، فماذا تفعل؟ تمحو كل السيئات إلى أن تجد حسنة تقف بجوارها: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (114هود).

إذاً الإنســان الذي يريد أن يلحق بمقامات المقربين ... لا يســمح لأي شــيء ولو كان عزيزاً عنده أن يشغله عن ذكر الله ﷻ، والله ﷻ ذكَّرنا بأعز ما نملك وهو المال، ..

وأعز ما نُحب وهم الأولاد، فحتى ولو كان أعز ما تملك وأعز ما تُحب إياك أن يشغلوك عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل.

والذي ينشغل فكما وضَّح الله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ هؤلاء لن ينجحوا في نتيجة المقربين، لأنهم لم يمشوا على المنهج الذي رسمه رب العالمين، والذي كان عليه سيد الأولين والآخرين، والذي يقول فيه هند بن أبي هالة ﵁:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إِلا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [71]

كان رســـول الله ﷺ لا يدخل إلا على ذكر الله، ولا يخرج إلا على ذكر الله، ولا يجلس إلا على ذكر الله، ولا يقوم إلا على ذكر الله، ويذكر الله على كل أحيانه، وإذا نام يقول:

71 الطبراني والبيهقي عن هند بن أبي هالة ﵁

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }[72]

فمن أراد أن يكون معه يمشي وراءه في هذا الهدي النبوي الكريم.

البذل والإنفاق

الباب الثاني للجهاد وهو الدليل والبرهان على صـــدق الإيمان، وعلى حُب حضـرة الرحمن، وعلى حُسن الاتباع للنبي العدنان؛ أن يجود الإنسان بما عنده، ولم يضع الله ﷻ حدّاً للجود، وإنما من رأفته ورحمته وشفقته، لم يقُل: وأنفقوا ما رزقناكم، فلا تُخرج كل ما عندك، ولكن قال: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ لكي يُوسّع الدائرة.

فإذا رزقك مال تُنفق من هذا المال وليس كله، وإذا رزقك علم تُنفق من هذا العلم ابتغاء وجه الله، وإذا رزقك جاه تُنفق من هذا الجاه في توصـــيل من لا يســتطيعون الوصول إلى قضاء حوائجهم في الأماكن التي تحتاج إلى الوجاهة والجاه، وإذا رزقك حكمة تُنفق من الحكمة في الإصـــلاح بين المتخاصـــمين، والتقريب بين المتباعدين، والباب واسع، وكلنا لنا نصيبٌ في هذا الباب، لأن البعض يأخذ هذا الأمر على أنه من المال فقط، لكن ليس المال فقط، ولكن لا بد أيضاً من المال، وسيدنا رسول الله أراحنا وقال لنا:

72 صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ } 73

كان يقول سيدي أحمد بن عطاء السكندري ﷺ: (صلِّ ركعتين في كل ليلة في جوف الليل تُكتب عند الله في ديوان القائمين، وأنفق كل يوم ولو درهم تُكتب عند الله في ديوان المتصدقين).

فالأمر ليس بكثرة ولا بقلة، ولكن بالنية، دعا رسول الله ﷺ إلى الصدقة ذات يوم، فجاء رجلٌ بألف درهم، وجاء بعده رجلٌ بدرهم، فقال ﷺ:

{ سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا } 74

لماذا؟ صاحب الألف درهم عنده آلافٌ كثيرة والألف لا تساوي شيئاً بالنسبة له، والذي جاء بالدرهم لا يملك غيره، فهل هذا يتساوى مع ذاك، فالأعمال هنا بالنية:

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ } 75

لكن لا بد للمرء من دليل وبرهان على صدق الإيمان بأن يفكَّ يده ويكون من أهل الإحسان حتى يحظى بقول الرحمن: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (60الرحمن).

---

73 البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ
74 سنن النسائي وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ
75 البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

أنا أرى أن مرض الشُح زاد في مجتمعنا مع كثرة الخيرات، وأيام آبائنا وأجدادنا كان الخير قليل لكن العطاء كان كثير، كان الناس لا يقيمون للدنيا وزناً، ويتصـــدقون يرجون ما عند الله تبارك وتعالى لليقين.

ما الدليل على اليقين؟ أن الإنســـان لا تكون الدنيا في قلبه، ولكنها في يده، فإن كانت في يده ســـهل عليه أن يُنفقها هنا أو هنا، لكن إن كانت في قلبه صـــعب عليه أن ينفق، حتى مع المواعظ، ومع الإرشـــادات، ومع الحكم، وحتى مع الطلب، تجده يُفكر ويُدبر كيف يُخرج هذا القرش؟!! لكن كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: (اللهم اجعلها في أيدينا، ولا تجعلها في قلوبنا) ولذلك كانوا يجودون بها في غاية السهولة.

كان التجار منهم كســـيدنا عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم رضـــي الله عنهم، تأتيه التجارة وقد يربح منها ما لا يُعد ولا يُحد من الأرباح الدنيوية، لكن تأتي في حالة قحط أو شُـح فيتصـدق بها كلها على فقراء المسـلمين ولا يبغي بها إلا رضاء رب العالمين .

فالجهاد الثاني الذي يُوصِّل إلى رُتب المقربين:

- الجهاد في البذل، أي بذل ما يستطيع الإنسان بذله مما رزقه الله من أي رزق طلباً لمرضاة الله.

إذا الإنســـان وفَّقه الله لهذين الأمرين نبشـــره ويبشـــره مولاه بأنه ســـيكون يوم القيامة، وفي الدنيا قبل الآخرة: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (69النساء).

ومن لم يُوفَّق لهذا الجهاد عندما يأتيه أمر الله: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾

يقول لملك الموت: أجِّلني يوم، فيقول له: ليس لك يوم، فيقول: أجلني ســاعة، يقول له: ليس لك ساعة، جاء أمر الله ولا تغيير لقضاء الله جل في عُلاه:

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ ﴾ حتى أُعوِّض ما فات، ولكن:

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١ ﴾.

نســـأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده المقربين، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين لله ذكراً كثيرا، وأن يجعلنا من عباده المتصـــدقين والمنفقين، وأن يوفقنا للأعمال التي ترفع قدرنا عنده وتجعلنا من المقربين، وأن يكتب لنا في الدنيا الســـداد والتوفيق في كل أحوالنا وكل أعمالنا أجمعين، وأن يجعلنا من الذين يســـتمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذالك على الله يسير ۝٧ فءامنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير ۝٨ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذالك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهر خالدين فيها أبدا ذالك الفوز العظيم ۝٩ ﴾ (التغابن)

5.أركان الإيمان [76]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بهُداه، وزاد في اكرامنا فأرسل لنا حبيبه ومصطفاه، وأنزل لنا خير بيان أنزله إلى خلق الله وهو كتاب الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل في حديثه النبوي:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ } [77]

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه ومشى على نهجه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

علم البدء وعلم النهاية

كانت أول علوم يُعلِّمها سيد الأولين والآخرين ﷺ للمبتدئين في الإسلام علم البدء وعلم النهاية، إذا عرف الإنسان بدايته، وعلم الإنسان نهايته، وعلم بعد ذلك سر خليقته، فإنه يمشي في الدنيا كما أمر الله، ويستقيم على منهج الله تبارك وتعالى.

خلق الله ﷻ أرواح الخلق أجمعين، وجمعهم وأخذ عليهم ميثاقاً أشار إليه في كتابه المبين،

76 الأقصر – مسجد سيدي يوسف الحجاجي - 27 من صفر 1440هـ 2018/11/6م
77 مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ

فقـال: ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غفلين ﴾ (172الأعراف).

قبل خلق جسـم آدم من عناصـر الأرض خلق الله ﷻ الأرواح كلها جملةً واحدة، ما ظهر منها وما لم يظهر إلى يوم القيامة، وأعطى لكل روح صورتها، وخصوصيتها التي خصَّــها بها الله تبارك وتعالى، وبعد ذلك جاء إظهار الأرواح في أجســام تتكون من عناصــر الأرض، وكان أول جســم يظهر هو جســم ســيدنا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

أشار إلى هذا التدريج الإلهي قول الله تبارك وتعالى، واسمعوا معي وعوا:

﴿ ولقد خلقنكم ﴾ جميعاً ﴿ ثم صورنكم ﴾ جميعاً، وثم للتراخي يعني بعد فترة طويلة ﴿ ثم قلنا للملئكة اسجدوا لأدم ﴾ (11الأعراف) فأرواحنا كلنا قد خُلقت وصُــورت قبل خلق آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمُّ السلام.

وأخذ الله ﷻ علينا عهداً وميثاقاً كما ذكر في مُحكم القرآن: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ لم يقولوا: سمعنا، ولكن قالوا: (شهدنا) شهدنا جمال الله، وسمعنا كلام الله، وأجبنا خطاب الله، بحقائق روحانية أوجدها فينا الله تبارك وتعالى وقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وهذا خطاب الله، ونحن شهدناه وسمعناه، فأطلق الله التحذير الإلهي: ﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (172الأعراف).

ولذلك عندما جاء الأنبياء والمرسلون وإمامهم وسيدهم ﷺ سيدنا محمد، لم يقُل الله تبارك وتعالى له: (وعلِّم)، بل قال له: ﴿ وَذَكِّرْ ﴾ (55الذاريات) أي فكَّرهم بالعهد الذي أُخذ عليهم في الميثاق الأزلي قبل خلق الأكوان، وقبل وجود جسد آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، .. وبيَّن حقيقة هذا العهد سيدنا الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه، كان يحُج بيت الله الحرام مع أمير المؤمنين في زمنه عمر بن الخطاب ﷺ، وعمر بن الخطاب كان له نهجٌ إلهي؛ يريد أن يُباعد بين العرب وبين الشرك الجليِّ، لأنهم كانوا حديثي عهدٍ بالأصنام والأوثان، فالشجرة التي بايع رسول الله ﷺ أصحابه تحتها وهي بيعة الرضوان، وجد الناس يذهبون إليها ويتمسَّحون بها ويجلسون حولها، فقطعها حتى يكون الإنسان على صلة مباشرة بحضرة الديان، فجاء إلى الحجر الأسعد واستلمه وقبَّله، ثم قال له:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّك حَجَرٌ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ } وكان عمر في مشهد عالٍ، فلا يشهد الضار النافع إلا الله تبارك وتعالى، ولا يرى الأسباب لرؤيته بالكلية لمسبب الأسباب ، فقال الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه:{ إنه يضر وينفع، وذكر أن الله لما أخذ المواثيق على ولد آدم كتب ذلك في رق، وألقمه الحجر، قال : وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد }.[78]

مُسجَّل فيه الكتاب الذي وقَّعنا عليه أجمعين، كتاب الأزل القديم بوحدانية الله، ومعاهدة الله جل في عُلاه، لأننا إذا جئنا إلى الدنيا نُوحده ولا نُشركُ به شيئا، ونُطيعه ولا نعصاه، ونذكره ولا ننساه، ونشكره ولا نكفر نُعماه، وهذا مُجمل العهد الأزلي.

فكل إنسان له زمنٌ للإمتحان في العهد الذي أخذه عليه حضرة الرحمن، وعندما يأتي ميعاد الإمتحان يُهيئ الله ﷻ له بدناً (جسماً) من عناصر الأرض، يتغذَّى من عناصر الأرض، ويلبس من عناصر الأرض، ويبني بيتاً يُكنُّه من الحر والبرد من عناصر الأرض، ليحمل الساكن وهي الروح التي هي حقيقة الإنسان التي أقرَّت بالوحدانية لحضرة الرحمن .

---

78 حديث (إن لأعلم ..) صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه، والثانى من شرح البارى فى حديث البخارى وفيه
(وروى الحاكم من حديث أبى سعيد أن عمر لما قال هذا، قال له على بن ابى طالب: وذكره).

ويمشــي في الأكوان لكي يأتي بالدليل والبرهان على صــدق الإيمان الذي عاهد عليه الرحمن: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (23الأحزاب) وهنا يظهر صدق الإيمان في هذه الحياة الدنيا ... أما الكافرون والمشركون والجاحدون فقد أقرُّوا لله تبارك وتعالى بالوحدانية في يوم الميثاق قهراً، لأنه واجههم بجلاله، فلما ظهروا في الدنيا تمردُّوا، وبدأ يظهر منهم ما يدل على نكرانهم للجميل، وكُفرانهم لهذا السبيل، ولذلك حادوا عن الطريق الذي رسمه الله ﷻ لعباده المؤمنين.

دحض حجج الكافرين

وفي الآيات التي معنا يُخاطب الله الفريقين؛ الفريق الأول وهم الملحدون، وهؤلاء كانوا منذ بدء الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن البعض يقول: ظهر المُلحدون في هذه الأيام، لكن المُلحدون منذالأزل، فكان هناك ملحدون أيام حضرة النبي، وكان هناك ملحدون أيام الأنبياء السابقين، هو أمر الله ولا بد منه، لأنه قال: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (7الشورى) وكل واحدة لها أهلها، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ } [79]

وليس معنى يمينه أن له يمين كيميننا، حاشا لله!! ولكنه تقريبٌ للحقيقة، فلا بد أن يكون فريقٌ هنا، وفريقٌ هناك، أهل النار كذبوا المرسلين وقالوا: هذا النبي بشرٌ مثله كمثلنا، فلماذا خصَّه الله بالرسالة؟ ولماذا لم يرسل لنا الرسالة مباشرة؟ وهذا اعتراض على الأُلوهية لأن الله يقول في قرآنه:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (124الأنعام)

يختار ما يراه صالحاً في تنفيذ رسالات الله.

اعترضوا على الرسول، وقبله على المرسلين، مع أنهم يعلمون أنه أفضلهم وأكرمهم في كل النواحي والميزات!! ولذلك يقول الله تعالى لحبيبه ومصطفاه: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (33الأنعام) كان إذا سُئل أي واحد منهم عنه فيقول: أفضلنا نسباً، وأكرمنا خُلقاً، وأعلانا شرفاً، إذا كان كذلك فلماذا لا تتبعوه وتصدقوه؟!!.

79 مسند البزار والطبراني عن أبي موسى ﷺ

وهو ذاته ﷺ عندما بُعث بالرسالة جمعهم كلهم وقال:

{ أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ } [80]

ما هذا؟!

طبيعة الإنسان في كل زمان ومكان: أنه يُريد أن يمشي على هواه، ويفعل ما يتمناه، ولا يريد من أحد أن يقول له: هذا حلال وهذا حرام، بل يريد أن يفعل ما يريده ولا يوجد حلال ولا حرام.

ولذلك لو بحثت عن كل الحركات الإلحادية قديماً وحديثاً نجد أن هذا هو السبب!! لأنه يريد أن يمشي على هواه، ويرى أن الدين قيداً له، لأن الدين يقول له: هذا حلال فكُل منه!، وهذا حرام فلا تقربه.

والدين لم يُحرِّم شيء أبداً، ولكن نظَّم، فلم يُحرِّم النساء ولكن جعل هناك تقنين وتشريع إلهي لحفظ الأنساب، فالزواج يكون بطريقة كذا، ولكنه لا يُريد ذلك التشريع، بل يُريد أن يمشي على هواه، وهذا سرُّ تكذيب المكذبين للأديان التي نزلت من رب العالمين على أيدي الأنبياء والمرسلين.

---

80 البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

وبعد أن اعترضـوا على النبي، عادوا فاعترضـوا على جزئية مهمة وقالوا: هل إذا متنا سـنُبعث مرة ثانية ونُحاسـب؟! كيف يكون ذلك؟ حتى أن أحدهم جاء للنبي ﷺ بعظم جمل وكان على وشك أن يذوب، وقال له:

{ يَا مُحَمَّدُ، أَتَرَى اللَّهَ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا قَدْ رَمَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَيَبْعَثُكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ } [81]

فكذبوا بالبعث بعد الموت، وكذبوا بالقيامة، لماذا؟ ما الذي يجعل الإنسـان يمشـي متزناً في حياته الدنيا؟ إذا عرف أنه في يوم سيُعرض على الله، وسيُحاسـب على كل ما فعلت يداه، لكن لو لم يكن هناك حسـاب ولا حقوق، فإن كل إنسـان سـيمشـي على هواه، والقوي يأكل الضـعيف، والغني يأكل الفقير، وتكون الأُمم كلها همجية أكثر من الحيوانات في البرية.

لكن ما الذي يُنظم العالم؟ عندما يعلم الناس أن هناك حسـاب، وهناك بعث، ومن يستطع بحيلة من الحيل أن ينفذ في الدنيا من قضية، كيف ينفذ يوم لقاء رب البرية ؟!.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ ﴾

81 جامع البيان للطبري وأسباب النزول للواحدي

وهنا الحُكم الإلهي أن كل من يُنكر البعث بعد الموت يكون كافراً: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ يجمع الخلق جميعاً في يوم الدين، والكيفية أمرٌ يطول شـــرحها، ويصـــطَّف الخلائق أجمعين في أرض الموقف التي يُجهزها الله لهذا الأمر في الوقت والحين ليبدأ الحساب، ولذلك قالوا:

فلو أنا إذا متنا تُركنا لكان الموت غاية كل حيّ
ولكنا إذا متنا بُعثنا فنُسأل بعدها عن كل شيء

روشتة النجاة

ثم عرَّج الله ﷻ على المؤمنين لكي يُعطينا الروشتة التي فيها النجاة في هذا اليوم المبين، ما روشـــتة النجاة؟ ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ نحن مؤمنون، فلماذا قال لنا: آمنوا بالله ورســوله؟ كما قال في الآية الأُخرى: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (4الفتح) يعني نزيد جرعات الإيمان.

نحن نحتاج في كل وقت وحين إلى زيادة جُرعات الإيمان،

فهي التحصـــين الذي يُحصِّــننا ويحصِّــن وأولادنا وبناتنا من فتن هذا الزمان، جرعات من القرآن، وجرعات من سُــنَّة النبي العدنان، وجرعات من علوم العلماء العاملين، حتى يصــــل الإنســــان إلى مقام اليقين: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (99الحجر).

فلا بد أن يستزيد الإنسان على الدوام من جرعات الإيمان، والإيمان يحتاج لأن نتعلمه من العلماء العاملين أهل الخشية الذين ذكرهم الله وأثنى عليهم في كتابه المبين: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ (39الأحزاب).

والإيمان بالله يقتضــــي أن يعمل المرء بما أمره به مولاه، وهذه واحدة، وأن يراقب الله في حركاته وســـكناته ويعلم أن الله يطلع عليه ويراه، فإذا علم أن الله تبارك وتعالى يطلع عليه ويراه يســـتحي أن يعصــــى الله حتى ولو كان لا يراه أحدٌ من خلق الله، لأنه يرى أن الله ﷻ معه، ... والإيمان بالرســـول ﷺ يقتضـــي الاقتداء به في كل أحواله، حتى لا يخرج الإنسان عن طريقه في قليل ولا كثير، فقد قال الله في شـأنه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (21الأحزاب) هو قدوتنا.

نحن نقتدي بالرسول ﷺ في صلاتنا وصيامنا وعباداتنا، لأنه قال لنا:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي } [82]

وقد نزيد قليلاً، لأنه كان يُصلي الصلاة الوسطية، ولكن نحن نطيل في القراءة، ونطيل في الركوع، ونطيل في السجود، ظناً منا أن هذا أمرٌ حسن.

الاقتداء بالنبي في أخلاقه ومعاملاته

لكن كثيرٌ من المسلمين في زماننا تركوا الاقتداء به ﷺ في أخلاقه وفي معاملاته، وهي التي نحتاج إليها الآن.

فالعبادات بينك وبين الله، لا شأن لنا بها ولسنا في حاجة في أمرها، وإنما فيها كما قال الله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (15الجاثية).

أنت تُصلي في الليلة ألف ركعة، فهذا لك ولن نأخذ منك شيئاً، فلا تفتخر بهذا العمل، ولا تغترَّ وتظن أنك أحسن من فلان وفلان، لأنك لم تضمن القبول!، ولو حججت كل سنة مرة فهذا لك، أو تصوم طوال العام فهو لك، لكن كل ما يهمني كيفية تعاملك معي، وهي التي كان حريص عليها سيدنا رسول الله ﷺ.

82 البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه

فنحن نحتاج أن نقتدي برسول الله في أخلاقه، كان ﷺ لا يُرى إلا باسماً، إذا كان جالساً أو ماشياً أو يتكلم لا يُرى إلا باسماً، ويقول لنا كلنا:

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ } [83]

فبعد أن يقول هذا الكلام فهل ينبغي على مسلم أن يُكشِّر في وجه أخيه؟! أو يعبس في وجه أخيه؟! هل تُحرم نفسك من الصدقة، والاقتداء بأمير الأنبياء والمرسلين ﷺ؟!! وإذا تكلمنا مع بعضنا يكون الميزان كما قال لنا ﷺ:

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ } [84]

لا يخرج من لساني كلام غير ذلك، كالقواميس التي نسمعها في الطرقات! فهذه ليست من الإسلام، ولا تخُصُّ المسلمين، ونهى عنها النبي الأمين فقال:

{ لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالطَّعَّانِ، وَلا اللِّعَانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيءِ } [85]

بعد أن يقول أن المسلم ليس كذلك، فهل نكون كذلك؟!! شيء غريب يعجب له الإنسان عندما يرى المسلمين في كل زمان ومكان يتفوهون بالسب واللعن والشتم والألفاظ التي لا تليق، وهذا كله مخالف لهدي النبي ﷺ على التحقيق.

83 جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه
84 مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه
85 معجم ابن الأعرابي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

إذا قابلت أخاك، فقال لنا:

{ إِنَّكُمْ لا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلْيَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ }[86]

كل مسلم يقابل مسلماً أياً كان لا بد أن يكون باسم الوجه، لأنها كانت السمة التي كان عليها النبي العدنان ﷺ.

كيف نتعامل مع بعضنا؟ بالتواضع واللين والمودة والشفقة والرحمة والعطف والحنان، وهذه أخلاق رسول الله ﷺ، ونسمع الله يقول عنه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (159آل عمران).

كثيرٌ من المسلمين في هذا الزمان ترك الأوصاف التي أثنى الله على النبي بها، وأخذ بالأوصاف التي برأ الله النبي منها، كالفظاظة والغلظة والشدة والقسوة، إن كان مع زوجته، أو مع أولاده، أو مع جيرانه، أو مع إخوانه المسلمين، وهذا وضع عجيب في هذا الزمان، ويظن أنه ما دام يؤدي الفرائض المفترضة عليه، يكون قد أدَّى ما عليه نحو مولاه، وأصبح مسلماً صادق الإيمان!!، لكنك أخذت ناحية، وتركت بقية النواحي!!.

86 الحاكم في المستدرك والمطالب العالية لابن حجر عن أبي هريرة ﷺ

لكن بماذا تقتدي بهذا النبي؟ في العبادات والأخلاق والمعاملات، ثلاث أمور يجب أن نتابع رسول الله فيهم، وبعد ذلك نتابعه في أحواله القلبية؛ في خشوعه، وفي حضوره وفي صفائه مع الله .. وعندما نرى كثير من المؤمنين في التعاملات إن كانت تجارية أو غيرها، وتقول له: الشريعة تقول كذا، يقول لك: هذه نقرة وهذه نقرة!!، من الذي قال هذا الكلام؟! وهل القرآن ترك شيئاً للإنسان يعمله في أي زمان أو مكان ولم يُبين حُكمه الشرعي؟! وهل النبي ﷺ ترك أي أمر من أمورنا ولم يُبين الكيفية السديدة الرشيدة له؟! لا.

حتى أنه بيَّن كيف نمشي؟ وكيف نتكلم؟ وكيف نجلس في الشمس؟ فلم يتركنا على هوانا، قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

{ يَا عَلِيُّ، لا تَسْتَقْبِلِ الشَّمْسَ، فَإِنَّ اسْتِقْبَالَهَا دَاءٌ، وَاسْتِدْبَارَهَا دَوَاءٌ } [87]

علَّمنا كل شيء إن كان صغير أوكبير، حتى أن السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم كان أحدهم لا يعمل أي عمل صغير أو كبير إلا بعد أن يتيقَّن من حديث صحيح كيف فعله البشير النذير، فسيدنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه توقف عن أكل البطيخ، فقالوا له: لِمَ لا تأكل البطيخ مع أنه رُوي أن رسول الله ﷺ

87 المطالب العالية لابن حجر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

كان يُحب البطيخ؟! قال ورد بالرواية الصحيحة أنه ﷺ كان يُحب البطيخ، لكن لم يرد إليَّ برواية صـــحيحة كيف كان يأكل البطيخ، فأخاف أن آكله على غير هديه الشريف!.

انظروا ماذا بلغت درجة الحرص! لأن الله قال لنا في القرآن: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (54النور) ومن يخالف أعطاه انذار شـــديد: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (63النور) الذي يخالف تأتيه فتنة، أو عذاب أليم في الدنيا من الهم والغم والمرض والوباء وغيره، غير العذاب الأليم في الدار الآخرة، حفظنا الله أجمعين، فالإيمان برسول الله ﷺ - باختصار شديد - يقتضي الاقتداء به في عباداته لله، وفي أخلاقه مع خلق الله، وفي تعاملاته في كل أحواله مع جميع عباد الله، ليكون هذا حُسن المتابعة لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

حال المؤمن مع القرآن

﴿ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾ النور هنا هو القرآن الكريم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ (52الشورى) فالقرآن الكريم نور ... والقرآن الكريم كتاب حياة، لم يُنزله الله ﷻ لنتلوه آناء الليل وأطراف النهار لأخذ الحسنات وكفى، ولكن أنزله إلينا الله لنتدبره ونعمل بما فيه: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ (29ص)، ليس المطلوب من المسلم أن يقرأ القرآن كل يوم مرة، ولكن يتدبر ثم يعمل، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ كما يُروى عنهم يتدبرون القرآن، فكان سيدنا الحسن بن على رضي الله عنه يقول عنهم: (إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار) لابد من جانب عملي للقرآن، هنا كجزء نظري وهو القراءة والتدبر، والجزء العملي هو تنفيذ ما أمر به الله ...

فكان الرجل الذي يحفظ منهم ســـورة البقرة يُدعى (عظيمًا) أي يُعطونه لقب عظيم، لماذا؟ لأنه حفظ البقرة، وكيف حفظها؟ كان لا ينتقل من آية إلى آية إلا إذا تدبرها وعمل بها، وقال ســـيدنا عبد الله بن عباس ﷺ (لأن أقرأ البقرة أرتلها وأتدبر؛ خيرٌ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة)[88] وهذرمة يعني تقرأ بسرعة أو بتخليط.

فالقرآن يحتاج إلى تدبر وفهم، ومن إعجاز الله ﷻ في القرآن أن أي إنســـان - حتى ولو كان أُمياً - لو سـمع القرآن وحضَّـر قلبه يُرسـل الله له من عنده سـهماً على قدره في كتاب ربه، فعندما نحضـــر أي عزاء، والقارئ يقرأ، صـــحيح أنه تتفاوت الأفهام، لكن الكل يفهم، وكل واحد يُرسل له الله فهمٌ في آيات الله، لأنه قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ (22القمر) وليس للتلاوة والذكر يعني التدبر والفهم، ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (22القمر) لم يقُل هل من تالٍ ... فالقرآن يحتاج التلاوة والتدبر والفهم، وعندما جعل المسلمون كتاب الله للمآتم،

88 أورده إسماعيل حقى فى تفسير روح البيان عن إبن عباس ﷺ، وروى أبو جمرة عن ابن عباس فى تفسير أبى منصور السمعانى، أن ابن عباس ﷺ قال: (لأن أقرأ سورة البقرة أرتل ترتيلا أحب إلى من أن أقرأ جميع القرآن هذرمة).

وحتى لو تعبدوا فيه يريدون أن يعدُّوا كم ختمة قرءوها، بدون فهم ولا عمل فحدثت النكسات التي نحن فيها الآن ... لكن أصحاب حضرة النبي ﷺ ورضي الله تبارك وتعالى عنهم كانوا واعين لمراد الرحمن في القرآن، لأن الله عاتب الذي يقرأ ولا يتدبر:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (24محمد) ولماذا لا يتدبر هؤلاء الناس القرآن؟! القلوب عليها أقفال فلا تفهم معاني القرآن مع أنه مُيسر من الرحمن .

والله يا جماعة المؤمنين لو تدبر المؤمنون في عصرنا في آيات القرآن التي تُتلى عليهم فقط في صلاة المغرب والعشاء والفجر وعملوا بها لسعدنا سعادة لا يستطيع إنسانٌ منا وصفها!. نحتاج فقط للتدبر ثم العمل بكتاب الله ﷻ، وخاصة أن رسول الله ﷺ عندما تحدث عما يحدث في هذا الزمن الذي نحن فيه، فقال:

{ سَتَكُونُ فِتَنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ،

وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا:﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }[89]

فالقرآن هو الشفاء لكل ما نحن فيه الآن من الأمراض الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها لأن الله قال فيه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (82الإسراء) فقط يحتاج إلى التدبر والتفكر والفهم ثم العمل.

89 سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

مراقبة الله

﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ هذا هو المقام الذي يُصلح كل الأحوال، إذا وصلنا إلى مقام مراقبة الله، واعتقدنا آناء الليل وأطراف النهار أن الله يطَّلع علينا ويرانا كما كان أصحاب رسول الله، والصالحين من بعدهم من عباد الله، سينصلح حال المجتمع، ولن نحتاج إلى متابعين ولا مخبرين ولا مديرين، لأن كل واحد منا في أي عمل سيعمله أمامه اللوحة الإرشادية القرآنية: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (105التوبة).

لو استأجرت أحداً ليعمل عندي، فلا يحتاج أن يتابعه أحد، لأنه يعرف أن الله يراقبه ويطلع عليه ويراه ... وإذا وظفنا جماعة في أي عمل، سيعملون ويتقنون لأنهم يعرفون أن الله يطلع عليهم في هذا العمل ... فلما أصبحنا نراقب بعضنا، والناس تراقب الناس، تخطفتنا الشياطين ونسينا مراقبة رب العالمين، وأصبحت أحوالنا كما نرى يا جماعة المؤمنين.

ما الحل؟ نراقب الله، ونعلم علم اليقين أن هناك يوماً يقول فيه رب العالمين: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ إياك أن تظلم أحداً في الدنيا وتظن أنك ستَفِرُّ، لأنه سيأتي يومٌ وكل واحد سيأخذ حقه.

كان ﷺ ماشياً ورأى كبشين ينتطحان، أحدهما له قرون، والآخر أجلح ليس له قرون، فقال لسيدنا أبي ذر: { يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: وَلَكِنْ رَبُّكَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[90] وفي رواية أخرى: { لَيَقُصَّنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَذِهِ الْجَلْحَاءِ مِنْ هَذِهِ ذَاتِ الْقَرْنِ }[91]

وورد في الخبر أن الإنسان بعد أن ينتهي من الحساب، و تكاد الملائكة تأخذه إلى الجنة يُنادي مناد الله: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج، فيخرج الخصوم، فمنهم من يتعلق برقبته، ومنهم من يتعلق بذراعه، ومنهم من يتعلق بحقويه، والكل يقول: يا رب خذ لي بحقي من هذا، فيأمر الله ﷻ الملائكة أن لا يدخل الجنة حتى يرضي خصماءه .. وكل واحد منهم يذكر مظلمته، سبَّ هذا، وشتم هذا، واغتاب هذا، وخدع هذا ... فيجلس معهم ويتفاوض معهم، لعمل محاضر الصلح، أين هذا المكان: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ (46الأعراف)،

90 مسند أحمد وأبي داود الطيالسي عن أبي ذر رضي الله عنه
91 الفوائد لأبي بكر الشافعي عن أبي ذر رضي الله عنه

لو اغتابني أحد فى الدنيا ولم يصلني الخبر ولا أعرفه، فسأعرفه هناك، تعرفهم بسيماهم وليس باسمه ولا بنسبه ولا بلقبه، حتى تُؤدَّى الحقوق إلى أهلها كما قال ﷺ في هذا اليوم: { لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [92]

فإذا كان المؤمن يعرف أن الله يطلع عليه ويراه، وأنه سيقف بين يديه وسيُؤدي الحقوق كلها التي عليه لعباد الله، فكيف يكون حاله في الدنيا؟ سيكون كما قال الله: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ حتى لو كان له بعض الهفوات أو بعض الذنوب الصغيرة والسيئات سيغفرها له الله: ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾ وفى الحديث القدسى أن رسول الله ﷺ قال عن رب العزة : { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ، إِنِّي قَدْ أَنْصَتُّ لَكُمْ مُنْذُ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا، أَسْمَعُ كَلامَكُمْ وَأُبْصِرُ أَعْمَالَكُمْ، فَالْيَوْمَ أَنْصِتُوا إِلَيَّ، إِنَّمَا هِيَ صُحُفُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ، وَأَعْمَالُكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ غَيْرَ نَفْسِهِ } [93]، ونحن مع بعضنا ماذا نعمل في هذا اليوم؟ لا شيء، لأن كل إنسان يبحث عن حسناته التائهة هنا وهنا، لأنه يوم شديد!!

---

92 صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

93 عن أبى هريرة فى أهوال الآخرة لابن أبى الدنيا وتمامه للفائدة : { ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ عُنُقًا مِنْ جَهَنَّمَ فَيَخْرُجُ سَاطِعًا مُظْلِمًا ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : أَيُّهَا النَّاسُ ،﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (63يس)، فَيمِيزُ اللَّهُ النَّاسَ وَتَجْثُو الأُمَمُ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(28 الجاثية)، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَيْنَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ ، إِنَّ اللَّهَ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَّاءَ مِنْ ذَاتِ الْقَرْنِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ تَبْقَ تَبِعَةٌ لِوَاحِدَةٍ عِنْدَ الأُخْرَى ، قَالَ اللَّهُ : كُونِي تُرَابًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾(40النبأ) }

فالإنســـان المؤمن العاقل الذي يخرج من الدنيا وليس عليه مظالم ولا حقوق للعباد، الذي له حق عندك وأنت في الدنيا ســـهل التعويض، حتى ولو كانت ملايين الجنيهات، لكن لا يوجد هناك غير الحسنات، فتُعطي هذا حسنات وهذا حسنات، وإذا انتهى الرصيد وأعلنت الإفلاس ولا يزال هناك مطالبين، فيقولون له: احمل عنا ذنوبنا وسيئاتنا، قال ﷺ:

{ أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لا لَهُ دِرْهَمَ وَلا دِينَارَ وَلا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَـــتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذا وَضَـــرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ } [94]

لو أن المؤمن وضـع هذا في اعتباره، فعلى الفور: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ..

كم ســنة ســنمكث في الجنة؟ لو كان هناك يوم ســنخرج منها لخفنا، لكنه طمأننا وقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ ما مقدار خالدين فيها؟

94 مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

لن يخرجوا منها أبداً: ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

نســأل الله أن نكون من الفائزين الفوز العظيم، وأن يُصــلح أحوالنا، وأن يُذهب فسـاد نفوسـنا، وأن يُصـفِّي قلوبنا، وأن يُحببنا في بعضـنا، وأن يرزقنا حُسـن الاتباع لنبينا في أخلاقنا ومعاملاتنا، وأن يجعلنا من الذين يراقبون الله ويخشـونه حق خشـيته، ومن الذين يعملون بالقرآن آناء الليل وأطراف النهار

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فاتقوا الله يـأولى الألبـب الذين ءامنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا ﴿١٠﴾ رسولا يتلوا عليكم ءايـت الله مبينـت ليخرج الذين ءامنوا وعملوا الصـلحـت من الظلمـت إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صـلحا يدخله جنـت تجرى من تحتها الأنهـر خـلدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ﴿١١﴾ ﴾ (الطلاق)

6.الأرزاق الحسان الإلهية [95]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه ... المؤمن دوماً يقول فيه ﷺ:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لا تَأْكُلُ إِلا طَيِّبًا، وَلا تَضَعُ إِلا طَيِّبًا } [96]

المؤمن مثل النحلة، لا تقف إلا على طيب، ولا يخرج منها إلا طيب، تبحث عن الأزهار والورود والرياحين والبساتين لتقف عليها، لا تقف على القاذورات، ولا على الأشياء التي لا يقبلها الإنسان في كل الأوقات، ولا يخرج منها إلا ما قال فيه الله:

﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ (69النحل).

روضات الجنان

كذا المؤمن الكيِّس الفطن العاقل الحكيم ....

لا يجلس في عالم الدنيا إلا في روضات الجنان، التي أشار إليها النبي ﷺ، وأنبأ أن للجنان روضات في الأكوان، فينتقل من روضة إلى روضة، من روضة الذكر، إلى روضة الفكر، إلى روضة العلم، إلى روضة تلاوة القرآن، إلى روضة الصُلح بين المتخاصمين ..

---

95 الأقصر – العديسات – المسجد العتيق بنجع علوان - 28 من صفر 1440هـ 2018/11/7م
96 صحيح ابن حبان والنسائي عن لقيط بن عامر رضي الله عنه

تجده دائماً وأبداً يتنقَّل بين روضات الجنان في الأكوان، وأعظم هذه الروضات التي تكون في بيت الله ، والتي نحن فيها الآن، ..... والتي يقول فيها الحبيب المصطفى ﷺ:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[97]

فهنيئاً لكم ولنا أجمعين هذا الجمال الإلهي:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (4الجمعة)

ولذلك حرص العلماء العاملون، وأئمة الصالحين في كل وقت وحين، أن تكون هذه حالة جلساتهم مع المريدين والسالكين والمحبين.

كان سيدي عبد الرحيم القنائي ﷺ من العلماء العاملين، وكان لا يفوته يومٌ إلا ويجلس في بيت الله تارة بعد صلاة العصر، وأحيانًا بعد صلاة العشاء، يتلو آية من كتاب الله تعالى، ثم يأخذ في تفسيرها للأحباب، وجُمعت هذه الآيات وتفسيرها في تفسير عظيم له، لكنه للأسف ضاع مع تراثنا الذي ضاع، ولعل الله ﷻ يُحدث بعد ذلك أمراً، ويُظهره بعد الضياع لينتفع به إخواننا المؤمنين أجمعين.

---

97 سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

لكن الشاهد أنه كان لا بد في كل يوم يأخذ آية من كتاب الله يُفسِّرها ويُوضحها للحاضرين، لأنه لا يستغنى الإنسان المؤمن في أي زمان أو مكان عن القرآن، والقرآن يقول الله تعالى فيه في مُحكم التبيان:

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (49العنكبوت).

آياتٌ في المصحف نقرأها، وقد نتدبرها، لكن معانيها العالية، وأسرارها الإلهية الراقية، يُنزلها الله ﷻ بفضله على صدور أولي العلم الذين آتاهم الله من عنده العلم: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ (65الكهف) فيشرحون القرآن كأنه غضَّاً طرياً للحاضرين، فيكون لهم أُنسٌ في قلوبهم، ويكون لهم صفاءٌ لأرواحهم، ويكون لهم بعد هذا الشرح تعلقٌ شديدٌ بكتاب ربهم وبالعمل به ليفوزوا بمُرادهم.

وهذا هو القرآن الذي يدفع الإنسان للعمل لما يُرضي حضرة الرحمن ﷻ.

والآيات التي معنا اليوم نأخذ بعض معانيها باقتضاب شديد، لأن تفسير آيات القرآن على حسب عطاء الرحمن، لا يستطيع الإنسان أن يُذيع بعضه في أي زمان أو مكان،لكننا نقتطف منه زهرات من رياح المعاني الإلهية، ومن بساتين المعرفة القرآنية على قدرما يتحمَّل الحاضرون والسامعون.

تقوى الله والخوف منه

أول أمر يأمرنا به الله تعالى أجمعين، وفيه النجاة، وفيه عُلوِّ الدرجات، وفيه رفعة المكانة في الدنيا وفي الجنات، يقول لنا الله كلنا: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ إياك أن تترك تقوى الله طرفة عين ولا أقل.

وتقوى الله الكلام فيها كثير وكثير، لكن نختصرها في كلمة واحدة وهي الخوف من الله ، والإمام علي ﷺ سرد البيان فيها وقال فيها: (التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقيل) وهذا كلامٌ عال لأن سيدنا علي كان باب مدينة العلم، كما قال ﷺ: { أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا }[98] لكن هذه الحكمة الطويلة قد لا يستوعبها معظمنا ولا يُدركها، فنقول له: يكفي عليك أن تأخذ أولها، بأن تقوى الله هي خوف الله؛ أن الإنسان يخشى الله ويتقي الله: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (52النور).

98 الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

إذا خاف الإنسـان من مولاه، فيا هناه: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ (46الرحمن)

الذي يخاف الله له أربعة جنان، لأن الله قال بعدها: ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ (62الرحمن)

وفسرها النبي العدنان ﷺ فقال:

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا } [99]

جنتان قصورهما وآنيتهما وأكوابهما كلها من ذهب، وجنتان قصورهما وآنيتهما وأكوابهما كلهم من فضة، فمن خاف مقام ربه له أربعة جنان، وهذا في الدار الآخرة.

لكن إذا كان الخوف معه خشـية الله، ومراقبة الله، فهذا تكون له جنةٌ عاجلة في الدنيا، لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين وصفها ولا نعتها، لأنها جنة شهودية؛ يشـهد فيها من ألطاف الله، ومن خفايا عوالم الله، ومن أوصـاف قُدرة الله، ومن أنوار حضرة الله، ما لا يستطيع أحدٌ من الأولين والآخرين ذكره لأنه أمرٌ خاصٌ بينه وبين مولاه.

99 البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

علامات العقلاء

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ وأُولي الألباب يعني أصحاب العقول السديدة الرشيدة،

فمن هم العُقلاء في هذه الحياة الدنيا؟ أعطانا الله الإجابة، فأهل تقوى الله الذين خافوا من الله، واتقوا الله في كل أحوالهم، وفي كل أعمالهم، لأنهم يخرجون من الدنيا وقد ضمنوا النجاة، وقد ضمنوا الفوز بالمراتب العلية في جنة الله .

وليس لنا شـــأنٌ بالمقاييس الكونية التي يطبقها بعض الناس على الآدميين، لكن نريد المقاييس القرآنية، لأن بعض الناس يظن أن العُقلاء هم الذين اســـتطاعوا أن يجمعوا الأموال وأصبحوا أغنياء وأثرياء في الدنيا، أو أن العُقلاء هم الذين استطاعوا أن يكون لهم وجاهة ومنصبٌ عظيمٌ في هذه الحياة، أو الذين استطاعوا أن يكون لهم ذرية كثيرة يتفاخرون ويتباهون بها بين الناس.

لكن الله قال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (13الحجرات) ليس لي شـــأنٌ بالمكُرَّم عند الناس، فالناس لا تعلم شـــيئاً، لكن المُكرَّم عند رب الناس التقي، ولم يقُل الله: إن أكرمكم عند الله التقيُّ، وإلا كانت درجة واحدة وكل من وصـــل إليها يكون مكرماً، ولكن أتى بها بصيغة المبالغة (أتقاكم) يعني كلما زاد في التقوى، كلما زاد في التكريم والدرجة عند المولى، وكان ﷺ يختبر إخوانه المباركين في هذه التقوى،

فكان أحياناً يســـألهم، عن أحوالهم مع الله أو الدليل على ما يقولون. وفى هذه الأحوال العلية قال ((سيدنا أبو بكر الصديق:**ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله**، وقال سيدنا عمر: **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه**، وقال سيدنا عثمان بن عفان: **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده**، وقال سيدنا علي بن أبي طالب: **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه**، ﭫ أجمعين)) [100]

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (163آل عمران)

درجات على حسب تقوى الله .

وذكر الله تعالى لنا فضله الذي لا نستطيع شكره عليه، والذي خصَّنا به نحن فقط بين الأنام، فكثيرٌ من الناس في هذا الزمان ينظرون إلى الظواهر المحسوسة، والنعم الملموسة، ويقولون: نحن يا رب مؤمنون ومصلون وصائمون، فلماذا أعطيت أهل أوروبا وأهل أمريكا وأهل اليابان وغيرهم من الكافرين هذه النعم المادية الكثيرة؟! ومن كثرتها يحتارون أين يذهبوا بها، وعندما يجدونها كثرة كاثرة والمخازن تعجز عن حملها، يقولون: لو بعناها لرخُصت السلعة، فيلقون بعضها في البحر يأكلها السمك حتى يظل سعرها متوازناً!! ..

---

100 شرح الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الكريم الجيلى بتصرف.

أهل أمريكا يرمون القمح والذُرة في البحر، وأهل هولندا والســويد والنرويج يُلقون بالزُبد في البحر من كثرتها، فيقول البعض: هؤلاء عندهم الخيرات لذلك فضَّلهم الله علينا!! سبحان الله!! سيدنا عمر دخل على رسول الله ﷺ وكان نائماً على الحصير وأثَّر الحصير في جنبه الشريف، فبكى عمر، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كِسْرَى وَقَيْصَرُ عَدُوَّا اللَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَبِيُّهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَرْضِ إلا الْحَصِيرُ وَوِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [101]

يعني عجَّل الله لهم كل شـيء في الدنيا هنا ليخرجوا من الدنيا من العمل الصـالح والخير والبر مُفلسـين، فهل أحدٌ منا يريد أن يكون على هذه الشـاكلة؟! يعيش هنا في النعيم ويخرج من الدنيا مُفلساً من عمل الخير والبر والصـالحات! فهؤلاء كذلك، لكننا على غير هذه الشاكلة.

---

101 الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

نعم الله الخاصة للمؤمنين

نحن يُحبنا الله، فأعطانا نعماً خاصـــة، نعماً باطنة كلهم يتهافتون عليها ولكن لا يدرون قيمتها إلا يوم لقاء الله، مثل: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ ﴾ وهل توجد نعمة أعلى أو أبهى أو أرقى من الذكر الحكيم وهو القرآن الكريم؟ هذه نعمٌ خاصة لنا نحن فقط، نسمعه ونستوعبه ونفهمه، ونريد أن نقرأه على الدوام ولا نملُ من سماعه، فهل يُوجد نعمة أعظم من هذه النعمة ؟!!.

وماذا أيضاً؟ ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾ :

أرسل لنا خير رسول، يتلو القرآن ويبين لنا ما لا نعلمه في القرآن، يتلو علينا آيات الله ولكن معها بيان، فيُبين لنا البيان لكي نعمل العمل الذي يُحبه حضرة الرحمن، فلا تُوجد نعمة في الدنيا أعظم ولا أكرم من نعمة القرآن، ومن نعمة اتباع النبي العدنان ﷺ.

كم دفعنا في هذه النعمة؟ وبكم اشتريناها؟ وبأي شيء حصَّلناها؟ ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (54المائدة) هل يوجد أحدٌ منا كلنا جعل لنفسه الإيمان في تجاويف قلبه؟! أبداً، فكيف دخل الإيمان في قلوبنا؟ نسأل الله في كتاب الله؟ قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ (22المجادلة) من الذي كتب الإيمان؟ الله.

ولذلك كان إمامنا الإمام أبو العزائم ﷺ يقول: (قلاَّمة ظُفر المسلم - الجزء الزائد الذي نقُصُّه من الظُّفر - خيرٌ عند الله من ملء الأرض كُفارا) لأن هذا قد كتب في قلبه الإيمان، لكن الآخر قد أعطاه نعماً حسية فشأنه شأن الحيوانات التي تعيش في البرية، مع أن الحيوانات تذكر الله، ولكنه مسكين لا يشكر الله على عطاياه ولا يشكر الله على نعمه التى أعطاها الله إياه، ولذلك يقول الله في شأنهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾ (179الأعراف)، هم كالأنعام ولكنهم يلبسون حُلل جميلة، ويذهبون للكوافير ليُنسِّقوا شعرهم، ولكنهم في الأصل أشرُّ من الأنعام، لأنهم غفلوا عن ذكر الله، وعن شكر الله ﷻ على عطاياه، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ }[102]

هل عرفتم لماذا يحبكم الله؟ لأنه خصَّكم بهذا الدين القويم، وكتب في قلوبكم الإيمان.

ما الذي يجعلني أنا وأنت نذهب لنُصلي في المسجد؟! ونريد أن ندفع ما نملك لنحُج بيت الله!، ونريد أن نستمتع بالعلم النافع!، ونريد أن نتذوق طعم العمل الرافع!، لماذا؟ هل بشطارة منا أو مهارة؟ أبداً، ولكن: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ (7الحجرات) هو الذي حبَّب إلينا الإيمان لأنه يُحبنا، وهو الذي زيَّنه في قلوبنا، وهذا كله فضل الله وإكرام الله .

رسول النور والهداية

فأكبر نعمٍ منَّ الله بها علينا أجمعين هي نعمة القرآن، ونعمة النبي العدنان ﷺ.

﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾

102 شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

هل هو سـيُخرجنا من المكان المظلم إذا انطفأ النور إلى النور؟! لا، ولكن من ظُلمات الكُفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الشكِّ إلى نور اليقين في حضرة الرحمن، ومن ظلمات اليأس إلى نور الرجاء في فضـل الله وكرم الله على الدوام، والظلمات كثيرة والنور واحد، ظُلمة الكُفر، وظُلمة الجهل، وظُلمة النفس، وظُلمة الشـيطان، وظُلمة الشرك بالله، وظُلمة الوساوس والهواجس .. ظلمات كثيرة، والنور نورٌ واحدٌ، وهو نور الواحد الأحد تبارك وتعالى.

من الذي قام بهذه الأشياء بأمر ربه؟ وعلى نور من ربه؟

نبينا وحبيبنا سـيدنا رسـول الله ﷺ ... فدائماً المؤمن يتذكر، انظر ماذا أعطاك الله؟ وماذا أخذ منك؟ وبماذا خصَّك؟ لتعلم فضل الله تبارك وتعالى عليك.

هل يُوجد أحدٌ مثلنا من أهل أمريكا أو اليابان أو روسـيا أو غيرها؟ لا أحد، لأنه سـيخرج من الدنيا إلى جهنم وبئس القرار، ولو كان عنده ناطحات سـحاب، أو عنده ترليونات، ماذا يفعل بهذا كله؟!! عندما يخرج من الدنيا سـيقول: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ﴾ (28الحاقة)، الذي يُهدد العالم كله ويقول: سـأفعل في هؤلاء كذا، وهؤلاء كذا، فماذا يقول؟ ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ (29الحاقة).

لكن أنت والحمد لله ستقوم من هنا إلى ملائكة الرضوان يستقبلونك بأمر الله، وتذهب كما قال الله في كتاب الله: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ (32النحل) عندما نخرج من الدنيا تأتينا ملائكة الرضوان من الجنة: ﴿ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (32النحل) وحضرة النبي ﷺ يحكي لنا مشهداً يحدث يوم القيامة، فيقول:

{ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ } [103]

---

103 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

حال أهل الجنة

نحن لا نستطيع وصف الوجهاء والأغنياء في الجنة، ولكن نريد أن نرى آخر رجل يدخل الجنة، والذي أخبرنا عنه سيدنا رسول الله ﷺ، فيقول:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً } [104]

إذا كان هذا آخر إنسان يدخل الجنة بعد أن خرج من النار ونفَّذ الحُكم وجاءه قرار العفو، فما بال القوم الذين دخلوها قبل ذلك كيف يكونون؟ هؤلاء لهم فيها كما قال ﷺ:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } [105]

---

104 البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

105 صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

لذلك أعطانا الله هذه الروشتة وحذَّرنا من تركها: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾

لا بد من الاثنين معاً، الإيمان بالله والعمل الصـــالح، فالإيمان وحده لا يكفي لدخول الجنة ولا لرضـا الله، والعمل الصــالح من غير إيمان لا ينفع صــاحبه، لأنه سـيكون كهؤلاء الآخرين الذين ذكرناهم، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ }[106]

عبد الله بن جُدعان كان زعيماً من زعماء العرب، وكان له دار ضــــي كبيرة ضـيافة مكة يُطعم فيها الضـيفان، ويقيم فيها الغرباء، ويُحل فيها المشـاكل، لكن ما دام لم ينطق بالشهادتين ولم يؤمن بالله، فلن ينفعه ذلك.

البعض يغترُّ ويقول: إن الأوروبيين والأمريكيين يُقدمون معونـات، لكن لمـاذا يُخرجون هذه المعونـات؟ هذه المعونـات يُخرجونهـا حتى يمشــــي النـاس في ركـابهم، ولذلك من لم يمش في ركابهم وفي سياستهم يمنعون عنه هذه المعونات، لأنها ليست لله.

106 صحيح مسلم ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

روشتة دخول الجنة

لا بد من الإيمان ومعه العمل الصالح، وكل آيات القرآن هكذا:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (30الكهف).

وقال ﷺ:

{ لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَـدَّقَهُ الْعَمَلُ }، وفى رواية: { ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصـدقه العمل، إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل }[107].

فروشـتة دخول الجنة تحتاج إلى صـنفين اثنين من الأدوية القرآنية؛ الإيمان الصـادق بالله، والعمل الصـالح الذي يبغي به صـاحبه وجه مولاه، إذا كان العمل الصالح يبغي به الشُهرة بين الناس، فهذا عملٌ للرياء وللشُهرة وللسُمعة، ولا يقبله الله تبارك وتعالى.

107 الحديث الأول رواه ابن النجار عن أنس ﷺ، والحديث الثانى أخرجه البخارى فى التاريخ عن أنس بن مالك ﷺ.

وإذا كان يعمل العمل الصـــالح ليتباهى به، فكلما جلس في مجلس يقول: ...أنا عملتُ كذا، وأنا فعلت كذا، ويفرح عندما يقول الناس: أنت رجلٌ فيك خير لإنك تفعل كذا وكذا، فهذا أيضًا رياءاً وسُمعة ولا ينفعه ذلك عند رب العالمين تبارك وتعالى: ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صلحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (110الكهف) ...

أهم شيء الإخلاص.

﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صلحا ﴾ أين يذهب؟

﴿ يدخله جنت تجرى من تحتها الأنهر ﴾ ليســـت جنة واحدة، ولكن جنات، وهذه الجنات من مظاهر المتعة الإلهية التي أشـــار لنا فيها في الآيات القرآنية رب البرية؛ أنهم سيكونون ساكنين في قصور عامرة بالحور والنور، وتحتها الأنهار: ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهر من ماء غير ءاسن وأنهر من لبن لم يتغير طعمه وأنهر من خمر لذة للشربين وأنهر من عسل مصفى ﴾ (15محمد)

وكل هذه الأنهار تجري في مجرى واحد، ولا يختلط هذا بذلك، فلا يوجد نهر للماء ونهر للبن!! لا بل كلها مع بعضها وتمشي بأمر ربها ولا يختلط البعض بالبعض الآخر، لأن الذي تولى ذلك رب العالمين تبارك وتعالى.

هذه الجنة كم سنة سنمكث فيها؟ وكم مدة العقد؟

قال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ على الدوام، لأن الله لو وعدنا بالجنة، وعرفنا أننا سنأخذ فيها مدة ونخرج فلن نتهنَّى بالجنة، لأننا عرفنا أننا سـنمكث فيها مدة ثم نتركها، كما يحدث في الدنيا، ولكن الجنة ليست كذلك، وإنما خالدين فيها أبدًا.

الأرزاق الحسنة

﴿ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾:

أتي الله فيها بالأرزاق الحسنة، والأرزاق الحسنة قل فيها ما شئت، والناس في الدنيا ظنُّوا أن الأرزاق الحسـنة كالمأكولات والفواكه والمشـروبات، وهذه أقل مُتع الجنة الحسية التي ستكون لجميع الداخلين فيها.

لكن فيها أرزاق أحســـن من هذه، على ســـبيل المثال: المؤمنين ســـيُكرموا بأن يكونوا مع النبي الأمين في درجته وفي جواره في الجنة، فيكون في الحي الذي يسكن فيه سيدنا رسول الله، يراه ويجالسه ويحضر جلسات الأُنس مع حضرته صلوات الله وسلامه عليه، وهؤلاء رزقهم يقول فيه الله:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (69النساء)

مع هؤلاء المنعَّمين.

وهناك جماعة أخرى يقول فيهم ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ } [108]

فيدخلون في قول الله:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) قال ﷺ:

---

108 صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﵁

{ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ } 109

لا يوجد شـــيء أنعم ولا ألذُّ ولا أبهج ولا أبهى من لذَّة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

الأرزاق الحسان الإلهية لا نستطيع أن نُفصِّلها، ولا أن نُبيِّنها ويكفينا ما ذكرناه.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين، وأن يُلهمنا ذكره، وأن يُوفقنا لشكره، وأن يرزقنا العمل الصالح الخالص لوجهه، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل الرضا عن حضرته، وفي الآخرة من الناظرين إلى جمال طلعته، وأن يُكرمنا في الدنيا والآخرة برُفقة ســـيد أهل بريته، وأن يجعلنا أجمعين تحت لواء شفاعته، وأن يرزُقنا جواره في جنته

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

109 صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يأيها الذين ءامنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيءاتكم ويدخلكم جنت تجرى من تحتها الأنهر يوم لا يخزى الله النبى والذين ءامنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير ﴿٨﴾ ﴾

(8التحريم)

7.التوبة النصوح [110]

بِسْـــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الغفور الرحيم التواب الجواد الكريم، الذي يُحب عباده التوابين ويُحب عباده المتطهرين، ويفتح أبواب الســـماوات لقبول توبة عباده التائبين في كل وقت وحين ..

والصـــلاة والســـلام على ســـيدنا محمد الذي أعطاه مولاه ما لم يُعط ســـواه من الأنبياء والمرســـلين، وعصـــمه من الذنوب والآثام، وجمَّله بالأخلاق الإلهية العظام، وكمَّله بأخلاق القرآن، وجعله قرآناً يمشـــي بين الناس، ومع ذلك كان يقول صـــلوات ربي وتسليماته عليه:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ } [111]

اللهم صـلِّ وسـلم وبارك عليه، وعلى آله الكرام، وعلى صـحابته البررة الأتقياء الأنقياء، وعلى كل من تـابعهم على هذا الـدين إلى يوم الـدين، وعلينـا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

---

110 الأقصر – أرمنت – المسجد العتيق بأولاد الشيخ - 29 من صفر 1440هـ 2018/11/8م
111 مسند أحمد والنسائي

موقف المؤمن من الذنوب

الرحمن تبارك وتعالى يعلم ضعفنا وعجزنا، وأن النفس قد تُسول لنا معصية الله، وأن الشيطان قد يُوسوس لنا لنخالف ما أمرنا به الله في كتاب الله، حتى نستوجب في ظنه غضب الله تبارك وتعالى ... فطلب منا الله، وأوصانا رسول الله ﷺ أجمعين حتى من كان منا من العابدين، ومن كان لسانه لا يكفُّ عن الذكر والتسبيح وتلاوة القرآن لرب العالمين، أن نكون على الدوام مُنتبهين للتوبة إلى الله في كل وقت وحين.

لا يوجد إنسان خُلق معصومٌ من الذنوب إلا الحبيب المحبوب ﷺ، ولذلك قال:

{ كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ } [112]

وخطَّاء بصيغة المبالغة يعني لن يخطأ مرة واحدةً فقط، بل مراراً وتكراراً، قد يعلم وقد لا يعلم، فهناك ذنوبٌ قد نعلم أننا فعلناها، وذنوبٌ نفعلها ولا يعلم بحقيقتها إلا الله تبارك وتعالى، فماذا نفعل؟ نكون دائماً جاهزين للتوبة إلى رب العالمين في كل وقت وحين.

وإياك أن تفعل كما يفعل المفتونين والمغرورين، فتؤجِّل التوبة وتقول: أنتظر إلى يوم الجمعة وأتوب، أو أنتظر حتى يأتي رمضان وأتوب، أو أنتظر حتى أجمع المال وأذهب للحج وأتوب!!.

112 سنن ابن ماجة والدارمي عن أنس رضي الله عنه

لكن من حُب الله ﷻ للعبد المؤمن أن يُسارع فوراً عند ارتكاب الذنب إلى التوبة لحضرة علام الغيوب، ولا يكون عنده تسويف ولا تأخير.

التوبة النصوح

ولذلك يقول لنا الله: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ لبيك اللهم ربنا وسعديك، ما الذي تطلبه منا يا رب؟ ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ تتوب إلى الله دوماً التوبة التي وصفها الله بأنها نصوحا، ونصوح يعني خالصة لله، أو توبة صادقة، لأنه قد أتوب بالكلام وبعد لحظة أرجع إلى الوقوع في الذنب، فهذه توبة ليست خالصة ولا توبة نصوح.

فالتوبة النصوح هي الخالصة لوجه الله وصادقة، لأن الإنسان يعزم فيها أولاً أن يتخلى عن هذا الذنب فوراً ... ومن يقُل أنا تُبت وما زال يفعل الذنب فهذا - والعياذ بالله - كمن يستهزئ بربه !، فكيف تقول أنك تُبت وأنت لا زلت تفعل هذا الذنب؟!!، فلكي تكون التوبة مقبولة عند رب العزة تبارك وتعالى يجب أن تتخلَّى فوراً عن هذا الذنب.

وأندم على فعله، وأشعر بداخلي بالأسف والخجل من رب العزة تبارك وتعالى، لأني ماذا أقول لربي وهو يراني وأنا أفعل الذنب؟! وماذا أقول للنبي ﷺ وأعمالي تُعرض عليه عندما يرى ديواني وفيه هذا الذنب؟! عندما يُحدِّث الإنسان بذلك يشعر بالندم،وفي هذا الندم قال ﷺ:

{ النَّدَمُ تَوْبَةٌ } [113]

إنسان يقول التوبة بلسانه في المسجد .... لكنه لم يشعر بأي أسف على الذنب الذي فعله، فهل يقبل الله منه هذه التوبة؟!! لا، فشرط التوبة أن يشعر أنه أخطأ، ... ويشعر أنه أذنب، ويشعر أنه أساء في حق نفسه، ... فعندما يرى الله منه هذا الشعور يقبل منه توبته، لأنه ترك الذنب وأحسَّ بالندم على هذا الذنب.

وبعد ذلك يُعاهد الله أن لا يرجع إلى هذا الذنب مرة ثانية !!

وهذا الكلام إذا كان الذنب من الذنوب التي في حق الله .

التوبة وحقوق العباد

لكن إذا كان الذنب في حق العباد، فالأمر يختلف:

على سبيل المثال ما يحدث في كل زمان ومكان، أخ حرم أخواته البنات من الميراث، ثم عرف أنه أخطأ وتاب إلى الله، لكنه ترك الميراث كما هو، فهل تصح توبته؟! لا، فما شرط التوبة هنا؟ أن يرُد المظالم إلى أهلها، فيُعطي لكل أخت حقها.

---

113 سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

ويحدث أحياناً عندما يكون هذا الأخ في النزع الأخير فيأتون بأخته ويقولوا لها: سامحي أخاك، حتى وإن كان ظلمك فيجب أن تسامحيه، فكيف تسامحه؟!! نريد أن يكون السماح من القلب، ومتى يكون من القلب؟ عندما تأخذ حقها، فلو قالت أنني سامحته باللسان، لكنها من داخلها غير راضية، فلن يُقبل ذلك، قال ﷺ:

{ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ }[114]

هذا المال لا يحل إلا بطيب نفس، ما دام أن الإنسان نفسه غير طيبة، فمن أخذ المال أخذه سحتاً وظُلماً وحراماً وينبغي أن يرد هذه المظالم إلى أهلها.

مثالٌ آخر: إنسان اقترض مبلغاً من المال، وبعد فترة قال لمقرضه: ليس معي مال أرُدُّه إليك فسامحني في هذا المال، وأنا سأتوب إلى الله من هذا العمل، فهل يصح ذلك؟! لا.

114 البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه

فحقوق العباد إذا كانت حقوق مالية فلا بد من ردَّها، وإذا كانت غيبة، يعني تكلم في حقه بكلام، لا بد وأن يستسمحُه، لكن ربما لو قال له: أنا قلتُ في حقك كذا وكذا قد تزيد الفرقة، ولكن يحاول أن يكونا جالســين في جماعة فيقول: ما رأيكم يا جماعة لو نســامح بعضــنا إذا كان أحدنا قد أخطأ في حق الآخر، فيكون الكلام عام ولكن فيه مسامحةعلى هذا الخطأ.

فحقوق العباد إذا كانت مظالم معنوية كالغيبة، فلا بد من الاستسماح منها، وإن كانت حقوقًا عينية فلا بد من ردَّها لأهلها، فإذا لم يردَّها إلى أهلها فلا يقبل الله ﷻ منه هذه التوبة، حتى ولو حجَّ بيت الله الحرام، لكن ما شأن الحديث الذي يقول:

{ مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ } [115]

يعني خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه، فالعلماء قالوا: هذه الذنوب التي ليس فيها حقوق للعباد، لكن التي فيها حقوق للعباد لا بد أن يســامحوه، أو يُعطيهم حقوقهم مرة أُخرى ... ولذلك ســيدنا رســول الله ﷺ عندما تحدث عن الدار الآخرة وعن جهنم، وذكر أن جهنم لها سـبعة جسـور، وكل جسـر منهم ألف سـنة صـعود، وألف سـنة استواء، وألف سنة هبوط، وبذلك يستغرق المرور على هذا الجسور واحد وعشرين ألف ســنة، لأن اليوم فيه خمســين ألف ســنة: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (4المعارج).

115 البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

من حافظ على الصلاة سيعبر من الجسر الأول كالبرق الخاطف، ومن حافظ على الصيام سيعبر من الجسر الثاني كالبرق الخاطف، ومن وجبت عليه الزكاة وأداها كما يُحب الله سيعبر من الجسر الثالث كالبرق الخاطف، ومن استطاع للحج وحجَّ بيت الله الحرام سيعبر الجسر الرابع كالبرق الخاطف، ومن برَّ والديه سيعبر من الجسر الخامس كالبرق الخاطف، ومن كانت عقيدته ليس فيها زيغٌ ولا شُبهات فيعبر من الجسر السادس كالبرق الخاطف!

والجسر السابع وعامة نزول أهل الموقف في جهنم منه وهذا لمن لم يؤدي حقوق العباد، .. لأنه ﷺ قال:

{ لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [116]

لابد لرب العزة أن يُعطي كل واحد حقه يوم القيامة، وروى سيدنا أبو ذر فقال:

{ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ ؟ قُلْتُ: لا ، قَالَ: وَلَكِنْ رَبُّكَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [117] وروى: { لَيَقُصَّنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَذِهِ الْجَلْحَاءِ (بدون قرون) مِنْ هَذِهِ ذَاتِ الْقَرْنِ } [118]

---

116 صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
117 مسند أبي داود الطيالسي عن أبي ذر رضي الله عنه
118 الفوائد لأبي بكر الشافعي عن أبي ذر رضي الله عنه

﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ (44الكهف) فلا بد للإنســـان أن يُؤدي ما عليه من الحقوق للعباد، ولا تصِّح التوبة إن كان عليه شيء من الظلم أو غيره لعباد الله.

وهذا هو المقام الذي يظهر فيه ورع الصـــالحين، وتقوى الأتقياء من العارفين، أحد الصـــالحين الصـــادقين واســـمه الشـــيخ الشـــبلي ﷺ، أبوه كان حاجب عند الخليفة العباســـي، فعينوه والياً - يعني حاكماً - على إقليم من الأقاليم، ثم جاءته عناية الله، وترك الحُكم وتفرَّغ بالكلية لطاعة الله وعبادة الله ، وهو في النزع الأخير طلب أن يوضئوه، لأنه كان قد عجز قليلاً عن الحركة، فالذي كان يُوضئه نسي تخليل اللحية، فأمسك بيده وأشار إلى لحيته، فقالوا: حتى في هذه اللحظة لم ينس تخليل اللحية.

فســـألوه كيف حالك؟ .. قال: أنا والحمد لله لم أفعل ذنباً إلا وتُبتُ منه لله، ورأيتُ علامات قبول التوبة من الله، غير أن ما يُهمني أني أخذتُ ديناراً ظُلماً من رجل أثناء ولايتي، وبحثتُ عن هذا الرجل طويلاً في كل أرجاء المملكة فلم أجده، فتصدقتُ عنه بألوف، وأخشـــى أن يُوقفني بين يدي الله يوم القيامة للمطالبة بحقه، فيقول: .. يا رب خُذ لي بحقي من هذا!!.

فهذه أحوال الصـــالحين، وأحوال المتقين ... الذين مشـــوا على ســـنن ....ســـيد الأولين والآخرين ﷺ.

قبول التوبة

فإذا تاب الإنســـان التوبة النصـــوح إياك أن تُجزم بقبول التوبة، لأن الله يقول: ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ وعســـى يعني جائز أن يتوب عليك، حتى لا تطمئن، وتظل تتوب إلى حضرة علام الغيوب.

وعســـي أيضـــاً بمعني لعلَّ، يعني لعلَّ الله أن يتوب الله عليك، فليس معنى أنني تُبتُ، أن أطمئن تمام الاطمئنان أن الله قبل التوبة مني، ولكن لا بد أن يكون الإنســـان على وجل من قبول العمل من الله .

إذا تاب الإنســـان وقبله الله يا بُشـــراه، فأنا وأنت معنا شـــهود، الشـــاهد الأول هم الكرام الكاتبين الذين معنا ويسـجلون الأعمال بالصـوت والصـورة، ومعها يسـجلون النية التي بداخلك.

ومعك بعد ذلك الشـــاهد الثاني وهي جوارحك التي عملت، فهي التي ســـتشـــهد هناك وتقول: أنا عملت كذا وكذا: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (65يس) ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (21فصلت) فالجوارح ستشهد.

والشـــاهد الثالث الأرض وعالم الأرض التي نحن عليها، فالمكان الذي نحن فيه الآن سيشـهد لنا يوم القيامة بأننا جلسـنا فيه لسـماع درس العلم، وهي شـهادة تكون في صُحف حسناتنا وتأييداً لنا عند ربنا وإلهنا تبارك وتعالى.

المكان الذي تذكر اسـم الله عليه سـيشـهد لك عند الله يوم القيامة، ولذلك العلماء قالوا: نوِّع في مكان أداء صـلاة السنن، فأُصـلي ركعتين هنا، وركعتين هنا، وركعتين هنا، لكي تشهد الأرض كلها لك.

وعندما تذهب لأي أرض في أي زمان ومكان أو لأي مســجد، صــل ركعتين، حتى يشهد لك هذا المكان عند رب العالمين .

فالأرض ســتشــهد على الإنســان بما عمل عليها: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ (الزلزلة).

فمن تاب الله عليه كما قال حضرة النبي:

{ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ فِي الأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ } [119]

يحدث محو تام لهذه الذنوب والآثام من كل الشـــهود لكي يكون الإنســـان يوم القيامة ليس له عتاب، ولا حتى لوم ولا حسـاب أمام الحسـيب تبارك وتعالى، .... لأن الله تقبَّل توبته وغفر له.

جزاء التائبين

ومن كان مثل هذا فعلى الفور: ﴿ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ وليسـت جنة واحدة، ولكن:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (46الرحمن) ثم ذكر بعـدهـا: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (62الرحمن) يعني أربع جنان على الأقل لمن تاب وأناب إلى الله .

---

119 التوبة لابن عساكر عن أنس بن مالك ﷺ

إذا تاب واستقام، ولم يرجع إلى الذنب أبداً، فإن رب العزة يخُصه سبحانه:

﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنت وكان الله غفورا رحيما ﴾(70الفرقان) لأنه لم يرجع نهائياً، ومكان كل ذنب تكون حسنة، فما هذا الفضل العظيم؟! وما هذا الكرم العميم؟! هذا لنا من أجل حضرة النبي ﷺ.

﴿ ويدخلكم جنت تجرى من تحتها الأنهر ﴾ ومتى ذلك؟ في اليوم العظيم، الذي سيكون يوم الخزي والفضيحة لكل الأُمم السابقة ما عدا أُمة النبي المختار.

والفضيحة عندما يُحاسب المرء على الملأ والكل يشاهده ويشاهد ما عمله، ولذلك خصَّنا الله ﷻ بحساب خاص اسمه حساب الفضل الإلهي، وغيرنا من الأُمم يحاسبون بحساب العدل: ﴿ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصىها ﴾ (49الكهف).

أما نحن: ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون ﴾ (16الأحقاف) ولذلك كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

{ ذُكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شـــهر، فعجب رســـول الله ﷺ لـذلـك وتمنى ذلـك لأمتـه، فقـال: يا رب جعلت أمتي أقصــر الأمم أعمارًا وأقلها أعمالا؟ فأعطاه الله ليلة القدر، فقال: ﴿ ليلـة القـدر خير من ألف شـــهر ﴾ التي حمـل فيهـا الإســـرائيلي الســـلاح في سبيل الله، لك ولأمتك إلى يوم القيامة } [120]

فمن يُحيي هذه الليلة ينال عمل وثواب ألف شـــهر مقبولة تامة عند الله تبارك وتعالى، وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى:

{ يَا حَبِيبِي يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَبِّ، قَالَ:

هَلْ غَمَّكَ أَنْ جَعَلْتُكَ آخِرَ النَّبِيِّينَ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لا،

قَالَ: يَا حَبِيبِي، فَهَلْ غَمَّ أُمَّتَكَ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ، قُلْتُ: يَا رَبِّ لا،

قَالَ: أَبْلِغْ أُمَّتَكَ عَنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ؛

لأَفْضَحَ الأُمَمَ عِنْدَهُمْ، وَلا أَفْضَحُهُمْ عِنْدَ الأُمَمِ } [121]

---

120 تفسير البغوي
121 تاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس رضي الله عنه

أمة الحبيب ﷺ لا يطول مُكثهم في القبور!!!، ويطّلعوا على مساوئ الأُمم، ... ولا يطّلع على مساوئهم أحدٌ غير الله ...

فنحن نقرأ في كتاب الله ما فعله اليهود مع سيدنا موسى، وما فعلوه مع سيدنا عيسى، وما فعله إخوة يوسف معه مع أنهم كانوا أنبياء!، وغيرهم وغيرهم، لكن هل يأتي أحد بعدنا ويرى ما عملناه؟ لا أحد، وهذا فضل الله تبارك وتعالى.

فضل الله على المؤمنين في الآخرة

نحن آخر الأمم، فكيف يكون الحساب؟ قال ﷺ:

{ نَحْنُ الآخِرُونَ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [122]

فيبدأ بنا أولاً، لأننا أول فوج سيدخل الجنة من فضل الله تبارك وتعالى، فسيبدأ بنا الله ويكون حسابنا بيننا وبينه، والأُمم الأُخرى لا ترى ما في هذا الحساب حتى لا نتعرض لخزي ولا فضيحة ولا شيء من هذا القبيل.

هذا الحساب الذي سيُحاسبنا الله عليه، كان الأنبياء يطلبونه، ولكن من أجل خصوصيته لم يطلبه أحدٌ منهم لابنه أو لأُمته، فسيدنا إبراهيم أبو الأنبياء كان يقول: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (87الشعراء) فلم يقُل: ولا تُخزنا، يعني هو والذين معه، لكن وحده فقط، لأنه يعلم أن هذا مطلب عزيز، فيكفيه أن ينجو، والباقي ينال نتيجة ما عمله.

122 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

لكن الله يقول لنا: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ لن يفضــح النبي ولا المؤمنين الذين معه، ومن الذين معه؟ الذين كانوا في زمانه إلى يوم الدين، يعني نحن من جملتهم، فليس الذين معه من كانوا في زمانه فقط، ولكننا كلنا معه ﷺ، فأخذنا من الله ﷻ فضـلاً منه وكرمًا عفوًا عامًا من الحساب أمام الأنام، فكيف يُحاسبنا؟ حضـرة النبي ﷺ وضَّح هذا الأمر فقال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ } [123]

هل رأى أحدٌ فضـــائحه التي فعلها؟ لا، وهل رأى أحدٌ المصـــائب التي ارتكبها؟ لا، وهذه خصوصية لنا من أجل حضرة النبي.

123 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

أهل التكريم من الكريم

ولذلك أعظم فرحة لأي مؤمن عندما يقرأ: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ فنحن معه، فهل يوجد شـــيء أعظم من ذلك؟!! ومن كان معه فياهناه:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (29الفتح).

هؤلاء الذين ســيكونون معه يوم القيامة: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ﴾

ســيكون لهم نوران: نورٌ أمامهم، وهذا نور الإمام الأعظم، والســيد الســند الأكرم ﷺ،لأنه آلى على نفســه أن يمشــي أمامنا في كل ســاحات العرض والحســاب، .... وهؤلاء لمنكان لهم حساب

لأن هناك جماعة سيخرجون من القبور إلى القصور - وإن شاء الله نكون منهم - وهؤلاء ليس لهم علاقة بهذا الحســاب لا من بعيد ولا من قريب، ويجلســون في القصــور: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ (23المطففين) يشــاهدون أهل الموقف: ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (المطففين)

جالســين فرحين يشــاهدون أهل الموقف، ويُســقون من شــراب أهل الجنة، أو شـــراب الله: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (21الإنســـان) ... وهناك جماعة يخرجون قدام عرش الرحمن، وكل واحد منهم له منبر من نور، وهؤلاء الذين يقدمهم رســـول الله، ويُعطيهم تفويض وكل واحد منهم يكون له كشف يشفع فيه لعدد من أهل الموقف على حسب درجته ومقامه، وعلى حسب ما يُحدده له حضرة النبي ﷺ ... والآخرون الذين في الموقف سيكون النور أمامهم، وهو سيدنا رسول الله، سيدنا أنس بن مالك يقول:

{ سَـأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْـفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: أَنَا فَاعِلٌ، قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ، قَـالَ: اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَـا تَطْلُبُنِي عَلَـى الصِّـــرَاطِ، قَـالَ: قُلْـتُ: فَـإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَـى الصِّـــرَاطِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ } [124]

124 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس بن مالك ﷺ

يُريد أن يطمئن على الأُمة، فعند تطاير الصُحف يُريد أن يطمئن أنهم كلهم أخذوا الكتـاب بـاليمين: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ ﴾ (الإنشـقاق) ... وعند الميزان يقف مع كل واحد منا حتى يطمئن أن ميزانه ثقل، قال ﷺ: {مَنْ قَضَى لأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ فَإِنْ رَجَحَ؛ وَإِلا شَفَعْتُ لَهُ}[125] ويقف عند الصـراط إلى أن يتأكد أننا مررنا، وهذا لأهل اليمين الذين يتعرضـون للحسـاب فهؤلاء سيكون أمامهم سيدنا رسول الله: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾.

ولهم نور آخر في أياديهم اليُمنى، وهو نور العمل الصـالح: ﴿ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾ فيكون لهم نورين، كما في الآية القرآنية في سورة الحديد: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾ (12الحديد) فيكون نور رسـول الله أمامنا، ونور العمل الصالح في أيماننا.

125 حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الجماعة المنافقون - نسأل الله الحفظ والسلامة - والذين نطقوا كلمة التوحيد بألسنتهم، ولأنهم نطقوا كلمة التوحيد مرة فسيظهر لهم نور يوم القيامة، ولن يستمر ولكنه سينطفيء لأنهم قالوها بألسنتهم ولم تطمئن بها قلوبهم، فنورهم سينطفيء، وعندما يرى المؤمنون هذه الحالة يخافون، ويقولون لربهم: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ تمم لنا النور إلى أن ننتهي من هذه المتاهات والمواقف: ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) ﴾.

المقربين يقولون: نريد تمام النور، وتمام النور أن تأذن لنا بعد أن تجهز قوانا لنتمتع بالنظر إلى وجهك الكريم، وهذا هو النور الأتم، والنور الأعظم، وهو: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ (القيامة).

نســـأل الله ﷻ أن يجعلنا على الدوام من عباده التوابين الذاكرين الشـــاكرين الفاكرين الحاضـرين بقلوبهم بين يديه في كل وقت وحين، وأن يتفضـل علينا ويضـع في قلوبنا خشيته، وأن يجعلنا من أهل الخوف من جلال حضرته، وأن يرزقنا مراقبته في كل وقت وحين حتى نحظى أجمعين بقول رب العالمين: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (4الحديد)

صلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة (١٣) وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة (١٤) فيومئذ وقعت الواقعة (١٥) وانشقت السماء فهى يومئذ واهية (١٦) والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (١٧) يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (١٨) فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه (١٩) إنى ظننت أنى ملاق حسابيه (٢٠) فهو فى عيشة راضية (٢١) فى جنة عالية (٢٢) قطوفها دانية (٢٣) كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية (٢٤) ﴾ (الحاقة)

8.علامات رضا الله تعالى عن العبد 126

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل علينا الكتاب فيه تبياناً لكل شيء، وهدىً ورحمةً للمؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جعل الله قلبه محلاً لنزول لقرآن، وجسمه وأعضاءه هم التطبيق العملي في حركاته وسكناته لما جاء بالقرآن، ودعوته بلسان البيان تفسيرٌ وتوضيحٌ لما جاء في كلام حضرة الرحمن، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من اهتدى بهُداه، ومشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين آمين .. آمين يا رب العالمين.

علامات رضا الله على العبد

هناك علامات بيَّنها لنا كتاب الله، إذا أَنِسَها المرء في نفسه يعلم علم اليقين أن الله ﷻ راضٍ عنه ويُحبه.

126 الأقصر – الضبعية – المسجد العتيق بعزبة حسان - 30 من صفر 1440هـ 2018/11/9م

مراقبة الله

العلامة الأولى: أن يرى المرء أن الله يطَّلع عليه في كل وقت وحين، ولا تغيب عنه هذه الفكرة أو النظرة طرفة عين أو أقل، دائماً أمام عين باصرته:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (4الحديد).

هذه النظرة توزن حركات وســـكنات وأعمال وأقوال الإنســـان، لأنه يعلم علم اليقين قول الله في القرآن:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (105التوبة)

كل عمل وكل حركة وكل ســـكنة يعلم أن الله يطلع عليها ويراها، حتى خفيّات الصدور وحتى خطرات القلوب:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (19غافر).

تذكر الموت والدار الآخرة

العلامة الثانية: ذكَّرنا الله بها في كتاب الله في الآيات التي معنا، أن يتذكَّر الإنسان على الدوام أن الدنيا ليست دائمة، وأنه سيتركها أو تتركه آجلاً أو عاجلاً، وفي نَفَسٍ أو أقل يكون بين يدي من يقول للشيء كن فيكون وسيأتي يومٌ يجمع الله الناس فيه للعرض والحساب والثواب والعقاب.

إذا تذكر المؤمن أيضاً هذا اليوم على الدوام، فلن تستطيع النفس ولا الشيطان ولا قُرناء السوء أن يُميِّلوه إلى معاصي الله، أو يدفعوه إلى الغفلة عن ذكر الله، لأنه في كل لحظة يترقب لقاء الله ، والله ﷻ قال لنا في هذا اللقاء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍ ﴾ (18الحشر).

يوم القيامة كأنه غدًا، كأنه على وشك الدخول في أي لحظة من لحظات الإنسان.

هذه هي الأحوال التي ركَّز فيها سيدنا رسول الله ﷺ مع أصحابه المباركين أن يستحضروها على الدوام، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

{ يَا رَسُولَ الله هَل يُحْشَر مَعَ الشُهدَاءِ أَحَد؟ قَالَ: نَعَم؛ مَنْ يَذكُرِ المَّوتَ فِي اليَومِ واللَّيلَةِ عِشرِينَ مَرَّة }[127]

127 ذكره الغزالي في الإحياء والقرطبي في التذكرة والسيوطي عن عائشة رضي الله عنها

يعني مَن تذكَّر الموت في اليوم والليلة عشـرين مرة، طُبع بطابع الشـهداء، فلو مات يأخذ لقب شهيد عند الحميد المجيد ﷻ.

ويوم القيامة يوم مشـهود كلنا سـنشـهده: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ (3البروج) شـاهد وهو ﷺ، ومشهود وهو يوم القيامة، فكلنا سنحضر فيه أجمعين، لذلك لا بد أن نعرف بعض تفصيلاته، وبعض أحداثه وملابساته، حتى نُجهز أنفسنا لهذا اليوم.

القيامة كما حدَّدها الله في كتاب الله، لا يعلمها إلا الله جل في عُلاه، حتى أن سيدنا رسول الله ﷺ وهو الذي علَّمه ربه ما لم يكن يعلم:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (113النساء)

سأله أمين الوحي جبريل:

{ أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ } [128]

---

128 جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

لذلك أرجو من أحبابي أن لا يلتفتوا إلى المخرِّفين الذين يريدون عمل كتب ليبيعوها ويوزعوها، ويقولون: أن الساعة ستقوم، وعلامات القيامة كذا وكذا، ويحددوا سنين وأيام!! من أين هذا الكلام؟!! هي من العلوم الخمسة التي لا يعلمها إلا الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (34لقمان) هذه اسمها العلوم الخمسة الغيبية التي لا يعلمها إلا الله .

لكن أحداث الساعة الكُبرى ... وعلاماتها ظهرت منها بعض العلامات الصُغرى، والعلامات الكُبرى لا زالت في الطريق، ونحن لا يعنينا هذه ولا هذه، .... وإنما يعنينا قول الحبيب ﷺ:

{ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ } [129]

129 رواه ابن أبي الدنيا، وأورده الشوكاني في فوائده

ما شأني وشأن القيامة العامة التي تحدث للأنام؟! تأتي بعد مليون سنة، أو بعد ألف سنة، أو بعد مائة سنة، لا شأن لي بها، .... لكنني لي قيامة ... قد تأتي في أقل من لمح البصر .... وهي الموت.

تجهيز أرض القيامة للحساب

بعد أن يُقدِّر الحق ﷻ نهاية الحياة الدنيا يُؤهل أرض الموقف العظيم للعرض والحساب، ويكون معها سماء الدنيا بما فيها ومن عليها.

وأول علامة من هذه العلامات الكُبرى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾

والصور بعض المفسرين والمؤولين على قدرهم فكرياً قالوا: هو كبوق ينفخ فيه إسرافيل.

ولكن سمعنا من أهل اليقين أن الصور عالم يحوي كل ما في السماوات وما في الأراضين، عالم واسع جداً فيه كل ما في السماوات وما في الأرض، ويسع كل هذه الخلائق والكائنات، وهذا ما يُحيط بهذه الكائنات كلها.

والذي ينفخ هو إسـرافيل، وأُذكِّر نفسـي وإخواني بحديث حضـرة النبي في هذا الباب، فقد دخل سيدنا عمر على سيدنا رسول الله وهو نائمٌ على حصير، والحصير قد ترك أثراً في جنبه الشريف، فبكى عمر، فقال ﷺ:

{ مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ؟، قَالَ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ، كِسْـرَى وَقَيْصَـرُ عَدُوَّا اللَّهِ يَفْتَرِشَـانِ الـدِّيبَـاجَ وَالْـحَرِيـرَ وَأَنْـتَ نَـبِيُّـهُ وَصَـــفِيُّـهُ وَلَـيْسَ بَـيْـنَـكَ وَبَـيْـنَ الأَرْضِ إلا الْحَصِيرُ وَوِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[130] وقال ﷺ: { كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَـــاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ }[131]

وانظر إلى يقين سيدنا رسول الله كيف كان؟! إسرافيل جاهز لتلقِّي الأمر، وهذا معناه أن الساعة قريبةٌ أقرب من لمح البصر.

نفخات الصور

هذا الصُـور سـينفخ فيه إسـرافيل كما ذكرت آيات كتاب الله وأحصـاها السـادة العلماء الأجلاء ثلاث نفخات:

130 الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها
131 مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

النفخة الأولى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (87النمل) وتُسمى نفخة الفزع والهلع والجزع من الحياة الدنيا لكل كائن فوقها.

النفخة الثانية: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (68الزمر) والصعق كما نعرف هو الموت السريع الذي لا يشعر به الإنسان، ولا ينازع فيه فترةٌ من الزمان، كما نسمع: فلان صعقته الكهرباء، كم يستغرق من الدقائق كي يموت؟ لحظة، فالصعق يكون بهذه الشاكلة، موتٌ فُجائي يأتي لمن يكون في هذا الزمان.

ثم يأمر الله ﷻ الرياح فتهُبُّ على الأرض من جهاتها الأربع كما أنبأ الإمام علي باب مدينة العلم ﷺ وكرَّم الله وجهه، وتشتد صدمات هذه الرياح حتى تُحوِّل الجبال إلى كثيباً مهيلاً - يعني أكوام من الرمل - وتشتدُّ صدمات هذه الرياح حتى تجعل الأرض عاليها سافلها وتسويها ببعضها ولا تجعل فيها شيئاً باقياً: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ والواقعة هي أحداث يوم القيامة، يبدأ رب العزة ﷻ

في تجهيز أرض الموقف العظيم ليُعرض عليها السابقين واللاحقين والخلائق أجمعين في ساحة واحدة أمام من يقول للشيء كن فيكون.

ليســـت هذه الأرض: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (48إبراهيم).

بعد أن يُجهز الله أرض الموقف، والأرض ستنتهي، والسماء بما فيها من شمسٍ وقمرٍ ونجوم ستكون كما قال الله: ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ ستكون كأن لم تكن، وتُجهَّز أرض الموقف العظيم للعرض والحساب.

﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ كـل من يقوم بـالتجهيز ملائكـة الله تبـارك وتعـالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ ســـيدنـا رســـول الله ﷺ قـال فـي حديثه الصحيح:

{ يَحْمِلُهُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَةٌ } [132]

132 جامع البيان للطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما

هل هؤلاء الثمانية ملائكة؟ أم ثمانية صفوف من الملائكة؟ أم ثمانية أصناف من الملائكة؟ أمرٌ لا يعلمه إلا من يقول للشــــيء كن فيكون، ولذلك الكلام المحشـــو به الكتب، ونقلوه من الإسـرائيليات في وصـف هؤلاء الملائكة، لا نعبأ به، ولا نأخذ به، .... لأنه لم يرد عن الحبيب ﷺ.

فالغيوب إما أن نأخذها من كتاب الله، أو من رســـول الله فقط: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ (الجن) اليهود قالوا كذا، والمفســـرين قالوا كذا، طالما ليس معه ســـندٌ للحديث أترك هذا الحديث ولا أُحدِّث به، وأترك الغيوب لحضرة علام الغيوب .

بعد أن تُجهَّز أرض الموقف يأمر الله ﷻ إســـرافيل أن ينفخ النفخة الثالثة: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ (68الزمر) وفي الفترة التي بين النفختين قال ﷺ:

{ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ } [133]

هذا الحديث يرويه سيدنا أبو هريرة، وانظر لأدبهم فقد قالوا له:

---

133 تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ﵁

{ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: أَبَيْتُ } [134]

يعني لا أعلم، فلم أسمع من رسول الله شيئاً فيه، يعني أنا سمعته يقول: أربعون وأبيت أن أتكلم في هذا الأمر، ولم يُفسر الأربعين، فلا يجب أن أفسرهم وأقول أربعين سنة أو أربعين يوم أو أربعين ساعة، لأن هذا أمر ذكره رسول الله، فأتركه لأنه من غيوب الله أي التي لا يُطلع الله عليها إلا حبيبه ومصطفاه ﷺ.

بين النفختين عندما تشتد صدمات الجبال، ستُجمع حقائق الإنسان في الموضع الذي وضعناه فيه في أرض الله، وكل إنسان له خصوصية خصَّه بها الرحمن، فكل واحد فينا له وجه لا يتكرر، وله صوت لا يُماثله صوتٌ في الأولين ولا في الآخرين، وله رائحة عرق ليست لأحد من الإنس أجمعين، ولذلك سيدنا يعقوب عندما أتوه بالقميص وكانوا لا يزالون خارجين به من مصر، قال: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ (94يوسف) لم يقُل ريح القميص،ولكن ريح يوسف، لأن يوسف له رائحة معينة خصَّه الله بها، وكل واحد فينا له رائحة معينة خصَّه الله بها ... وعرفنا حديثاً أن كل واحد له بصمة في الأصابع، وله بصمة في العين،وله بصمة في الأضراس، وله انفراد في الدم، فالحمض النووي له لا يُشابه أحدٌ من الأولين ولا الآخرين، فكل واحد له حقائقه الخاصة به.

134 البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

فتتجمَّع حقائق الإنسان في الموضع الذي وضعناه به في أرض حضرة الرحمن، وإذا أراد الله ﷻ أن يُحيي الناس للعرض والحساب، قال ﷺ:

{ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ }[135]

لأنه أُخذ عينة من كل واحد من الماء الذي تكون منه وصعدت إلى صحائف المُزن، ليتحقق قول الله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (29الأعراف) تنزل العينة التي تكوَّن منها جسم الإنسان، ويتلقَّى بعد ذلك النفخة الثالثة:

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (68الزمر).

النشأة الأخرى

تخرج الأرواح من مستقرها إلى بيتها الذي كانت تعيش فيه في عالم الدنيا، فلا توجد روح تتوه عن الإنسان الذي كانت فيه في حياته الدنيا مع أنه بنيان أي جسم، لكن الأجسام ستكون على حسب ما أعدَّ الله ﷻ للإنسان في عالم الغيب المصون.

---

135 تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ﵁

فإن كان من أهل الجنان ونسأل الله أن نكون منهم أجمعين، تكون له هيئة خاصة بها، وإن كان من أهل النيران ونسأل الله الحفظ والسلامة، تكون له هيئة خاصة بها، وهذه اسمها النشأة الأُخرى، تأخذ صورة الإنسان، فمن يراه يعرف أن هذا فلان، لكن الهيئة تناسب متعة الجنان، أو تناسب عذاب النيران.

فإذا كان من أهل الجنان يكون كما قال ﷺ:

{ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، سِتُّونَ ذِرَاعًا } [136]

فيكوِّن جســمه ولكنه ليس فيه جهاز إخراج، لأن أهل الجنة الذين يدخلون الجنة لا يتبولون ولا يتمخطون، سألوا سيدنا رسول الله ﷺ: كيف تخرج فضلات الطعام؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ } [137]

تخرج رشــحات عرقٍ رائحته كرائحة المســك، لكنهم لا يتبولون ولا يتغوطون ولا يهرمون، ولكن يظلون شباباً فيها:

{ لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ } [138]

136 صفة الجنة لابن أبي الدنيا عن أنس ﷺ
137 صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ
138 مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

أهل الجنة لا يبلى شبابهم ولا يسقمون ولا يتنخمون، فليس هناك زكام ولا رشح ولا صـداع ولا غير ذلك، فيصـير جسـماً آخر جهَّزه الله للنعيم، فيه ما يسـاعده على التنعم بلذة النعيم، وليس فيه كل ما يخشـاه الإنسـان في عالم الدنيا، مما يتألم منه ويشتكي منه، لأنه عندما يدخل الجنة يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ (34فاطر).

لا يوجد في الجنة حُزنٌ ولا ضيقٌ ولا غضب ولا أي شـيء من الأشياء التي لا تُعجبنا في هذه الحياة الدنيا، فكلهم يومئذ يكونون أهل رضًا تامًا عن النعيم الذي يتولاه لهم الله ﷻ في عالم الجنان.

أما أهل النار ـ نسأل الله الحفظ والسلامة ـ

لابد أن يكون جسـمه يُلائم عذاب النار، فالعذاب يكون لأي شـيء في جسـم الإنسان؟ وما الذي يتألم في الإنسان؟ الجلد، فعندما يُشكُّ إنسان بإبرة يتألم، فإذا دخلت الإبرة داخل الجسم لا يشعر بشيء، لكن الألم يكون في مركز الإحساس وهو الجلد، لذلك يقول الله: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (56النسـاء)

وكيف تكون هيئة جلد الكافر؟ قال ﷺ:

{ غِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ } [139]

سُمك جلد الكافر كمسيرة سفر ثلاثة أيام، فكيف يكون حجمه؟ قال ﷺ:

{ ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ } [140]

وقال: { مَقْعَدَةُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ } [141]

وهذا شـــكل آخر ومخيف ومُرعب، ليتحمَّل العذاب عندما يدخل الجحيم وبئس القرار، نسأل الله تبارك وتعالى الحفظ والسلامة.

العرض على الله

قبل دخول الجنة وقبل دخول النار سيكون العرض:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾: كل ما فعله الإنســـان بأي جارحة من الجوارح سيعاتبه أو يلومه أو يُوبخه أو يُحاسبه عليه حضرة الرحمن، ولكن كما قلت: هنـاك أُنـاس يلومهم فقط، وأُنـاس يكون لهم بعض العتـاب، وأُنـاس يكون بـالتوبيخ، وأُناسٌ لا يصـلح معهم إلا حُكم الدخول إلى جهنم وبئس القرار، لكننا والحمد لله نسـأل الله أن نكون من أهل النجاة في هذا اليوم.

---

139 صحيح مسلم والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
140 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
141 مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري ﷺ

هذا اليوم قال فيه الله: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (4المعارج) فيبدأ

أولاً بتطاير الصُــحف، وبعد أن يأخذ كل واحد صــحيفته، منهم من يأخذ صــحيفته باليمين، ومنهم من يأخذها بالشــمال، ومنهم من تأته في رقبته، وبعد ذلك يأخذوه إلى ساحة الحساب للعرض على الكريم الوهاب .

نحن نطلب من الله أجمعين أن يجعلنا ممن يتناول الكتاب باليمين، لأن الله ذكرهم وفرَّحنا بذكرهم لكي ندعوا على الدوام أن نكون من جملتهم:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾: يأخذه فرحاً ويذهب لأهل الموقف جميعاً ويقول:

﴿ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾:

وهاؤم يعني خذوا كتابي ها هو واقرأوه كلكم، لأنه فرح بالكتاب الذي فيه الأعمال الصالحة.

وهذه الأُمة المجتباة من فضل الله تبارك وتعالى علينا إذا كتب للإنســان أنه من أهل اليمين يحذف منه كل الأعمال التي عملها ولا تُرضي رب العالمين، وتكون على هيئة عتاب أو لوم بينه وبين الله، ولا يطلع عليها أحدٌ من خلق الله، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ} [142]

لكن الكتاب الذي يتباهى به ليس فيه هذه الأشياء، لأن الله سيحاسبنا بفضله ولن يحاسبنا بعدله، لماذا؟ لأنه أعطانا وعد: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ (8التحريم).

وإذا أظهر هذه الأعمال سيكون فيها خزيٌ وفضيحة لنا، فيمسحها ويعاتبنا فيما بيننا وبينه فيها فقط، ويعفو عنا الله ببركة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فيكون المؤمن سعيداً، ويقول:

﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾: أنا كنت مُجهز نفسي لهذا اليوم، فاجتهدتُ في الطاعات، وتُبتُ من الذنوب والزلات، وعلمت أنه سيأتي يوم تُعرض فيه أعمالي على من يقول للشيء كن فيكون.

142 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

وتأتي الملائكة لتردُّ عليه، فتقول:

﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ ﴾: ليس فيها إلا الرضا عن الله ﷻ:

﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ ﴾:

لأن أشجار الجنة وكل ما في الجنة يفهم ويعقل، ويعلم الخواطر التي في القلوب وفي النفوس، فكل ما في الجنة له بصيرة، فلا يذهب الإنسان إلى أشجار الجنة ويصعد ويقتطف منها ما يُريد، لكن بمجرد أن يخطر على باله ويشتهي ثمرة من ثمار أشجار الجنة، يجد الشجرة تتحرك نحوه، والفرع يسقط في حِجره ليقتطف ما يريد وما خطر على باله من ثمار طيبة وعده بها الحميد المجيد .

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ ﴾:

يعني قريبة، فلا يحتاج أن يمد يده حتى ولا يصعد إليها ولا يأتي بسلم، فعلى الفور تأتي إليه لأن كل ما في الجنة يعقل عن الله، ويعرف بما عرَّفه مولاه ما في قلوب أهل الجنة فيستجيب لهم تنفيذاً لأمر الله .

فإذا أُكرموا بدخول الجنة يأتيهم النداء من الله ومن ملائكة الله الذين يمرون عليهم ويدخلون عليهم من كل باب:

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾:

الأيام الخالية من الذنوب، والأيام الخالية من الظلم، والأيام الخالية من المخالفات، والأيام الخالية من الغفلة عن الله، والأيام التي قضيتها ذاكراً لله وطائعاً لله، وتجتهد في الاقتداء بسنة حبيب الله ومصطفاه، فهي التي أوصلتك لهذه المنزلة العالية.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل الجنان العالية، والدرجات الراقية ...

وأن يجعلنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر ...

وأن يجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا ...

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى في جوار خير النبيين،وأن يُمتعنا بأجمل متعة في الجنة وهي النظر إلى وجهه الكريم

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الإنسان خلق هلوعا (١٩) إذا مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١) إلا المصلين (٢٢) الذين هم على صلاتهم دائمون (٢٣) والذين فى أموالهم حق معلوم (٢٤) للسائل والمحروم (٢٥) والذين يصدقون بيوم الدين (٢٦) والذين هم من عذاب ربهم مشفقون (٢٧) إن عذاب ربهم غير مأمون (٢٨) والذين هم لفروجهم حافظون (٢٩) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين (٣٠) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٣١) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٣٢) والذين هم بشهاداتهم قائمون (٣٣) والذين هم على صلاتهم يحافظون (٣٤) أولئك فى جنات مكرمون (٣٥) ﴾ (المعارج)

9.أهل التكريم في الجنة [143]

بِسْـــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بخير كتاب أنزله الله إلى خلق الله، ومتَّعنا بأفضل نبي وأكرم رسول اجتباه الله تبارك وتعالى واصطفاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، الذي خصَّه مولاه بما لم يخُص به أحداً من أنبياء الله ورسل الله، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

كان رسول الله ﷺ جالساً بين صحبه المباركين، فأجلى الله تبارك وتعالى له ما يحدث لأُمته إلى يوم الدين ....

فنظر إلى الزمن الذي نحن فيه وقال:

{ سَيَكُونُ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ } [144]

وفي رواية أخرى:

{ سَــتَكُونُ فِتَنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْـــلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ،

---

143 الأقصر – المسجد العتيق بمدينة أرمنت - 1 من ربيع الأول 1440هـ 2018/11/10م
144 معجم الطبراني عن جندب بن عبد الله ﷺ

فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }[145]

الأشفية القرآنية

والله ﷻ يكشف لنا دوماً عن سر إعجاز القرآن، فقد قال لنا في محكم التبيان: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (82الإسراء) وكلمة (وننزل) يعني إلى يوم القيامة من معاني القرآن، وأسرار بيان القرآن، ما فيه شفاءٌ لأمراض المؤمنين المعنوية والجسمانية والنفسية والاقتصادية، وفي كل الأحوال من كتاب الله .

من هذه الأشفية الإلهية ما ذكَّرنا الله تبارك وتعالى به في هذه الآيات القرآنية، فقد ظهر في عصرنا هذا كثيرٌ من الأمراض الناتجة عن التوترات العصبية والنفسية واستشرت حتى كادت تزيد عن الحد، كالسكر والضغط وتصلب الشرايين، وغيرها من الأمراض التي لم يكن أجدادنا ولا آباؤنا يسمعون عنها من قريب ولا من بعيد.

---

145 سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

هذه الأمراض والحالة الذي ظهرت فيها ذكرها الله في كتاب الله في آيات القرآن الكريم التي معنا، ما سرها؟ وما سببها؟: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ لم يقُل المؤمن ولا المسلم، ولكن (الإنسان) أي إنسان في عالم الإنسانية، خُلق وطبيعته الخوف من الفقر، والخوف من المستقبل، والخوف من المجهول، والخوف من كذا وكذا إلى ما لا نهاية، دئماً شديد الخوف مما يُحيط به من أمور دنياه.

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ إذا جاءه ابتلاء صغير، والابتلاء نوَّه به علينا خالق الأرض والسماء لنكون مستعدين وجاهزين، وقال لنا كلنا: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (155البقرة) الذين سيأخذون فيتامينات الصبر من سيد الأولين والآخرين، سيكون عندهم مناعة ربانية يستطيعون بها أن يقاوموا بها هذه الأمور والفتن التي تحدث لهم في أمورهم الدنيا.

لكن الإنسان العادي، أو الإنسان الذي لا يمشي سوياً على الصراط المستقيم، ولا يستطيع متابعة نبينا الرءوف الرحيم لا بد أن يكون فيه شيئ مما ذكره الله في الآيات.

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ عندما يأتيه خير من مال أو زرع أو ضـــرع تجد البُخل وهو طبيعة في الإنسان، فيبخل عن الإنفاق، أو عن التصرف فيما آتاه الله لعباد الله الذين أمره الله أن يتواصل معهم: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (17البلد).

المناعة الإيمانية

هذه الأمراض تأتي لكل بني الإنسان: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾:

الذين يُحسنون أداء الصلاة لله، ويُتمُّون ركوعها وسجودها، ويستحضرون في قلوبهم عظمة الله فيخشـــعون عند أدائها، ويُخلصـــون في التوجه لله في النوايا قبلها وأثناءها وبعدها، هؤلاء يأخذون اعفاء من ملك الملوك ﷻ أنهم لا تأتيهم هذه الأمراض العصرية أبداً.

وســـبحان الله!! يُقيض الله ﷻ في كل زمان ومكان من يزيدنا برهاناً في كتاب الرحمن، ويكشف لنا إعجاز الله تبارك وتعالى في هذا البيان.

فالأوروبيون يقفون عند مثل هذه الجزئيات، ويقولون: لماذا المصـــلين؟ وهم لا يقتنعون إلا بـالبحوث العلميـة التي تراهـا العيون، فبحثوا في هـذا الأمر فوجـدوا أن الإنســـان من تقدير حضـــرة الرحمن ﷻ له حوالي مائة مليار خلية عصـــبية بالمخ ومتصـلة بجميع أعضــاء الإنســان توصـل إليه الأخبار في الوقت والحين، فإذا حدث للإنسـان أي وخزة حتى من إبرة فيجسـمه فعلى الفور يصـل الأمر إلى المخ، ليبدأ في تدارك هذا الأمر ويستعد ويتجهز للقاء هذا الأمر الهام.

فإذا دخل ميكروب ليهاجم الجســم، فعلى الفور يـأمر القوات المجهزة في كل الأوقـات لجميع الأمراض والعلّات .... أن تخرج الفرقـة التي تقـاوم هـذا الـداء فوراً بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

هذه الخلايا متصـلة بكابل واحد في عُنق الإنسـان، وهو الحبل الشـوكي، فيصـل بين المخ وبين كل حقائق الإنسان، بحثوا علمياً فوجدوا أن الحبل الشوكي عندما يذكر الإنســان الله يقوى ويتسـع، وعندما يُسـبِّح الله يقوى ويمتد، وعندما يشـتغل بالصــلاة - وكلها تسبيح ودعاء وذكر وتلاوة لكتاب الله - يتسع ويمتد، فيمتص الإنسان الصدمات التي يتعرض لها، ولا يتأثر بها، ويكون عنده مناعة ضــد هذه الأمراض التي أشــرنا إليها بسـبب التوتر العصـبي، كالأمراض النفسـية والأمراض العصـبية، والأمراض الجسمانية كالضغط والسكر وغيرها.

إذا كان الإنسان بعيداً عن طاعة الرحمن كما قال القرآن:

﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ (124طه) .... معيشته كلها ستكون

همّ وغم ومشاكل لأنه بعيد عن طاعة الله، وعن ذكر الله .

حتى أن الهنود عندهم عبادة خاصة بهم - هداهم الله - اسمها اليوجا، ويعملون على نشرها في أمريكا وغيرها، ويقولون لهم: إن كنتم تريدون أن يكون عندكم حصانة من هذه الأمراض فداوموا على اليوجا فيكون لكم تحصين من هذه الأمراض الجسمانية والنفسية والعصبية.

المداومة على الصلاة في وقتها في جماعة

وسبحان الله!! فرض الله ﷻ علينا الصلاة ليحفظنا بها بحفظه تبارك وتعالى من كل ما نخشاه في هذه الحياة، ولكنها تحتاج إلى: ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون (٢٣) ﴾

لا يواظب عليها فترة ويتكاسل عنها فترة، أو يواظب فترة على أداء الجماعة في أول وقتها في بيت الله، ثم يترك صلاة الجماعة ويصليها بمفرده، كما يفعل كثير من المسلمين، ويشتكون!!

تسـألـه: لماذا يا فلان لا تُصـلـي في المسـجد؟ يقول: إن الماء في البيت، وعندي المصـلاة، فما الذي يجعلني أذهب للمسـجد وهو بعيد؟!! فأنا أُصـلـي في البيت!! وهذه مصــيبةُ كثيرٌ من المســلمين في هذا الزمان ... وكانت هذه المصــيبة في البداية في المدن، ولكنها وصلت الآن إلى القُرى، بعدما أصبحت البيوت بها سخانات وكل شيء في البيت، فيريد أن يُصلي هناك.

الرءوف الرحيم ﷺ كان خائفاً علينا، فكان عندما يسمع الآذان يقول لهم:

{ إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى أَنْفُسِكِمْ؛ فَأَطْفِئُوهَا } [146]

يعني أطفؤوا النار التي ستقضـي عليكم، !! نار الهموم والغموم والمشـاكل التي لا تنتهي ولا حد لها .. ولا نهاية لها، ... أطفؤوها بالصلاة.

وعندما وجد أن قوماً يتباطأون على صلاة الجماعة قال ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ } [147]

لماذا يحرمون أنفســهم من هذه المناعة الإلهية، وهذه الحصـــانة الربانية التي جعلها الله سبحانه وتعالى لمن يُصلي في بيت الله في جماعة على الدوام؟!.

146 معجم الطبراني والأحاديث المختارة للضياء المقدسي عن أنس رضي الله عنه
147 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فضائل صلاة الفجر

وعندنا نموذج أُذَكِّر به فقط، فكلنا متوارثين ونعرف أنه من حافظ على صـــلاة الفجر في جماعة في بيت الله يظل شـــاباً إلى أن يلقى الله، لا يُصـــاب بأمراض الشيخوخة، ولا يُصاب بالزهايمر الذي أُصيب به شبابنا في هذا العصر!!، فأصبح كثير من الشباب - وليس الكبار - عندهم آفة النسيان، وما علاجه؟

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (78الإسراء).

لحظة الفجر يكون الكون كله كغرفة إنعاش لمن يخرج من بيته للقاء ربه تبارك وتعالى، فالمريض الذي يكون في غيبوبة، وعندما يدخل غُرفة الإنعاش يفيق وينتعش وتســري فيه الحياة؛ هواء الفجر من الجنة، وهواء الفجر ليس فيه عادم من الســيارت ولا المصانعولا غيره، لذلك أنقى هواء يتنفسه صدر الإنسان هو الهواء الذي يهُبُّ في ساعة الفجربأمر حضرة الرحمن .

فمن يحافظ على صـــلاة الفجر لا تأتيه أمراض الشـــيخوخة، ولا ينحني ظهره، ولا تســـقط أســـنانه، ولا يحدث له في عينه كذا، ولا في جســـمه كذا، ولا يُصـــاب بالزهايمر أو آفة النسـيان، وحتى لو مرض بعد ذلك بأي مرضـاً جسـماني، لكن عقله يظل منتبهاً حتى يخرج للقاء الله تبارك وتعالى .... وهذا يُعرِّفنا قيمة الصــلاة في بيت الله في وقتها في جماعة :

﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

الانفاق

ومع الصلاة يكون قلبه قد امتلأ بالخشوع لحضرة الله، والرغبة فيما عنده تبارك وتعالى، فيريد أن يجعل له حســاباً عند مولاه يجده عنده تبارك وتعالى يوم لُقياه، فكلنا مسافرون، وننتظر الرجوع إلى رب العزة: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ ﴾ (8العلق) والذي يرجع إلى هناك لا بد أن يكون له رصـــيد عند ملك الملوك ، ومن أين هذا الرصـــيد؟ من الإنفاق والصـــدقات والخيرات التي يُؤثر به إخوانه الفقراء والمســـاكين: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (96النحل).

سـيدنا رسـول الله ﷺ ذبح ذبيحة ذات مرة، وأمر زوجته التقية النقية السـيدة عائشـة أن توزعها على الفقراء، وسـيدنا رسـول الله كان يُحب من الغنم ذراعها، فوزَّعت السيدة عائشة الشاة كلها ما عدا الذراع لأنها تعرف أنه يُحبها، فرجع رسول الله وسألها:

{ مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلا كَتِفُهَا } [148]

اسمع وصلِّ على من لا ينطق عن الهوى، ماذا قال لها؟ قال ﷺ:

{ بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا } [149]

ما تم توزيعه هو الباقي في الرصيد، أما الكتف فسنأكله ولا شيء فيه.

فلا بد للإنسـان المؤمن لنفسه أن يجعل له رصيداً عند الله تبارك وتعالى، ولم يُكلِّفنا الله في هذا الأمر شـططا، ويُعطينا فائدة لم نسـمع عنها أبداً، أين البنك الذي يُعطينا سبعمائة في المائة وأضعافاً مضاعفة بعد ذلك؟!! لا يوجد إلا ربُ البرية ، كم أُنفق؟ قال ﷺ:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ } [150]

148 جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها
149 جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها
150 البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه

أنفق ولو بنصف تمرة ولا تستصغر شيئاً أبداً، فالسيدة عائشة رضي الله عنها جاءها أحد الفقراء وكان معها حبَّات عنب، فأعطته بعض حبات العنب، وليس حتى قُطفاً، فقالوا لها: أتتصدقين بمثل هذا؟!! فقالت: إن فيه لمثاقيل كثيرة من الحسنات لو تعلمون، قال ﷺ:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ }[151] وفي رواية أخرى:

{ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا }[152]

إن العبد ليتصدق بالصدقة لا يُلقي لها بالاً، ولا ينتبه إليها لأنها بسيطة، فيجدها يوم القيامة كجبل أُحد، فيقول: يا رب من أين لي هذا؟ فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا، أخذناها وربيناها لك فصارت كما ترى!!.

محاسن الصدقة

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ حق عملوه على أنفسهم، يقول بعض المفسرين إن هذا في الزكاة، مع أن هذه الآيات نزلت في مكة، والزكاة لم تُفرض إلا في العام الثاني من الهجرة.

151 البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
152 جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

لذلك يجب أن نُوســع الدائرة في أي مالٍ يتفضَّــل الله تعالى به على الإنســان، فاجعل منه شــيئاً لله، إن كان راتباً، أو إن كان دخلاً من أي جهة من الجهات، فاجعل منه شــيئاً ولو قليلاً لله، تمنع عنك الكروب والنكبات والأمراض والعاهات، وتجعلك في رعاية الله ﷻ في كل الأوقات، واسمعوا لهذا الحديث العظيم، قال ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ } [153]

الصــدقة تدفع ســبعين باباً من البلاء وقيل: أقلها الهم، وهل يســتطيع أحدٌ منا أن يتحمل الهم؟!! فالهم لو أصاب إنسان سينتهي، لا يتمتع بمنام، ولا يتذوق طعام، ولذلك يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه:

(تصدَّق كل يوم ولو بدرهم تُكتب في ديوان المتصدقين).

يعني لو أخرج الإنســـان كل يوم ولو رُبع جنيه لفقير، مع أن ابنه لن يأخذه إذا أعطاه له!!، لكن الفقير ســـيأخذه ويفرح به، ويدفع الله به عنك الكثير، المهم في هذا الأمر المداومة على هذا العمل لله .

يُعطي للســـائل الذي يســـأل، والمحروم العفيف النفس الذي يحتاج ولكنه لعفته يستحي أن يسأل، لأن الله أوصى أكثر بالثاني

153 معجم الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه

وقـال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (273البقرة) وهذا هو الأَوْلى الذي أبحث عنه، لكن لو وجدتُ سـائلاً وتوسـمتُ فيه أنه يحتاج أُعطيه لأعمل بقول الله.

استشعار يوم القيامة

هؤلاء الأقوام لن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك إلا إذا اتصفوا بما قال الله:

﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾:

القيامة كأنها معالم بين أعينهم لا يغيبون عنها طرفة عين ولا أقل، وهذا حال المؤمنين والذى كان يسـألهم عنه سـيدنا رسـول الله ﷺ، فيروى أحدهم وهو سـيدنا حارثة، فيقول:

{ أتيت النبي وقد أخذ رداءه، فلبّبه، فوضعه تحت رأسه، فسلمت عليه، فقال لي : كيف أنت يا حارثة؟ فقلتُ: رجل من المؤمنين. فقال : انظر ماذا تقول؟ قال: قلت: نعم، رجل من المؤمنين حقًّا. فاستوى نبي الله جالساً،ثم قال: قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ شيء حَقِيقَةً، فما حقيقة ذلك؟ قَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي، وَلَكَأَنِّي أَرَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ فِيهَا، فَقَالَ: عَرَفْتَ فَالْزَمْ، عَبْدٌ نَوَّرَ الله قَلْبَهُ بالإِيمَانُ }[154]

فالإيمان عندما يُنير القلوب، ويشرح الصدور، يجعل الإنسان دائماً يتذكر الآخرة وأهوالها ومشاهدها وأحداثها ليستعد لها، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾(22الزمر) وقال ﷺ مبيناً للآية:

{ إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ، انْفَسَحَ }[155] وفي رواية أخرى:

{ إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ، فَقيل: فَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالتَّأَهُّبِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ }[156]

154 رواه البيهقي في الزهد عن زيد بن أبي أنيسة
155 الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
156 رواه البيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الخشية من عذاب الله

ومن شدة استحضارهم: ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾:

خائفين من عذاب الله، ولا يطمئنون مهما كان عملهم الصـــالح في هذه الحياة، لماذا؟

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ بشَّره الرسول بالجنة، ومرة وضـع النبي يده اليُمنى على كتف أبي بكر، ويده اليُسـرى على كتف عمر وقال ﷺ:

{ هَكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[157] .. هل توجد بُشـــرى بعد ذلك؟!! لا، لكنه كان يقول: (لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدميَّ في الجنة) يعني أنا لا أطمئن إلا بعد حُسن الختام، لأنه رأى في القرآن أن أنبياء الله ورُسل الله يطلبون من الله حُسن الختام، فسيدنا يوسف الصديق يقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (101يوسف).

157 الحاكم في المستدرك والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

العبد الذي مُلئ قلبه بنور الإيمان عنده رهبة من لقاء حضـــرة الرحمن،... ويخاف من النَفَس الأخير الذي ســيقضــيه في هذه الأكوان، لأنه يُريد أن يخرج منها بحُسن الختام، ويُريد أن يُقال له:

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (27إبراهيم).

الأمان من الأمراض الجنسية العصرية

والذين يُريدون أن يأمنوا من الأمراض العصــرية نتيجة الاتصــالات الجنســية غير الســوية - وما أكثرها في زماننا - فالأوروبيون وصــلوا لحالة الآن أن الرجل يخاف أن يعاشــر زوجته إلا بعد أن يكشــف عليها طبيب ويأتيه بتقرير صــحي كامل أنها غير مصــابة بمرض الإيدز، فأراد الله أن يقينا من كل هذه الشـرور والآثام، فقال لنا:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

والذي يقع في الاتصـالات الجنسـية الأُخرى، إن كانت والعياذ بالله زنا، أو عمل قوم لوط، أو كل أنواع المتع الجنسـية العصـرية التي اخترعها الشـباب على الإنترنت الآن ..

فماذا قال فيها الله؟

﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾

الذي عادى نفسه، والذي تعدَّى حدود الله مع نفسه:

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ (1الطلاق).

فأصبح الأمان في هذا الزمان في كل الكون في السير على هدي الإسلام في الاتصالات الجنسية، والإسلام ضُرب به المثل في حياتنا العصرية في هذا الباب.

فأحد علماء اليهود في أمريكا، وكان متخصصاً في أمراض النساء، ووصل بخبرته إلى أنه اكتشف بالأجهزة التي معه أن الرجل عندما يأتي المرأة يكون له بصمة في فرجها، وبذلك يستطيع أن يعرف أن هذه المرأة ضاجعت واحداً أو أكثر، وهو نفسه يحكي ويقول: وجدتُ في زوجتي أكثر من بصمة، فعرفت أنها كانت تجامع غيري، ولم أعرف من أين أتى أولادي؟! فيقول: لم أجد أنقى ولا أطهر من نساء المسلمين.

متى تضيع هذه البصمة؟ قال: بعد أربعة أشهر وعشرة أيام تنتهي هذه البصمة تماماً وتكون المرأة جاهزة لبصمة أُخرى، وهي فترة العِدَّة التي فرضها الله .

وعندما قرأ هذه الآيات ورأى، أسلم، ودخل في الإسلام لأنه علم أن الدين الإسلامي هو الدين الصالح لكل زمان ومكان لأنه دين الله تبارك وتعالى.

نرى كثيراً من شـــبابنا في هذه الأيام بمجرد أن يتزوج يأتيه عجزٌ جنســـيّ، أو يحدث له عدم انتصــاب، أو شــيء من هذه الأمور، فيســارع الأهل إلى المشــايخ ربما يكون قد ربطه أحد، أو عُمل له عمل، وإذا ســألني أحد عن مثل ذلك أقول لهم: اذهبوا إلى الطبيب، فيذهبون للطبيب يقول: عنده دوالي في الخصيتين، لماذا؟ نتيجة ممارسة العادة السـرية بطريقة كثيرة وعشـوائية، وما دام عنده دوالي الخصـيتين فلن يسـتطيع أن يمـارس الجمـاع إلا بعـد عمليـة جراحيـة!!، ومـا الـذي جعلـك تلجـأ إلـى هـذا؟! ألا تستعمل الروشتة النبوية؟

{ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ } [158]

فأوجد الإســلام لشـباب الإسـلام المناعة من الأمراض العصـرية، والمناعة من الأمراض الجنسـية التي يشـتكي منها كل الناس إلا الصــالحين والمسـتقيمين من الأُمة الإسلامية.

الأمانة ورعاية العهود

هؤلاء لكي يصلوا إلى هذا الحال:

158 البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﵁

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾: يحافظون على العهود التي أخذها مع حضرة الله، والبيعة والعهد الذي بايعناه لسيدنا رسول الله، والعهود التي يتعاقدوا بها مع خلق الله، لأن ديننا اختصره النبي في كلمة واحدة، فقال ﷺ:

{ لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ } [159]

أساس هذا الدين الأمانة، فإذا ضاعت الأمانة وانتشرت الخيانة، لن تجد ثقة بين المسلمين وبعضهم، فتُشتِّت الأحوال، وتفسد المجتمعات كما نرى في بعض الجهات، لكننا والحمد لله مستقيمين على هذا العهد إلى أن نلقى الله .

الشهود العدول

بقى جزء يُذكِّرنا به الله، ونحن نحتاجه لصلاح أحوال مجتمعنا:

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾: أين نجد الآن الشاهد الذي يشهد بما يراه ويقول الحق لوجه الله؟!! قد يرى الشيء رأي العين، فتقول له: ستتشهد يا فلان على ما رأيتَ؟! فيخاف من الآخر ولا يخاف من الله ﷻ!!.

159 مسند أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه

لو ذهبنا للمحاكم الإسلامية نجد أن مُعظم الشهود بخمسين جنيهاً أو بمائة جنيهاً، ويشهد شهادة زور ويخرج، وأين الذين لا يشهدون الزور؟!! قليل!!.

عدم كتم الشهادة لو انتشر بين المؤمنين ستنتهي كل القضايا بين المسلمين فوراً، فلا يحتاجون إلى قُضاة، ولا إلى محاكم، ولا إلى محامين، لأن النبي ﷺ قال:

{ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا } [160]

وفي رواية أخرى: { وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ } [161]

أما الذي يكتم الشهادة فهذا نوع من الشرك الأكبر القلبي: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ (283البقرة) فنحتاج أن نصلح الجيل الماضي، وأن نُعوِّد أولادنا، ونعوِّد بناتنا، ونعوّد أنفسنا على قول الحق ولو كان مراً، وإياك أن تخاف أن يضُرك أحدٌ من خلق الله، واعلم قول حبيب الله ومصطفاه:

{ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ } [162]

---

160 صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر رضي الله عنه
161 الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
162 جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

لكن لا تنســى أن هذه الشــهادة ســتُسـأل عنها يوم الجمع الأكبر، لِمَ كتمت هذه الشهادة؟! ولِمَ لم تقُل الحق وقد طُلب منك؟! تذكر هذا جيداً .

والشـهادة لا بد أن أكون قد رأيت وسمعتُ، فلا تنفع الشـهادة عن طريق السماع فقط، كأن تقول: قد ســمعتُ فلان يقول عن فلان كذا، لكن يجب أن تكون أنت الذي سمعت بنفسك من فلان أولاً، ورأيت، فهذه اسمها شهادة الحق، وليست شهادة الزور: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

المحافظة على أركان الصلاة وخشوعها

ومن العجب لأهمية الصلاة يُكررها الله مرةً أُخرى في هذا الموضع: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ قال فيها أولاً (دائمون) ودائم يعني محافظ على مواقيتها، يحافظ على الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء في بيت الله في جماعة.

لكن الذي يُحافظ على الصـلاة نفسـها، فيحافظ على خشـوعها، وعلى الحضـور مع الله فيها، وعلى أركانها، وعلى سننها، وعلى السنن السابقة لها واللاحقة لها.

جنات الاكرام

الذين أكرمهم الله بهذه الأوصاف الكريمة - ونسأل أن نكون منهم - ما جزاؤهم؟

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ٣٥ ﴾ سيكون لهم إكرام لا يعلم مداه إلا الله ..

لأنهم في الجنة، والجنة:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } [163]

فيها ما لاعين رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر من ألوان التكريم، وأصناف الفضل الإلهي والجود الرباني من النعيم جزاءاً وفاقاً.

نسأل الله ﷻ أن يُخلِّقنا بأخلاق القرآن، وأن يرزقنا حُسن الاتباع للنبي العدنان، وأن يرزقنا خشيته ومراقبة حضرته في كل وقت وآن، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

---

163 صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد ﵁

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى اليل ونصفه وثلثه وطايفة من الذين معك والله يقدر اليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرءان علم أن سيكون منكم مرضى وءاخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وءاخرون يقتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴿٢٠﴾ ﴾ (المزمل)

10.أهل المعية [164]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الفتاح العليم، الهادي برسوله إلى كل مقامات التكريم، والجاعل حبيبه ومصطفاه هو الأُسوة الطيبة والقُدوة الحسنة لكل من أراد أن يكون له شأنٌ عند ربنا الكريم، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد، خير من قام لله وصلَّى وصام، وأحيا الليل في جُنح الظلام والناس نيام، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والظل الممدود، والشفاعة التي بغير حدود، صلَّى الله عليه وعلى آله الكرام البررة، وصحابته الأتقياء الأنقياء، وكل من مشى على هديهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين بمنِّك وفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين.

لا بد لكل سالك يُريد القُرب من مولاه أن يأخذ جولة في أحوال وأفعال وأعمال سيدنا رسول الله، ليتأسى به، ويمشي على هديه، ويقتدي بهُداه، فإنه كما قال سيدي محمد مصطفى البكري الصديق وقيل لغيره ﵁:

---

164 الأقصر – إسنا – ترعة ناصر 27 من جمادي الأولى 1440هـ 2019/2/2م

وأنت باب الله أيما امرئ أتاه من غيرك لا يدخلِ

فهو باب القرب من القريب ﷻ، والصحابة المباركين هم أسرع الناس في متابعة سيد الأولين والآخرين، ولذلك نقتدي بهم في حُسن اقتدائهم بحضرة النبي، ونشاطهم في العمل بما كان يعمله، والسمع والطاعة في اللحظة والساعة، وعدم التماس الأعذار للنفس، أو تبرير المواقف، لأن من تعوَّد إلتماس الأعذار تأخر عن ركب الأقطاب الكبار.

عمل طلاب المقامات العالية

أراد الله ﷻ أن يبين لنا في شخص حبيبنا العمل الذي نعمله بتوفيق الله ومعونة الله، ليرتفع قدرنا ومقامنا عند الله، فقال له ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ (79الإسراء) الذي يُريد أن يكون له مقام كريم لا بد أن يكون له ولو سِنَة - لحظة - من قيام الليل.

فجعل الله ﷻ قيام الليل على حبيبه ﷺ في هذه الآية نافلة يعني سُنَّة، وأي نافلة من النوافل من قام بها فاز بأجرها، ومن لم يقُم بها فليس عليه وزر ولا إثم لأنها نافلة.

ثم تدرَّج الله ﷻ مع حبيبه ومصطفاه في سورة المزمل فقال:

﴿ يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾ (المزمل)

فأصبح قيام الليل عليه فرضاً ... الصلوات المفروضة علينا خمس صلوات، الصُبح والظُهر والعصر والمغرب والعشاء، والصلوات التي فرضها الله على حبيبه ومصطفاه ست صلوات، لأنه أضاف إليه قيام الليل وجعله فريضة.

﴿ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ ﴾ (المزمل) الصحابة كانوا مباركين، فقالوا: ماذا يُحب الله أكثر، هل النصف الأول أم الثاني؟ أو هل الثُلث الأول من الليل أم الثاني أم الثالث؟ فقالوا: نقوم الليل كله، حتى نضمن أننا عملنا بما يُحبه ويرضاه، فكانوا يقومون الليل كله ابتغاء وجه الله، ومتابعةً لحبيب الله ومصطفاه، وطلباً لدرجات القُرب العلية عند حضرة الله تبارك وتعالى.

واستمروا على هذا الحال اثني عشر شهراً، يعني سنة، ثم خفَّف الله تبارك وتعالى عنهم للأعذار التي ذكرها في الآية التي معنا، فمنهم من يجاهد في سبيل الله، ومنهم من يجاهد جهاداً شديداً طوال النهار في طلب الرزق والمعاش، ومنهم المريض، ومنهم المسافر.

وعندما تنظر إلى الآيات تجد فيها ثناءٌ عطرٌ من الله على حبيبه ومصطفاه:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ﴾ :

يعني أنا أرى ما تفعله، وأعرف ماذا تفعل طوال الليل، وكان ﷺ يُحي الليل كله على قدم واحدة زيادة في التذلل والتبتل والتضـرع إلى حضـرة الله، إلى أن خفَّف عنه مولاه، وقال في أول ســـورة طه: ﴿ طه ۝ ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى ۝ ﴾ (طه) وفي قراءة أخرى: (طأها) وطأها يعني أنزلها، لأن رجله كانت تتورَّم من طول الوقوف بين يدي من يقول للشيء كن فيكون ,,,

وكانت تقول له السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا } [165]

كون الله قد غفر لي ما تقدم من الذنب وما تأخر فهذا يقتضـي أن أشـكر، وأكون من الشاكرين: ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (7إبراهيم) فكان يُصليها شكراً لله على عطاء الله الذي عمَّه به في نفســـه، وفي أُمته في الدنيا ويوم لقاء الله تبارك وتعالى.

165 البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

وبشَّـــر الله ﷻ في نفس الآية أهل العناية، الذين ســيتوجهم بتاج الولاية، والذي يُريد أن يُتوج بتاج العناية والرعاية والولاية ماذا يفعل؟ يدخل مع حضـــرة النبي في هذا الباب حتى يُفتح له الرحاب، كما ورد في بعض الأثر أن الله تعالى نادى داوداً أو أحد أنبيائة فقال:

(إنَّ لي عِباداً مِن عِبادي يُحِبّونَني وأُحِبُّهُم ، ويَشــتاقونَ إلَيَّ وأشــتاقُ إلَيهِم ، ويَذكُرونَني وأذكُرُهُم ، ويَنظُرونَ إلَيَّ وأنظُرُ إلَيهِم ، فَإِن حَذَوتَ طَريقَهُم أحبَبتُكَ، وإن عَـدَلـتَ عَـنـهُـم مَـقَـتُّـكَ، قـالَ: يـا رَبِّ، ومـا عَـلامَـتُـهُـم؟ قالَ عَزَّوجَلَّ : يُراعونَ الظِّلالَ (الظلال أى أجســامهم) بِالنَّهارِ كَما يُراعِي الرّاعِي الشَّفيقُ غَنَمَهُ ، ويَحِنّونَ إلى غُروبِ الشَّمسِ كَما يَحِنُّ الطَّيرُ إلى أوكارِها عِندَ الغُروبِ ، فَإِذا جَنَّهُمُ اللَّيلُ وَاختَلَطَ الظَّلامُ وفُرِشَـتِ الفُرُشُ ونُصِـبَتِ الأَسـتِرَةُ وخَلا كُلُّ حَبيبٍ بِحَبيبِهِ نَصَـبوا لي أقدامَهُم، وافتَرَشـوا لي وُجوهَهُم، وناجَوني بِكَلامي، وتَمَلَّقوني بِإِنعامي؛ فَبَينَ صـارِخٍ وباكٍ ومُتَأَوِّهٍ وشـاكٍ، وبَينَ قائِمٍ وقاعِدٍ، وبَينَ راكِعٍ وسـاجِدٍ، بِعَيني ما يَتَحَمَّلونَ مِن أجلي، وبِسَمعيما يَشتَكونَ مِن حُبّي، أوَّلُ ما أُعطيهِم ثَلاثاً: أقذِفُ مِن نوري في قُلوبِهِم فَيُخبِرونَ عَنّي كَما أُخبِرُ عَنهُم، وَالثّانِيَةُ: لَو كانَتِ السَّـماواتُ وَالأَرضُـوما فيهِما في مَوازينِهِم لَاسـتَقلَلتُها لَهُم، وَالثّـالِثَـةُ: أُقبِلُ بِوَجهي عَلَيهِم؛ أفَتَرى مَن أقبَلتُ بِوَجهي عَلَيهِ؛ يَعلَمُ أحَدٌ ما أُريدُ أن أُعطِيَهُ؟)[166].

---

166 ورد في إحياء علوم الدين للغزالي مع زيادات ونقص وورد فى التهجد للأشبيلى ولكن لم نقع على تخريجه.

هذا أول عطاء لهؤلاء الذين يقول فيهم الله: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الذاريات) عندما ينام أحدهم إن كان في أول الليل، أو في منتصف الليل، أو في آخر الليل، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يعني لا تريد النوم، وماذا يريدون؟ يريدون أن يتمتعوا بلذة مناجاة الواحد الأحد الفرد الصمد على الدوام.

نحن في هذا الزمان قُوَّام الليل كثير، ولكن على الفيس بوك والإنترنت، وليس على طاعة الله جل في علاه، وهذه من الكوارث التي حلَّت بنا جماعة المؤمنين، كبار وصغار رجال ونساء ، حتى أن كثير من الرجال والنساء يسهرون طوال الليل، وينامون طوال النهار، فغيروا نظام الله، وجعلوا الليل هو النهار، والنهار هو الليل، وماذا يفعلون؟!! سبحان الله!!.

لكن هؤلاء كانوا: ﴿ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (64الفرقان) لله ﷻ، فأدخلهم الله مع النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ وطائفة يعني جماعة، فالجماعة الذين سيكونون معك هنا وهناك، لا بد أن يكون لهم نصيب في قيام الليل.

كيفية قيام الليل

وقيام الليل ليس شرطاً أن يكون فيه الصلاة فقط، المهم أن يكون الإنسان فيه على صلة فيه بمولاه، فنفرض أنني لا أستطيع الصلاة بسبب ارهاق أو تعب، فأذكر الله، وهذا قيام لله، أو أستغفر الله، أو أُصلي على رسول الله ﷺ، فقيام الليل للعُبَّاد الصلاة والركوع والسجود، وقيام الليل للعارفين احياء وقت الليل بالقلب مع رب العالمين ﷻ، ولذلك حضرة النبي ﷺ كان يقول:

{ رُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلا السَّهَرُ }[167]

ليس له من قيامه إلا السهر والتعب، فيُصلي لكن العقل سارح، والقلب مشغول، والصالحون قالوا: (ربَّ نائمٍ خيرٌ من قائم) لأنه نائم ولكن القلب هائم!!.

المسجد النبوي لم يكن له فرش أيام رسول الله، ولكن كان تراب فقط، ولما أرادوا أن يفرشوه ذهبوا إلى مكان اسمه العقيق بجوار المدينة وأحضروا منه حصى صغير وفرشوا به المسجد، فهذا كان الفرش، فكانوا يصلون على الحصى أو على التراب، ولذلك حضرة النبي ذات مرة أيقظ الإمام علي وهو نائم في المسجد وأصابه التراب، فقال له:

---

167 سنن ابن ماجة والنسائي عن أبي هريرة ﷺ

{ قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ } [168]

فأخذ اللقب من رسول الله ﷺ، وورد فى الخبر أن النبي دخل ذات مرة المسجد وكان عليّ نائماً في المسجد، فأحد أصحابه قال له: هل أوقظه؟ فقال ﷺ كما جاء ببعض الآثار: (دعه، عليٌّ وإن كان جسمه على الثرى إلا أن قلبه بالملأ الأعلى)،، الجسم هنا صحيح، لكن القلب في الملأ الأعلى، سائح سياحة ملكوتية عند رب البرية سبحانه وتعالى.

وكان الشباب مجتهدين في هذه العبادات من الركوع والسجود والقيام وتلاوة القرآن، مثل عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص،.والأكابر مثل أبى بكر، وعلي، وعمر كان شغلهم في سياحة القلب في ملكوت الله مع حضرة الله تبارك وتعالى، وكل ذلك اسمه قيام الليل ... فقيام الليل معناه أن أكون في هذا الوقت مع الله ..

فالإمام الشافعي رضي الله عنه عندما زار الإمام أحمد بن حنبل في بغداد، وكان من عادتهم أن يضعوا بجوار الضيف ابريق من المياه وطست، حتى إذا استيقظ في الليل يتوضأ ليتهجَّد، لأنه كان عندهم أن الذي لا يتهجد لا يُحسب من الصالحين، فكانوا يمشون على هذا النهج وهذه الأصول، وفي الصباح قال الإمام أحمد بن حنبل لابنته: ما رأيك في الشافعي؟

168 البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه

فقالت: رأيتُ فيه ثلاثة خصـال ليست في الصـالحين، فقال لها: وما هن؟ فقالت له: صـلَّى الفجر بدون وضـوء فالإبريق كما هو، يعني لم يتوضـأ للفجر، ولم أره قام لصلاة الليل، وعندما قدَّمنا الطعام أكل كثيراً، وعلامة الصالحين قلة الطعام- فعلامات الصـــالحين عندهم كانت قلة الطعام، وقلة الكلام، وقلة المنام، وذكر الله على الدوام، فهذه علامات وموازين كانوا يزنون بها- فقال لها: نســأله، فســأله، فقال: أما صـــلاة الفجر بدون وضـوء لأني على وضـزئى مذ صـليتُ العشـاء حتى صـليتُ الفجر، وأما قيام الليل فقد وفقني الله فحللتُ في هذه الليلة ثلاثين مسـألة كلها تهم المسـلمين - فالذي يُصـلي يُصـلي لنفسـه لكن هذه منفعة للمسلمين- وأما الأكل كثيراً فلأن طعامك حلال، وقد سمعتُ قول بعض الصـالحين: (**من ملأ بطنه من طعام الصـالحين، ملأ الله قلبه إيماناً وحكمة**)! أى الطعام الحلال قليل في كل زمان ومكان، وهذه فرصـــة أنــنــي وجـدتُ طـعــامــاً حــلالاً، فـأردتُ أن أُعـطـي نـفـســـي حـقـهــا ....، لأنهم كانوا في جهاد دائم.

فقيام الليل يتحقق إذا كنتُ ســأطلب العلم لنفع المســلمين، وإذا كنتُ في ميدان القتال وأحرس الحدود فهو قيام الليل، وإذا كنتُ من رجال الشُــرطة وأحرس المكان الذي أنا فيه من قُطَّاع الطريق وغيرهم فهذا قيام الليل، وقد رأينا رجلاً من الصــالحين في عصـرنا وهو الشـيخ عبد المقصـود سـالم رحمة الله عليه، كان مسـاعد شـرطة في أسيوط،

وكان يختار وردية الليل، وطوال الليل أثناء مشيه يُصلي على حضرة النبي ﷺ، إلى أن أُكرم برؤية النبي مناماً، ورؤية النبي يقظةً، وفتح الله عليه بفتوح العارفين، فكان قيام ليله في المشي في دَرَكه والصلاة على حضرة النبي ﷺ ... المهم أن يكون للإنسان المؤمن قومة، ولو تفكيراً في مصالح المسلمين وحلِّ مشاكل المؤمنين، فهذا قيام لليل.

أعمال أهل المعية

أولاً: قيام الليل

فالطائفة التي مع رسول الله في الدنيا والآخرة يقول فيهم الله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (29الفتح) لا بد أن يكون لهم قيام لليل، وسيدنا رسول الله ﷺ خفّف علينا العبء حتى لا يكون لأحدنا عُذراً، واسمعوا مني لهذا الحديث النبوي وعوه، قال ﷺ:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا؛كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ } [169]

169 سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وهي أعلى مقام في المقامات العشرة في سورة الأحزاب:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ (35الأحزاب)

أعلاهم الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

أنا أقوم لصلاة الفجر، فهل يصعب عليَّ أن أقوم قبل الفجر بثُلث ساعة وأُصلي ركعتين لأكون من أهل هذا المقام العلي؟!! لا بد للإنسان أن يكون كما قال ﷺ:

{ أَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا } [170]

170 مسند الشاميين للطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

الله لا يحتاج لهذه العبادة، ولكن لا بد أن أُريه أنني طامع، بالدليل والبرهان، لكن إذا قلتُ أنا أطمع في فضـــل الله وإكرام الله، والقرب من رســـول الله، وأنا نائم على الدوام، فأين الدليل والبرهان على هذه المحبة؟!!: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾

والنتيجة: ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (31آل عمران).

الكبار، والأعلام، والمتوجين بتاج معية الحبيب المصـــطفى، لا بد لهم من هذا القيام، ولكن الله ﷻ خفَّف عن بقية الأُمة: ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ لن تستطيعوا أبداً أن تقوموا الليل على الدوام، لأن الإنسان ليس له سلطان على صحته، ولا على جسده، ولا حتى على مَلَكة النوم، فلو جاء النوم للإنسان من الذي يستطيع دفعه؟! ولذلك لن يستطيع أبداً إلا بمعونة من الله، وتوفيق من الله، ورعاية من الله ﷻ.

﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ يعني لن تســـتطيعوا، فبشـــرهم وقـال: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني لا تخافوا، تيسيراً لأمة البشير النذير ﷺ.

ثانياً: قراءة القرآن

﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ ﴾ اجعل لنفسك بعض آيات من القرآن تقرأها كل ليلة،

ولن أقول لك اعمل كما كان يعمل سيدنا عثمان بن عفان لأن هذا أمر خارق للعادة، فقد كان يقرأ القرآن كله من أوله إلى آخره في ركعتين بين المغرب والعشاء، هل يستطيع أحدٌ منا أن يفعل ذلك؟!! لا يقدر على ذلك أحد إلا بمعونة الله، لأنه أين اللسان الذي يستطيع استيعاب القرآن كله قراءة بين المغرب والعشاء؟!! لذلك قال الله: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ ﴾ ما يتيسر لك قراءته، كم آية؟ سيدنا رسول الله ﷺ قال:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ } [171]

من قرأ كل يوم وليلة عشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ كل يومٍ وليلة مائة آية كُتب من القانتين، والقانتين يعني الطائعين العابدين، ومن قرأ كل يومٍ وليلة ألف آية كُتب من المقنطرين ... كيف نُحصِّل هذا الأجر؟ نحن نقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة ما تيسر من آيات كتاب الله، إما أنك تقرأ، أو الإمام يقرأ وأنت تستمع، والقارئ والمستمع في الأجر شريكان.[172]

---

171 سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

172 إشارة إلى الحديث الشريف ، قال ﷺ: ((الدّاعي والمُوَمَنْ في الأجر شريكان، والقاري والمستمع في الأجر شريكان، وَالْعَالِمِ وَالْمُتَعلَمُ في الأجر شريكان))، (فر) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لذلك الأئمة الكرام يستنبطون الأحكام الفقهية من آيات القرآن، فالإمام أبو حنيفة ﷺ استنبط من هذه الآية أنه ليس شرطاً أن يقرأ الإنسان الفاتحة، بل يقرأ ولو آية من كتاب الله، لكن الأئمة الثلاثة مالك والشـافعي وابن حنبل أخذوا بالحديث الذي قال فيه ﷺ:

{ كُلُّ صَلاةٍ لا يُقْرَأُ بِهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ } [173] وخُداج يعني ناقصة، وفي رواية أُخرى: { لا صَلاةَ إلا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ } [174]

يعني لا بد وأن نقرأ الفاتحة، واجتهادهم رحمة، فنحن هنا نحفظ الفاتحة فنقرأ الفاتحة، لكن المسلمين الجُدد في البلاد الأجنبية يصلح معهم رأي سيدنا أبو حنيفة ﷺ وأرضاه، فنقول له: اقرأ ولو بآية من كتاب الله، فتصح الصلاة على مذهب الإمام أبي حنيفة ﷺ وأرضاه، حتى لا نختلف، ونعرف أن اختلاف الأئمة رحمة.

الإمام الشافعي شدَّد بعض الشيء عن الإمام مالك، فالإمام مالك قال: الإمام يقرأ الفاتحة ونحن نقول وراءه آمين، فقراءة الإمام قراءة للمأمومين، أما الإمام الشـافعي فقال: الأفضل أن الإمام ينتظر بعد الفاتحة حتى يقرأ المصلين الفاتحة، ويبدأ بعد ذلك في التلاوة:

173 معجم الطبراني ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها
174 مسند أبي حنيفة ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة ﷺ

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

كلهم على الهدي النبوي الكريم، المهم أننا عندما نقرأ، أو نسمع في الصلاة فهي من جملة التلاوة، ولكننا نحاول بعد ذلك في الركعات التي نصليها في الليل أن نصل إلى مائة آية على الأقل حتى لا نكون من الغافلين ونكون من القانتين:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ؛ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ؛ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ} [175]

تريد أن تزيد قليلاً فاجعلهم مائتين، ويجوز لك وأنت تُصلي بمفردك أن تقرأ من المصحف، والإمام لو صلَّى النوافل كصلاة التراويح في رمضان، يجوز له أن يقرأ من المصحف تيسيراً ... فإن كنت غير حافظ فضع أمامك مصحف وحامل، وصلي كل يوم بقراءة صفحتين أو ثلاثة من القرآن في ركعتين في الليل من بعد العشاء حتى الفجر في أي وقت من هذه الأوقات .. فإذا لم تستطع أن تقوم قبل الفجر اجعلهم قبل أن تنام، توضأ كسُنَّة الحبيب المصطفى، وتُصلي الركعتين، وتقرأ فيهما ما تيسر من كتاب الله ثم تنام، .. وأظن من ينام بهذه الطريقة فبمجرد أن تُغمض العين تسافر الروح إلى ملكوت رب العالمين، ومعها تأشيرة دخول فتدخل على الفور هناك، لماذا؟ لأنه نفَّذ سنة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

175 سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

تيسير الله للمؤمنين

لماذا يسَّر الله لنا ذلك؟

﴿ علم أن سيكون منكم مرضى ﴾ والمريض لا يستطيع أن يقوم، ومن فضل الله

على هذه الأُمة أن الإنسان المؤمن المحافظ على أعمالٍ تعبدية لله، إذا مرض كما قال ﷺ: { إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا }[176]

لأن الذي منعه المرض، وليس شيئاً آخر، فالذي منعه اللهو واللعب ليس لنا شأنٌ به، لكن الذي منعه عن هذا العمل المرض يجرون له الأجر على هذا العمل كما كان صحيحاً، ويظل عمله مستمراً على الدوام.

﴿ وءاخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ﴾:

الذين يسعون على الأرزاق وعملهم شاق، يكفيهم قول الحبيب ﷺ:

{ مَنْ أَمْسَى كالاً مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ }[177]

---

176 صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن قيس ﷺ
177 معجم الطبراني وابن أبي شيبة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

الذي يبيت مُتعب من العمل الحلال في طلب الرزق له ولأولاده، يبيت وقد غفر الله ﷻ له ذنوبه كلها كما أخبر الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

﴿ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ :

الذي في ميدان القتال وعنده حراسة بالليل، هل يترك الحراسة ويُصلي؟!! لا، ولكن يذكر الله، ويسبح الله، ويحمد الله، ويصلي على رسول الله، ولا يقرأ القرآن إلا إذا كان حافظاً للقرآن، أو حافظاً لبعض آيات القرآن، فيقرأها في الليل وهو واقف في مكانه.

برنامج المقربين

ووضع الله برنامجاً كاملاً لمن أراد أن يكون من المقربين، من الذي يريد أن يكون من: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝١٠ أُولَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ ﴾ (الواقعة)؟ ... كلنا إن شاء الله رب العالمين، ... ما البرنامج؟

أولاً: قراءة ما تيسر من القرآن

﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾:

لا بد أن يكون له ورد من القرآن، فالورد الأساسي هو القرآن.

سيدي أحمد بن إدريس ﷺ يحكي عن نفسه، وكانت نشأته في بلاد المغرب، فقال: رأيت رسول الله في المنام، فقلت: يا سيدي يا رسول الله ما أفضل ما أتقرب به إلى الله؟ قال: القرآن يا أحمد، وسيدي أحمد حجاب ﷺ وكان معاصراً لنا، وكان في مسجد سيدي أحمد البدوي وكان له حالٌ مع الله، كان يخاطب البدوي ويسمعه، فقال: احترت يوماً وقلت: أيهما أفضل، هل أشتغل بالذكر أم بالقرآن؟ فسمعتُ سيدي أحمد البدوي يقول:

القرآن القرآن يا أحمد، ولماذا نذهب بعيداً!!، قال ﷺ:

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }[178]

فلماذا الذكر؟ لأنه لكي أقرأ القرآن القراءة التي أقرأه بها مع الرحمن، لا بد أن أُطهّر الفؤاد بذكر الله، قال ﷺ: { القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلاؤُه؟ قَالَ: تِلاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[179]، وفي رواية أخرى: { إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ الْحَدِيدِ وَجَلاؤُهَا الاسْتِغْفَارُ }[180]

---

178 شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير ﷺ
179 الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
180 معجم الطبراني والبيهقي عن أنس ﷺ

فأجلِّي القلب بالاستغفار، وأُطهره بالأذكار، وبعد ذلك أقبل على تلاوة القرآن، فهي خير عبادة تُقرِّب الإنسان من حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

ثانياً إقامة الصلاة

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾:

المحافظة على الصلاة، والمحافظة على الصلاة في وقتها في جماعة في بيت الله، قد يقول قائل: أنا أصبحتُ من الصالحين، فلا يهم أن أتأخر عن الصلاة، أو أجمع بين فرضين أو ثلاثة معاً، ولا يهم أن أحافظ عليها كما ينبغي!!، لكن نحن بمن تقتدي؟ بسيدنا رسول الله ﷺ، والله عز وجل قال لنا:

﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (103النساء).

كل مسلم أياً كان قدوة لمن حوله، ولو لاحظ هذه سنكون كلنا في أحسن حال، أكون على الأقل قدوة لأهل بيتي؛ زوجتي وأولادي، فإذا رأوني محافظاً على الصلاة في وقتها في جماعة فهل يتخلف أحدٌ منهم؟! .. لكن إذا رأوني أتكاسل في الصلاة، وأُؤخر صلاة الظهر حتى يحل وقت صلاة العصر، أو أتكاسل عن الفرائض وأجمعهم في آخر اليوم، فسيفعلون مثلي ... لكن المؤمن قدوة لأهل بيته، فما بالنا إذا كان شيخاً وحوله مريدين؟! فلا بد أن يكون أكمل الناس اقتداءاً بسيد الأولين والآخرين ﷺ.

يقول: أنا وصلتُ، وعلى صلة بالله، وهل الوصول له نهاية؟!! والذين حولك بمن يقتدون؟! يرون الشيخ لا يُصلي فيفعلون مثله، فيجب أن تلاحظ أنك قدوة، ولذلك يجب أن تحافظ على الصلاة من أجل الذين يقتدون بك، وحتى تنجوا من قول حبيب الله ومصطفاه: { مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ لَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مِنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا }[181]

سيدنا رسول الله ﷺ في مرض موته رقد في البيت، وجاءه ألمٌ شديدٌ في رأسه، فسمع الآذان فربط رأسه، ونادى على سيدنا علي وسيدنا العباس، ووضع يد على كتف سيدنا علي، ويد على كتف سيدنا العباس، ومشى بصعوبة حتى وصل إلى المسجد ليؤدي الصلاة مع المسلمين، لأنه القدوة الأولى التي أرسلها لنا رب العالمين تبارك وتعالى، وكانت آخر كلمات خرجت من فيه قبل مغادرته الدنيا: { الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }[182]

والله ﷻ عندما ذكر الصلاة لم يقُل الصلاة فقط، ولكن قال: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾

وإقامة الصلاة يعني ظاهراً بالمحافظة على حركاتها الشرعية، وباطناً بالمحافظة على أحوالها القلبية، من الخشوع والحضور والخشية لله ﷻ.

181 معجم الطبراني وورد في صحيح مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم بصيغ مختلفة عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه
182 سنن ابن ماجة عن أنس رضي الله عنه

ثالثاً: إيتاء الزكاة وإخراج الصدقات

﴿ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ومن الغرائب أن هذه السورة نزلت في مكة، والزكاة لم تُفرض إلا في العام الثاني من الهجرة، فكيف ذلك؟! فرض الله الزكاة في هذه الآية، لكن لم يُفصِّل أنصبة الزكاة وفروض الزكاة إلا في المدينة المنورة في العام الثاني من الهجرة.

والزكاة حق الله الضروري، ولا يكتفي بها من يُريد أن يكون لله ولي، فالذي يريد أن يكون ولياً لله لا بد أن يزيد في هذا الباب، كالقرض الحسن والصدقات لعباد الله:

﴿ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾.

دعا سيدنا رسول الله الصحابة للتبرع للجهاد، فسيدنا أبو بكر ﷺ جمع كل ما في البيت وأتى به، فقال له ﷺ:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } [183]

فلم يعترض عليه، ولم يأمره أن يرد شيئاً منه، ومعنى ذلك أن هذا اقرار بأن هذا العمل صواب، لأن من يجعل كل ماله لله فيا هناه، لأنه حوَّله إلى بضاعة رابحة، وتجارة هانئة مع حضرة الله تبارك وتعالى.

183 جامع الترمذي وأبي داود

فلا بد من الزكاة، والزكاة فرَّط الناس فيها في هذا الزمان كثيراً، ويأتون لأنفسهم بعلل وأعذار أنه ليس عليه زكاة، لكن لا بد أن تدرس الزكاة، فالذي يملك مساحة من الأرض ويزرعها بمحاصيل الجبوب، فليس الشأن بالمساحة ولكن بالإنتاج، فلو كانت حتى ست قراريط وأنتجت خمسين كيلة، فعليك زكاة.

وكيف أُخرجها؟ الإسلام يسَّر ذلك، فإذا كنت تسقي بالآلة فعليك نصف العُشر (5%)، وإذا كان الري بالراحة فعليك العُشر (10%).

عندي فدان أو فدانين ولكني لست خبيراً جيداً في الزراعة فأخرجت الأرض 40 كيلة، فليس عليَّ زكاة، وليس لها شأنٌ بمساحة الأرض.

والزكاة هل على المالك أم على المستأجر؟ على الزارع، فالذي يزرع ويحصد هو الذي عليه الزكاة سواء المستأجر أو المالك ... المالك إذا كان عنده مساحة أرض كبيرة، وجملة الإيجار تساوي ثمن 85 جرام ذهب فعليه زكاة مال، ومقدارها 2,5% لكن ليس عليه زكاة زرع لأنه لم يزرع ولم يحصد، أنا زرعت الأرض مشاركة بالثُّلث أو بالنصف أو بغيره، فأُخرج نصيبي، والزارع يُخرج نصيبه إذا بلغ النصاب ستون كيلة.

إذا كانت الزراعة خضــار كالطماطم أو فاكهة كالعنب والمانجو والجوافة، وبلغ الإنتاج 600 كليوجرام، فعليَّ زكاة، وإذا كان أقل من 600 كيلو فليس عليَّ زكاة.

فأنصـبة الزكاة لا بد أن أعرفها، وأُخرج ما عليَّ من زكاة، لماذا؟ لأن الله يقول: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ﴾ (فصلت) أرأيت شدة الوصف؟!! يشبهه بأنه مشرك، وحضرة النبي حذرنا من عدم إخراج الزكاة، فقال:

{ مَا مَنَعَ قَومٌ الزَّكَاةَ إلاَ ابْتَلاهُم الله بِالسِّنِين } [184]

وفي بعض الأثر: (ما منع قومٌ الزكاة إلا ســـلَّط الله عليهم آفات الزراعة) فينفق المال على المبيدات، لأن حق الله لا بد أن يخرج، فإذا أخرجته فأنت مأجور، وذنبك مغفور، ولك عند الله مقامٌ كريمٌ موفور، وإذا لم تُخرجه يُسـلط عليها الفئران والآفات، لتأخذ حق الله، واسـمك باق كما هو تُحاسـب عليه في الدنيا أولاً، ويوم تلقى الله تبارك وتعالى.

إذا أخرجت الزكاة فلا بد أن يكون لي باب صـــدقة ولو قليل، ســـيدي أحمد بن عطاء الله السـكندري ﵁ يقول للمصــاحبين للصــالحين: (تصــدق كل يومٍ ولو بدرهم تُكتب في ديوان المتصدقين، وصلِّ كل ليلة ولو ركعتين تُكتب في ديوان القائمين).

184 معجم الطبراني عن عبد الله بن بريدة ﵁

من لديه طفل صــغير الآن لا يقل مصــروفه في اليوم عن خمســة جنيهات، فلو جعلت منهم جنيهاً واحداً وأخرجته لله، فهل هذا صعبٌ على الإنسان؟! الصعب عليه في المداومة، وهي مشكلة الإنسان، يستطيع أن يُخرج يوم وإثنين وأسبوع، ولكن لا يُديم على ذلك، وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وانظر إلى الصدقة ماذا تفعل؟ نسمع ونصلي على رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ } [185]

الصـــدقة تدفع ســـبعين باباً من البلاء، وقيل: أدناها الهمّ، وهل فينا أحدٌ يتحمَّل الهم؟!! لو أُصـــيب أحدنا بالهمّ قد يموت، فلا ينام ولا يأكل ولا يشـــرب، لكن كل هذه الأمور تذهب بالصدقة، ولو بشيء قليل، فإن القليل عند الله كبير، قال ﷺ:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ } [186] وفي رواية: { حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا } [187]

الرجل يتصدق بالصدقة لا يُلقي لها بالاً - يعني شيئٌ بسيط - فيجدها يوم القيامة كجبل أُحد، فيقول: من أين لي بذلك؟ فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها يوم كذا، أخذناها وربيناها لك حتى صارت كما ترى.

185 معجم الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه
186 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
187 جامع البيان للطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه

العمل الوحيد الذي يربيه الحميد المجيد الصـــدقة، فأنت تُصـــلي ركعتين فهل تجدهم يوم القيامة أربعة؟ لا، بل هم اثنين، أو تحج حجة فهل تجدها هناك خمسـة؟ لا، أو تصـوم شـهر رمضـان فهل تجده هناك مائة وخمسون يوماً؟! لا، لكن العمل الوحيد الذي يزيد زيادة غير طبيعية الصدقة، لماذا؟ لأن الصدقة معناها أن هذا الإنسـان وقاه الله شُـحَّ نفسـه، فالإنسـان مسـتعد أن يُصـلي طوال الليل، ويصـوم طوال النهار، لكن خروج القرش أهون عليه من خلع الضـرس!!، وهذه مصـيبة الإنسـان: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (20الفجر).

إذا كان الله يقول: (حُبًّا جَمًّا) فكون الإنســان تغلَّب على نفســه، وأخرج هذا القرش، سيأخذه الله وينميه ويزيده ويبارك فيه، حتى أن النبي قرَّب الأمر وقال:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ } [188]

نصـف تمرة!!، أحد الفقراء مرَّ على السـيدة عائشـة وطلب منها صـدقة، وكان معها قُطفٌ من العنب، فأعطته ثلاث أو أربع حبات، فقيل لها: يا أُم المؤمنين هل هذه الصـــدقة تنفع؟! قالت: إن فيها مثاقيل كثيرةً من البر والحســنات لو تعلمون!!. كونك تتصدق فهذا دليلٌ على أنك وُقيت شُحَّ نفسك، وأصبحت تحاول أن تُرضي الله جل في عُلاه.

188 البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه

رابعاً: أعمال البر وسبل الخيرات

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾:

انظر إلى سُبل الخير كلها، وحاول أن تتوسع فيها إذا أردت أن تكون مع رسول الله، وسُـــبل الخير إن كان للجيران، أو إن كان لذوي الأرحام، أو إن كان للفقراء والمساكين،أو إن كان للأيتام، وأهمها في هذا الزمان الصُلح بين المتخاصمين، وهذا أمرٌ .... فرَّط فيه كثيرٌ من المسلمين.

قال ﷺ:

{ أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ } [189]

وفي رواية أخرى:

{ هِيَ الْحَالِقَةُ, لا أَقُولُ: هي تَحْلِقُ الشَّعَرَ, وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ } [190]

فالإنسان يبحث عن أي سبيل للخير ليفتح لنفسه أبواب الخيرات، وسيجد هذه الخيرات أعظم في الأجر، وأعظم في الثواب عند الله ﷻ.

189 سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي الدرداء ﷺ
190 سنن أبي داود والترمذي عن أبي الدرداء ﷺ

خامساً: الاستغفار

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾:

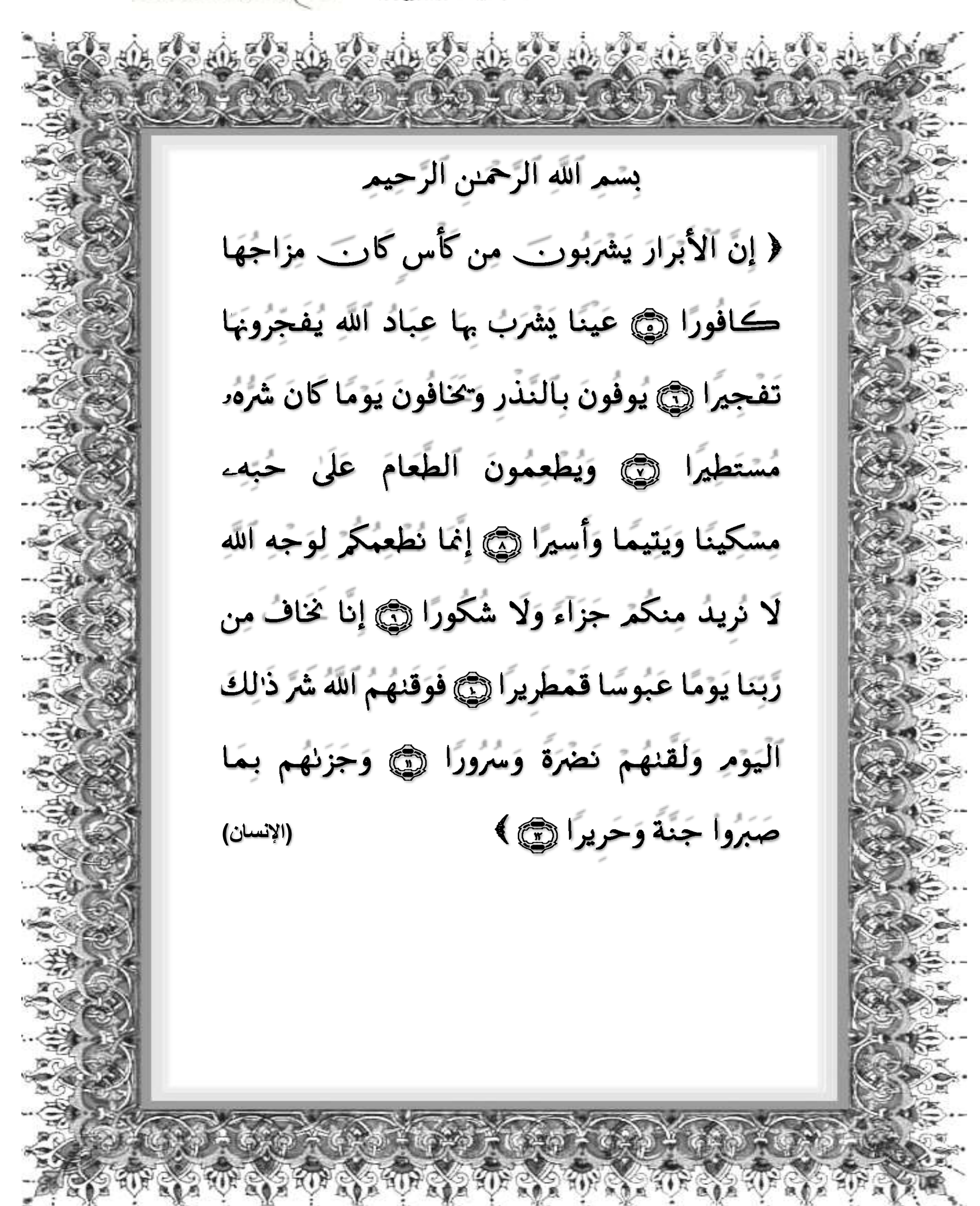
بعد أن يعمل الإنسان أي عمل صالح يستغفر الله من رؤية هذا العمل، أنه هو الذي عمل، فأنا عملته بمعونة الله، وبتوفيق الله، كان ﷺ عقب كل صلاة هو وأصحابه يستغفرون الله، وقال لهم:

{ مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاثًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ }[191]

أي وإن كان حتى قد فرَّ من ميدان القتال، فلا بد للإنسان المؤمن كما رسم لنا الله البرنامج: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ :

يستغفر الله عقب أداء أي عمل، لماذا؟ حتى لا يشعر أنه الذي عمل، ولا أن ذلك بحوله، أو بطوله، أو بمهارته أو بقوته، وإنما بفضل الله، وبمعونة الله، وبتوفيق الله عمل هذا العمل لوجه الله، فنستغفر الله من كل قول وعمل .... وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

191 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ۝٥ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ۝٦ يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ۝٧ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ۝٨ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ۝٩ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ۝١٠ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ۝١١ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ۝١٢ ﴾ (الإنسان)

11.النعيم والملك الكبير [192]

بِسْـــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم - الحمد لله الذي منَّ علينا بهُداه، وأكرمنا باتباع حبيبه ومصـــطفاه، وخصَّـــنا بخير كتاب أنزله إلى خلق الله وهو القرآن الكريم، والصـــلاة والســـلام على نبي الختام، ماحي الظلام، وناشـــر النور في قلوب الأنام، والشـــفيع الأعظم لجميع الأنام يوم الزحام، ومفتاح الجنة وساكن دار السلام؛ سيدنا محمد وآله الأعلام، وصـــحابته الكرام، وكل من مشـــى على هديه وصـــار على دربه إلى يوم الزحام، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنِّك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

الآيات التي معنا اليوم تشـرح لنا وتوضـح لنا الجنة، التي نسـأل الله ﷻ في كل وقت وحين أن يبلِّغنا إياها، ونتأسى بقول سيد الأولين والآخرين ﷺ:

{ إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ } [193]

نعيم الجنة ونِعم الدنيا

الكلام عن الجنة في كتاب الله يقتضـــي منا جميعاً أن نعي جيداً قول حبر الأُمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الذي دعا له النبي ﷺ وقال:

---

192 الأقصر – إسنا – القرايا 27 من جمادي الأولى 1440هـ 2019/2/2م
193 صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

{ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ }[194]

يُعطينا حقيقة يجب أن نعيها أجمعين، فقال ﷺ: كل ما ذُكر في القرآن عن الجنة مما له شبيهٌ في الدنيا، فهو يشاركه في الاسم فقط، إذ الذي في الجنة أشرف وأعلى.

يعني إياك أن تظن أن القوارير مثل القوارير التي في الدنيا، والكأس هناك ليست كالكأس التي في الدنيا، لكن يشاركه في الاسم فقط، وطبعاً يقُره الحبيب ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[195]

ولم يستثن أحد، فلا يوجد أحدٌ من أول الدنيا إلى آخرها رأى شيئاً مما في الجنة إلا النفر القليل الذين أخذ الله أرواحهم إلى الملأ الأعلى ومتَّعهم بالسياحة في الجنة.

وحتى هؤلاء لا يستطيعون التعبير، ولا يستطيعون تصوير ما رأوه، لأنه شيء لا تدركه العقول، ولا تتعقله عقول بني آدم أجمعين، فهو شيء فوق الوصف وفوق الخيال، هذه الحقيقة التي يجب أن نعلمها أجمعين عن جنات النعيم.

بعد ذلك سأحاول با ختصار شديد تبسيط هذه المناظر الإلهية التي جهزها الله لنا في الدار الجنانية.

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ ﴾:

---

194 مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما
195 صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ

نحن نريد أن نكون من هؤلاء الأبرار لكي نشـــرب ونطرب ونتمتع بهذا النعيم العالي، فالأبرار الذين برُّوا ما عاهدوا الله تبارك وتعالى عليه، فقاموا بما فرضـــه عليهم من الفرائض، وانتهوا عما نهاهم عنه من المناهي، وامتثلوا لقول الله:

﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (31آل عمران)

فتأسـوا واقتدوا بحبيب الله ومصـطفاه في كل أنفاسـهم .. فهؤلاء الأبرار الذين وضـــحهم الله في أكثر من موضـــع من كتاب الله، ونســـأل الله تعالى أن نكون منهم أجمعين.

هؤلاء سـيشـربون من كأس، لكن ـ كما قلت ـ ليس مثل هذا الكأس، فلا نشـغل أنفســنا بشــكله ولا لونه ولا هيئته، لأن هذا أمر غيبي لا يُطلع الله عليه إلا نبي، أو صِديقٌ، أو ولي، ونحن لم نصل بعد لهذه المقامات.

والله ﷻ عندما وصـــف الجنة كان تقريباً للحقائق، فذكر الأســـماء التي نعرفها ليُقرب لنا الحقيقة، لكن الحقيقة غير هذا بالمرة، ولذلك قال ﷺ:

{ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ } [196]

فإذا كان الإنسان من غمسة واحدة في النار سينسى كل النعيم الذي يتخيله الإنسان للمترفين في هذه الحياة الدنيا، ومن غمسة واحد في الجنة سينسى كل البؤس والشقاء والعناء الذي ذاقه أشد الناس بؤساً وأكثرهم مشقةً وعناءاً في هذه الحياة الدنيا، لنعرف أن الجنة فيها شيء آخر كما أخبر النبي ﷺ.

وكما قال الله: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ (71الزخرف) لم يقُل: فيها ما تشتهيه النفوس، لكن (الأنفس) وهي جمع قلة يعني الأنفس التقية، التي لها منزلةٌ كريمة عند رب البرية ﷻ.

196 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

وهؤلاء لن يترك الله ﷻ ملك الموت الموكل بهم لقبض أرواحهم، ولا حتى عزرائيل رئيسهم أن يقبض أرواحهم، ولكن يتولَّى بذاته قبض أرواحهم: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (42الزمر) .

ومن هم الأنفس؟ الأفراد القلائل الذين دائما يدعون ونحن ندعو معهم قائلين:

(وتولَّ قبض أرواحنا بيمناك مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن).

﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ ﴾ العرب كانوا يعرفون الكافور، فقرَّب لهم الله الحقيقة، والكافور شراب يُوجد في أشجار عظيمة موجودة في بلاد الهند وفي بلاد الصين، ويكون بداخل الشجرة، ولونه أبيض، وطعمه ونكهته فيها لذَّة لا تُوصف، فقرَّب لهم الله الحقيقة بما يعرفونه ... من الذي يشرب هذا الكافور؟ العظماء والجماعة الوجهاء فذكر لهم أن هذا الكأس يُمزج بالكافور.

العين التي لعباد الله

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ وانتبه لدقة ألفاظ القرآن، فلم يقُل: عينا يشرب منها عباد الله، ولكن (يشرب بها)، فلو قال: عيناً يشربون منها، لقلنا أنها عينٌ في أرض الجنة يخرج منها هذا الشراب، ولكنها عيناً يشرب بها،

وهذه قال فيها الصالحون: العين التي ستشرب بها كل طعام المقربين، وكل شراب الصديقين، وكل علوم الإلهام من رب العالمين، هي العين التي بداخلك؛ القلب السليم إذا طهرته لمولاك.

فهو يشرب بها، والذي سيؤتيه الله العلم أو الحكمة، سيعطيه له في القلب السليم، الذي طهَّره من كل وصف ذميم لا يُحبه ولا يُقبل عليه به الكريم ﷻ.

فيشربون بهذه العين لطائف العلوم، ويشربون بها أسرار المعارف الإلهية، ويشربون بها مشاهدة الأنوار المحمدية، ويشربون بها كل عوالم الزينة الظاهرة والخفية في الدار الجنانية.

يشربون كل ذلك بهذه العين، ولذلك قال الله بعدها: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾

الذين أصبحوا عبيداً لله ﷻ، تحرر من العبودية للزوجة، والعبودية للمال، والعبودية للبطن، والعبودية التي نهى عنها سيدنا رسول الله والتي قال في أهلها:

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ } [197]

---

197 البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

فهم عبيد، وطالما هو عبدٌ لهؤلاء فهو ليس عبداً لله ﷻ، والله ﷻ لا يقبل إلا ماكان خالصاً لوجهه الكريم، فالذي فيه شركاء متشاكسون ليس لله شأنٌ به، فهو يريد رجلاً لا يريد من الدنيا والآخرة إلا وجه الله ﷻ.

تفجير العين

﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ ﴾:

يفجرون هذه العين، وكيف يفجرونها؟ عندما نريد تفجير مبنى كبير، أو تفجير جبل فماذا نفعل؟ نأتي له بأصابع الديناميت لنفجره، وأنت لكي تُخلي القلب تحتاج إلى ديناميت المحبة لسيد الأحبة، وهذا الشيء الوحيد الذي يستطيع تخليص القلب من كل الأغيار، وبعده يملأه الله ﷻ بالأنوار، ويُشرق فيه وجه النبي المختار ﷺ.

ولذلك قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: (ذرة من المحبة ترفع أهل الجهالة إلى أعلى مقامات القُربة).

وسيدنا أبو بكر الصديق كان يُسمى عتيق، ولكن حُبه لحبيب الله ومصطفاه هو الذي رقَّاه وأعلاه حتى صار له رفيق.

وعندما ننظر في آية الهجرة، نجد أن الله ذكره مع النبي خمس مرات في خمس مواضـــع فيها: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (40التوبة) خمس مواضع مذكورٌ فيها مع سيدنا رسول الله ﷺ، كأنه يمتثل بقول حسَّان بن ثابت دائماً:

أُحبك حباً لو يُفاض يسيره على الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موفٍ بالذي أنت أهله لأنك في أعلى المراتب من قلبي

فالذي يُريد أن يُفجِّر العين التي يشـرب بها شـراب اللطف الإلهي، وشـراب الوصـل الرباني، وشـراب الرحيق الجناني، فيكون كما قال الله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (89الشعراء) وهو لا يريد منك غير هذا، فهو لا يريد منا الملابس التي نلبسـها، أو دفاتر الشيكات التي في جيوبنا، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ،وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ َأَعْمَالِكُمْ }[198]

198 صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

ينظر إلى قلوبنا ونياتنا، يريد القلب، والقلب بيت الرب، لا يُطهِّره إلا الحب، متى نطهره بالحب؟ بعد أن نُخرج حب الدنيا وحب الشهوات وما ذكرناه وأشرنا إليه.

فإذا تطهر هذا القلب أصبح عيناً يشرب بها كما يشاء، ولذلك لم يقُل القرآن: سيشرب بها عباد الله، وإلا كان ذلك في المستقبل في الآخرة، ولكنه قال:

﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ يعني الآن، ولكن الشرط ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾

رجال الوفاء

وذكر الله ﷻ لنا مثلاً من هؤلاء الرجال لنمشي عل هديهم ونسير على منوالهم: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ ذكر كثير من أهل التفسير أن هذه الآيات نزلت في الإمام علي وزوجته التقية النقية السيدة فاطمة رضي الله عنها، فقد مرض الحسن والحسين مرضاً شديداً، وتلمسوا لهم الشفاء، ولكن زاد الداء، فأشار عليهم بعض الصحابة الأتقياء الأنقياء بأن ينذرا نذراً لله لعل الله يُشفي لهما ولديهما، فنذرا لله ﷻ إن شفا الله الغلامين أن يصوما ثلاثة أيام لله ﷻ.

فشــفاهما الله، فأرادا أن يوفيا بالنذر، والإمام علي لم يكن موظفاً، ولا يملك أرض، ولم يكن له تجارة، بل كان يعمل بيده بالأجر، ففي كل صــباح يبحث عن أحد يعمل عنده في هذا اليوم لكي يحصــل على قوت بنت النبي وأولاده المباركين، وهم ذرية النبي رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، والذين قال فيهم ﷺ:

{ إِنَّ الله ﷻ جَعَلَ ذُرِيَّةَ كُلِّ نَبِيّ فِي صُلبِهِ، وإِنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ ذُرِيَّتِي فِي صُلبِ عَليّ بنِ أَبِي طَالِب} [199]

فصــاما ويريدان أن يفطرا، فذهب الإمام علي ليعمل، وجاء ببعض الشــعير، والسيدة فاطمة رضي الله عنها طحنت الشعير، وصنعت منه رغيف واحد، وسوَّته لكي تأكل هي وهو والأولاد والخادمة، وليس هناك غموس، فالرغيف فيه كل شــيء بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

وقبل المغرب بلحظات طرق الباب، وقال: مســكينٌ يا آل بيت النبوة ولم أذق طعاماً من يومين، فقال لها: أعطيه له، ونحن نبيت طاوين، وفطروا على الماء، وتسحروا على الماء.

199 معجم الطبراني والسيوطي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

وفي اليوم الثاني صـــاما، لأنهما يريدان أن يوفيا بالنذر، وهذا يُعطينا درس، فرغم الصـــعوبات البالغة هما يريدان توفية النذر، لأن الناس الآن قد يكون أحدهم قد نذر نذراً وأتاه الخير، فيقول: المصـــلحة الفلانية أولى، والمصـــلحة الأُخرى أبدى، وعندما أنتهيمن المصالح أُوفي بالنذر!!.

لكن هؤلاء غير ذلك، يريد أن ينهي ما عليه لرب العزة تبارك وتعالى أولاً، وذهب في اليوم الثاني ليعمل، وجاء ببعض الشعير، وجهزت أيضاً منه رغيفاً واحداً، وقبل المغرب جاء رجل وقال: يتيم يا آل بيت النبي، ولم أذق طعاماً منذ عدة أيام، فاعطوه الرغيف، وفطروا على الماء.

واليتيم في الشـرع عندنا من فقد أباه ولم يبلغ الحُلم، لكن الذي بلغ الحُلم لا يصـح أن نُطلق عليه يتيماً، وكذلك من فقد أُمه ليس يتيماً، لأن الذي فقد أُمه وأصـــبح يتيماً فهذا في عالم الحيوان، والشـرع حكيم، لأن الأم هي الرئيسـة في عالم الحيوان، والأب قد لا يراه ولا يعرفه، لكن في عالم الإنســـان الذي يفقد الأب يكون يتيماً ما لم يبلغ الحُلُم، قال ﷺ:

{ لا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلامٍ } [200]

---

200 سنن أبي داود والبيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إذا بلغ الحُلم أصبح رجلاً ولم يعُد يتيماً، فإذا بلغ إنسان عشرين سنة مثلاً فهل نقول أنه يتيم ونساعده؟! لا، لأنه رجل، وعليه أن يسعى ويعمل ليُحصِّل أرزاقه، وفي اليوم الثالث أيضاً صاموا، وذهب سيدنا علي للعمل وأحضر كذلك بعض الشعير، وصنعت منه رغيفاً، وقبل المغرب جاء أسير يسأل، فأعطوه الرغيف!!. هل يوجد الآن من يأكل الشعير؟! لا، أو هل يوجد منا من يأكل دقيق غير منخول؟ لا، مع أن السيدة عائشة رضي الله عنها تقول:

{ والذِي بَعَثَ مُحمَّداً بِالحَقِّ نَبياً مَا رَأى مُنخَلاً، ولا أَكَلَ خُبزاً مَنخُولاً } [201]

والعلم الحديث أثبت أن الجسم في حاجة إلى الخبز الذي يحتوي على الردَّة، لكن الدقيق المنخول كله أضرار لا يعلم مداها إلا الواحد القهار.

فكانوا يأكلون الشعير الذي لا نرضى الآن أن نجعله حتى علفاً لدوابنا إلا إذا كنا فقراء، لأن الأغنياء لا يرضون به، ويُطعمون دوابهم فول أو شيء قيم.

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ ﴾ لها معنيان، إما على حب الطعام لأنهم كانوا جوعانين، لكن الأوجَه على حب الله ﷻ، وكلا المعنيين صحيح.

201 مسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

وجهة المقربين في أعمالهم

ما المبدأ الذي يريد الله أن يُعلِّمه لأهل مقامات المقربين؟ الآتي:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ ﴾ تريد أن تكون من المقربين فكل عمل تعمله لا ترجو الثواب والأجر فيه إلا من الله ﷻ.

ما الذي كثَّر المشاكل بين المسلمين في هذا الزمان؟ أن كل إنسان يُقدَّم جميلاً لإنسان يريد منه الردَّ، مه أنك بهذا ليس لك أجر عند الله، فإذا زار أحد يريد رد الزيارة، وإذا أطعم أحد يريده أن يطعمه مقابل هذا الطعام، وإذا قدَّم واجب عزاء لأحد يريد منه أن يرده له إذا حدث عنده عزاء، وإذا لم يأته، يقول: إن فلان لم يأتي ليُعزيني فلن أذهب لأُعزيه مرة أخرى، وإذا أُصيب بمرض وأحد أصدقائه لم يزره، وأُصيب صديقه بمرض، يقول: لن أزوره لأنني مرضت ولم يزرني، ما هذا؟!! نحن بذلك نعمل الأعمال نقصد بها الرد،

وكأنها سـلف!، وهذه كما ورد في الحديث الشـريف : { وتصـعد الحفظة بعمل العبد من صــلاة وزكاة وصــيام وحج وعمرة وخلق حســن وصــمت وذكر الله تعالى وتشــيعه ملائكة الســموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفســـه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول الســـموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن } [202]

فكل عمل لا يُبتغى به وجه الله يتركه لصــاحبه، ما دام العمل ليس لله فلا يصِّــح أن تقدمه لله يوم لقاء الله ﷻ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا ﴾..

وما الشرط؟ ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (110الكهف).

202 الترغيب والترهيب للمنذرى عن معاذ والحديث طويل وفيه قبل ما ورد أعلاه قال ﷺ: ((قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا جوارحه اقفلوا على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله إنه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن الله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي، قال: (الحديث))).

إذاً لكي يكون العمل خالصاً لله وتكون من المقربين، تحتاج إلى أن تطهر العمل من الرياء وهو رؤية الخلق، وتحتاج إلى أن تطهر العمل من العُجب؛ وهو أن نفسك تُعجب به، وترى نفسك أنك أفضل من فلان ومن فلان، لأنك قدمت كذا وعملت كذا، ولكنك تعمل العمل وترى أن الله هو الذي أعانك وقواك وأمدك بكل حول وطول حتى عملت العمل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (5الفاتحة) لو لم يُعيننا الله فهل يستطيع أحدٌ منا أن يعمل شيئاً؟!! لا .. من الذي يُذكِّر الإنسان بالتسبيحة التي سيُسبح بها حضرة الرحمن؟! تسبيحة واحدة فقط، من الذي يُذكِّرك بها؟!! من الذي يُليِّن الأعضاء لأداء الصلاة؟!! من الذي يحفظ وضوءك من الإنتقاض؟!! وأنت لا حول ولا طول لك على هذه الأعضاء!!، أمورٌ كثيرة وكثيرة، تحتاج من الإنسان أن يُفكر فيها جيداً ليكون العمل كله لله، قال ﷺ:

{ مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ}[203] وقال: { أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ }[204]

203 جامع الترمذي ومسند أحمد عن معاذ بن أنس ﷺ
204 شعب الإيمان للبيهقي ومسند أحمد عن البراء بن عازب ﷺ

فهذا هو الرجل الذي يذكِّرنا به الله في هذه الآيات، ولذلك سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ - وكان من هؤلاء الرجال - عندما نزلت على النبي ﷺ: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (152آل عمران) وقرأها ﷺ عليهم، أخذ يبكى، فقالوا له: لم تبكِ؟ قال: ما كنتُ أظن أن في أصحاب رسول الله من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية!! يعني عرفت أنه يوجد أُناسٌ يريدون الدنيا.

الشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ سمع هذه الآية من القارئ فصرخ وأُغشي عليه، فلما أفاق سألوه ماذا حدث لك؟ قال: أما سمعتم هذا العتاب؟ قالوا: وأي عتاب؟ قال: يقول الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ فأين من يُريدني؟!!.

وانظر إلى قلوب الأبرار والأطهار كيف تكون؟! كأن الله يقول: من الذي يريدني؟!

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (28الكهف) وهذا الصِنف الذي ذكره لنا الله في هذه الآيات، إنما نطعمكم لوجه الله، ونقدم لكم المعونة لوجه الله، ونزوركم لوجه الله، ونقدم لكم واجب العزاء لوجه الله، ونُقرضكم ما تحتاجون إليه لوجه الله، ونسعى لخدمتكم وقضاء مصالحكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاءاً، ولا حتى شكر على هذا العمل.

لأنه لو اجتمع أهل الدنيا جميعاً ومعهم كل خيراتها، فهل يســـتطيعوا أن يكافئوا رجلاً مؤمناً على تسبيحة واحدة لله ﷻ؟!! مستحيل، فالتسبيحة الواحدة أعظم من الدنيا وما فيها، وهذا ما ذكره سيدنا سليمان بن داود عليه السلام، فقد قال ﷺ:

{ كَانَ لِسُـلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّـلامُ أَلْفُ بَيْتٍ، أَعْلاهُ قَوَارِيرُ، وَأَسْـفَلُهُ حَدِيدٌ، فَرَكِـبَ الـرِّيحَ يَوْمًـا، فَمَرَّ بِحَرَّاثٍ يَحْرُثُ، فَنَظَرَ إِلَيْـهِ الْحَرَّاثُ، فَقَـالَ: لَقَدْ أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا، فَحَمَلَتِ الرِّيحُ كَلامَهُ، فَأَلْقَتْهُ فِي أُذُنِ سُـــلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّـــلامُ، قَـالَ: فَنَزَلَ حَتَّـى أَتَـى الْحَرَّاثَ، وَقَـالَ: إِنِّـي سَـــمِعْتُ قَوْلَـكَ، وَإِنَّمَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ لِئَلا تَمَنَّى مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، لَتَسْبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ } [205]

205 رواه أحمد فى الزهد عن إدريس بن وهب بن منبه، كما أورده صاحب الحلية.

سيدنا سليمان بن داود عندما كان راكباً على البساط، والبساط كان يتسع لكل من جاء معه حتى يسعهم جميعاً، وكان معه على البساط في هذا اليوم خمسمائة ألف من الجن[206]، وخمسمائة ألف من الإنس، غير الوحوش والطير والأمراء والوجهاء، ويمشي بأمره: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ ﴾ والشرط: ﴿ رُخَآءً ﴾ (36ص) يعني ليست شديدة حتى لا تضره ولا تضر من حوله؛ ريحٌ لطيفة محبوبة ومستحبة للنفس ... فسمع فلاحاً في أرضه بجوار بيت المقدس نقل إليه الهواء الصوت وهو يقول: ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود، فأحب أن يُلقن من حوله درساً، فأمر البساط أن ينزل، وقال للرجل: ماذا قلت؟ فحدث عند الرجل رعباً، فهدَّأ من روعه، فقال الرجل قلتُ: ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود، فقال له: (لَتَسْبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ).

تسبيحةٌ واحدةٌ في صحيفة مؤمن خيرٌ وأعظم مما أوتي سليمان بن داود، لذلك من الذي يستطيع أن يُعطي لإنسان أجر تسبيحة واحدة لله ﷻ؟!!، والحبيب ﷺ بيَّن وقال:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآَنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }[207]

---

206 روى الحاكم فى المستدرك عن محمد بن كعب قال: : بَلَغَنَا أَنْ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ، كَانَ عَسكرَهُ مِاتَةً فَرَسَخ؛ خمسةً وَعِشرُونَ مِنْهَا لِلإِنس، وَخمسة وَعِشرُونَ لِلَجن، وَخمسَةً وَعِشرُونَ لِلوَحْش، وَخمسةً وَعِشرُونَ لِلطيرِ، وَكَانَ لَهُ أَلْف بَيْتِ مِنْ قَوّاريرَ عَلَى الخشب مِنْهَا ثلاث مائة صريحة، وَسَبْعُ مِائة سَبيّةِ، فَأَمَرَ الرّيخ العاصف فَرَفَعَهُ، فَأَمَرَ الرّيحَ فَسَارَت بِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرُ بَيْنَ السَّمَاء وَالأرْض: إنى قدَ زدتُ في مُلْكِكَ أَنْ لا يَتَكَلَّم أَحَدَ مِنَ الخلائق بشيء إلا جاءتِ الرّيحَ فَأَخبَرَتك .

207 صحيح مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

فلماذا نستهين بهذه الكلمات؟!!

لذلك المؤمن الذي يريد أن يكون من المقربين :

- هو الذي يطهر القلب.
- ويعقد النية على أن لا يعمل عملاً لنفسه أو لغيره إلا إذا كان خالصاً لوجه رب العالمين، لا يرجو جزاء من أحد !!

لأنه ليس لأحد أن يُعطيه الجزاء، ولا ينتظر ثناءً من أحد، لأن الثناء لن يعمل به شيئاً، لكن أنا أريد الثناء من الله الذي له قدر، وله هيلمان وعظمة في الدنيا ويوم لقاء الله.

مقام الخشية

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

وهذا مقام الخشية، القلب إذا سلم، فأفضل عطاءٌ يضعه فيه مولاه خشية الله، بعض الناس يظن أن خير عطاء الكرامات!، لكن الشيخ الجنيد ﷺ وأرضاه قال في ذلك:

(أنت تطلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة،والاستقامة خيرٌ من مائة ألف كرامة)[208]

فالكرامة قد تغرك، وقد تضرك !!

ونفرض أنها ستجمع الخلق عليك، لكن لو أن الخلق جميعاً اجتمعوا حولك، فهل يستطيعون نفعك أو دفع ضُر أراده الله لك؟!! أبداً !!

لذلك يجب عليك أن تبحث عما يُحبه الضـــار النافع تبارك وتعالى، وهو مراقبة الله، وخشية الله، وهذه علامة العلماء العاملين الذين ذكرهم الله في كتاب الله:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰؤُا ﴾ (28فاطر)

يعني أن الذي يخاف الله، ويتق الله العلماء، وهناك قراءة أخرى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَـــى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ لماذا؟ لأن زلة العالم زلة لمن حوله كلهم، يقولون: الشيخ فلان عمل كذا، والشيخ فلان مشى في الطريق الفلاني وهذا صواب، لذلك خطأ العالِم خطأ للعالَم الذين حول العالِم ...

ولذلك لو تذكر أي إنســـان فينا أنه قدوة يُقتدى به؛ على الأقل من أهله وذويه، لانصـلح حاله على الدوام، فأنا على الأقل قدوة لمن معي في البيت، إن كانت زوجتي أو أولادي أو أحفادي ..

208 عوارف المعارف، والإحياء والكثير من كتب الصالحين والعارفين بنفس المعنى وإختلاف ألفاظ وترتيب، وقال بعضهم: ذرة استقامة خير من ألف كرامة ، كما بمولد النبى المسمى بالأسرار الربانية للميرغنى.

وما دام هؤلاء يقتدون بي، فهل يصح أن أتكاسل عن الصلاة في وقتها؟! وإلا كيف أحاسبهم على الصلاة؟! وهل يجوز أن تخرج من لساني كلمة نابية أو جافية أو لاغية؟! لا، لأنهم سيفعلون مثلي، ويقولون: سمعنا أبانا يقول كذا، أو جدنا يقول كذا .. فالإنسان إذا اعتقد أنه قدوة وظلَّ هذا الخاطر في قلبه على الدوام، أصلح الله ﷻ حاله على مدى الأيام.

فأعطاهم الله ﷻ الخشية:

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾:

نحن نخاف أن نذهب لله ﷻ فيقابلنا بعبوس، والوجه العابس يعني الوجه الذي يظهر عليه النفور، ويظهر عليه الضجر والألم، وقمطريراً يعني شديد العبوس !!

فنحن نخاف من هذااليوم.

فعلى الفور قال الله لكل من يعمل لوجه الله، وملأ قلبه بخشية الله:

﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾:

ولذلك الإمام القرطبي رضي الله عنه وأرضاه قال:

هذه الآية وإن كانت نزلت في أهل بيت رسول الله، إلا أنها في كل الأبرار الذين تخلقوا بهذه الأوصـــاف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي كل من فعل فعلاً حسـناً، وهذا الكلام قاله بعد أن ناقش رأي الحكيم التُرمذي رضي الله عنه، والحكيم التُرمذي قال: هذه الآية لم تنزل في الإمام علي والسيدة فاطمة، لأن الحديث سنده ضعيف، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الإنسـان أن يبدأ بنفسـه ثم بمن يعول، فالمفروض أن يبدأ بنفسـه أولاً وبعدها يُعطي الفقير، فردَّ النسفي وقال: هذه حال كحال أبو بكر عندما تبرع بماله كله لرسول الله، وأصـــحاب الأحوال لهم العُذر، ولكن لا يُقتدى بهم في مثل هذه الأحوال، لأنها أحوال خاصة بهؤلاء الرجال، ويؤيدهم بها ويعينهم عليها الواحد المتعال سبحانه وتعالى.

جزاء الصادقين

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾:

وهو يوم القيامة، أو يوم الخروج من الدنيا ...

وهو يوم لقاء الله الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءهُ } [209]

209 البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾:

لقَّاهم نضرة في وجوههم بالأنوار الإلهية التي تسطع عليهم، وسروراً في قلوبهم بالعطاء الرباني الذي خصهم به الله في كل وقت وحين.

﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾:

وهذه الجنة يكفي أن أدنى المؤمنين مُلكاً في الجنة سـيكون له مقدار الدنيا كلها من أولها إلى آخرها عشر مرات ....

فإن آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة، قال فيه ﷺ:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى

فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً } [210]

وهذا الرجل قال فيه حضرة النبي ﷺ:

{ إِنَّ آخرَ مَن يَدخُلُ الجنَّةَ رَجُلٌ مِن جُهينَةَ يُقَالُ لَه جُهينَةُ،

فَيَقُولُ أَهلُ الجَنَّةِ: عِندَ جُهينَةَ الخَبرُ اليَقِينُ } [211]

فعندما يخرج هذا الرجل من النار يعلم أهلها أنهم خالدين فيها أبداً !!

لكن ما بال الذين يدخلون الجنة قبل هذا؟

﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (35ق)

فهذه أخبار لا نستطيع وصفها ...

ولا ذكرها ...

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

210 البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
211 فتح الباري عن ابن عمر رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا (١٣) ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا (١٤) ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا (١٥) قواريرا من فضة قدروها تقديرا (١٦) ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا (١٧) عينا فيها تسمى سلسبيلا (١٨) ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا (١٩) وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (٢٠) عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا (٢١) إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا (٢٢) ﴾(الإنسان)

12.النعيم والملك الكبير (2) [212]

بِسْـــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي جعلنا من أهل جنة النعيم في البدء القديم، وأنزلنا بفضله إلى الحياة الدنيا لخلافته ﷻ للتكريم، وكتب لنا السعادة، وجعلنا من أهل الحُسنى وزياده، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد؛ سر نور الله تبارك وتعالى في البدء في الأولية، وسر نور شرعه المشرق في الآخرية، وصاحب الشفاعة العُظمى في الحياة الأُخروية، ومفتاح الدار الجنانية، الذي من رآه لا يشقى أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، صلِّ اللهم وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومتعنا بالنظر إلى جمال وجهه، ولا تحرمنا من رؤيته في الدنيا، ولا من شفاعته في الآخرة، ولا من جواره في الجنة أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

أهل الجنة العالية

شـــرحنا بداية هذه الآيات، وقلنا .. أن الله ﷻ جعل صـــفات؛ من تجمَّل بها في الدنيا كان من أهل الجنة العالية.

212 الأقصر – إسنا – القرايا 28 من جمادي الأولى 1440هـ 2019/2/3م

أول هذه الصـفات: أن يكون عمله كله لله، لا يبغي أجراً ولا ثواباً على أي عملٍ يعمله إلا من حضرة الله.

الأمر الثاني: أن يمتلئ قلبه بتقوى الله وخشية الله، فيراقب الله على الدوام، ويعلم أن الله يطلع على ظاهره وباطنه في كل حركاته وسكناته، ويضع أمام عيني بصيرته:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (4الحديد).

الأمر الثالث: أن يوفي بما عاهد عليه الله:

- فيقوم بالفرائض التي كلَّفنا بها الله.
- وينتهي عن كل النواهي التي نهانا عنها كتاب الله.
- ويقتدي بالحبيب ﷺ في كل أعماله وأحواله في هذه الحياة.

النضرة والسرور

الذين يفعلون ذلك قال فيهم الله: ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (11الإنسان) هؤلاء سُنلقِّيهم نضرة في وجوههم، وسروراً في قلوبهم، هذه الوجوه التي ينضرها، لماذا ينضرها؟ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) ليرى ويتمتع بأجمل ما يراه الإنسان في الدنيا وفي الآخرة وهي أنوار ووجه حضرة الرحمن ﷻ.

والسـرور سـرور القلب، فسـرور الجسـم بالطعام والشـراب والنكاح والأشـياء الدنيوية الدنية، لكن سرور القلب بالأنوار العلية، وبالمواجهات الربانية، وبالإشراقات القدسـية التي يتجلى بها الله ﷻ لهذه الأرواح التقية النقية، وأعلمنا الله ﷻ في أكثر من موضـــع من قرآنه، أنه لا يوجد لواحدٌ منا جنة واحدة، بل جنات تجري من تحتها الأنـهار.

جناتٌ ظاهرات تتمتع بها الأجسام بعد أن يُنشئها الله النشأة الآخرة، وهي مغايرة للأجسام التي في الدنيا، يعني الأجسام هناك سيكون الإنسان فيها كما نصَّت الأحاديث الشريفة على طول سيدنا آدم، وكان طوله سبعة وستون ذراعاً، وهؤلاء الذين يدخلون الجنـة لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتنخمون، ولا يشـــعرون بحرٍ ولا برد ولا مرض، وإنما في عناية رب العزة تبارك وتعالى على الدوام، ولا يهرم منهم أحد، قال فيهم ﷺ:

{ لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ } [213]

ســندخل الجنة في ســن الثلاثة والثلاثين، هل يصــل أحد إلى ســن الخامســة والثلاثين؟ لا، بل سيظلون في سن الثلاثة والثلاثين خالدين فيها أبداً،

---

213 مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

يعني يظل فتوة وشباب على الدوام، لأن الله ﷻ قدَّر هذا النعيم الكريم جزاءً لهم بما صبروا: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (35فصلت) ونحن كلنا لنا حظ عظيم، فكل من قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) سيكون له حظ عظيم عند الله ﷻ، لأنك لم تقُلها من نفسك، ولا خيَّروك فيها، يقول الله فينا كلنا: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (22المجادلة) كتبه في داخلك، واللسان يعبِّر عن المكتوب الذي كتبه الرحمن في القلب والجنان، وأنت معك الحظ العظيم والسعادة الكُبرى من العزيز العليم ﷻ.

صفة الجنة

هؤلاء سيكون لهم جنان في الآخرة لا تُعد لمتعة الأجسام، وهناك متعة للقلوب، وهناك متعة للأرواح، وهناك متعة للأسرار، وكلها أشياءٌ غيبية لا يُدرك كنهها إلا من علَّمه الله من الصالحين والأبرار.

فذكر لنا الله في الآيات التي معنا جنة واحدة فقط من الجنان التي لنا، وأمر أمثالي أن نبين للناس أملاكهم التي عند الله، ونعيمهم الذي عند الله ليشـــتاقوا إليه، ويعملوا بما يوصـــلهم إليه: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (6محمد) لا بد أن تعرف الجنة لتسعى إليها.

هذه الجنة ماذا سيكون فيها؟

ليس فيها كراسي ولا مصاطب، لكن كل الجلوس كجلوس الملوك على الأَسرَّة، والسرير كما ورد عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن ارتفاعه مسيرة خمسمائة عام.[214]

والســرير، وكل ما في الجنة على بصــيرة، فلا شــئٌ منهم ينتظر أن تُصــدر له أمراً، ولكنه يعرف ماذا تريد ويُنفذ بدون طلب: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ والأرائك

214 الجواهر الحسان فى تفسير القرآن، للثعالبى، وفى روح البيان فى تفسير القرآن للبروسوى ورد: أن ارتفاع السرر كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، قبل إذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فإذا استوى عليها ارتفعت .

يعني الأَسرَّة، ومتكئين يعني مُضطجعين ومستريحين وسعداء، والسرير يتحرك كما شئت لما شئت، فإذا خطر ببالك أن تزور أخاك فلان - شرط أن يكون معك في الجنة - تجد السرير قد تحرك[215] ومشى حتى يصل إلى قصور أخيك فلان!!، فأنت لم تقُل له ولم تُعطه أمراً، ولا خدم شدوه أو جروه، وإنما يمشي بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

الجو في الجنة كيف يكون؟

نحن في الدنيا لا يعجبنا الحر، ولا يعجبنا البرد، فإذا اشتد البرد تجد من يقول: ما هذا البرد يا رب؟ ولماذا جئتنا به؟ والبعض يسيئ مع الله فيقول: أنت غاضب منا ولذلك جئتنا بهذا البرد!، وهم يجهلون حكمة الله، والله ﷻ يفعل كل شيء لحكمة عالية.

وعند الصيف الكل يتضايق، حتى الذي عنده تكييف غير مرتاح، ولا الذي ينام في الخلاء مرتاح، والكل يشتكي!! لكن في الجنة قال الله: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ ﴾ الشمس ستنتهي مع نهاية الدنيا.

215 صفة الجنة لابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعا: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَشْتَاقُ الإِخْوَانُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ , فَيَسِيرُ سَرِيرُ ذَا إِلَى سَرِيرِ ذَا، أَوْ سَرِيرُ ذَا إِلَى سَرِيرِ ذَا حَتَّى يَجْتَمِعَا. فَيَتَّكِئُ ذَا وَيَتَّكِئُ ذَ, يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ مَتَى غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا، فَيَقُولُ صَاحِبُهُ : نَعَمْ , يَوْمَ كُنَّا فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا , فَدَعَوْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَغَفَرَ لَنَا).

نور المؤمنين في الآخرة

كيف نرى في الجنة؟ وكيف نمشي فيها؟

﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (8التحريم) الذي ينوِّر لك نور عملك الصالح، وهو الذي بيمينك، وقدامك نور الحبيب الأعظم ﷺ.

هذا النور الذي سنمشي عليه في الآخرة يوم الحساب، وفي الجنة، ونورك قوته على حسب صلاح عملك، قال ﷺ:

{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنَ أَبْيَنَ، فَصَنْعَاءَ، فَدُونَ ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُضِيءُ نُورُهُ إِلا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ } [216]

أقل المؤمنين نوراً يوم القيامة من يضـــيء له نوره تحت قدمية، وهناك جماعة آخرون يقول فيهم ﷺ:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةَ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا } [217]

216 جامع البيان للطبري
217 اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود ﷺ

هؤلاء يُضـيء حُسنهم لأهل الموقف كما تُضـيء الشمس لأهل الدنيا، وهذا في الآخرة، أما في الجنة فقال:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ، أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ }[218]

أهل الجنة يتراءون أهل عالين في الجنة كما تتراءون الكوكب الدري في أُفق السماء، يرونهم ولهم بريقٌ من بعيد، لشدة أنوارهم نتيجة صالح أعمالهم التي نالوا بها القبول عند الله تبارك وتعالى، فيجب على كل واحد منكم أن يشحن بطاريته حتى يضيء له كشافه جيداً، لأنه لا يوجد هناك محلات تشتري منها بطارية، ولا توجد كهرباء تشحن منها البطارية، فالنور من هنا من الدنيا.

المنافقون الذين يظنون أنهم يضحكون علينا وعلى حضرة الله - حاشا لله ﷻ - هناك يجدون ظُلمة تامة فينادوا علينا: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (13الحديد)

218 البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

يعني انظروا لنا حتى نمشي في نوركم، فيسخرون منهم كما كانوا يسخرون منهم في الدنيا: ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا ﴾ (13الحديد) ارجعوا للدنيا مرة ثانية لتأتوا بالنور منها!!. فلا يوجد نور هناك إلا ما جئت به من الدنيا، ومن الذي يعمله؟ أنت، بعملك الصالح الذي تتوجه به لله، ومملوءٌ بالإخلاص لله تبارك وتعالى، فلا يوجد هناك نور في الجنة، ولا في الآخرة، إلا نور العمل الصالح، ونور الحبيب الأعظم ﷺ، ونور رجال الله الصالحين الذين أعلى الله قدرهم يوم الدين، ... نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

نعيم الجنة

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾:

لا يوجد بردٌ هناك، قيل لابن عباس: كيف سيكون نور الجنة؟ قال:

(أما رأيت الساعة التي تكون قبل طلوع الشمس كذلك نورها

إلا أنه ليس فيها شمساً ولا زمهريرا) .. [219]

سيكون كنور ساعة الصُبح قبل شروق الشمس، فهل تكون الدنيا منيرة أم مظلمة؟ منيرة، ولكن لا توجد شمس ولا حرارة ولا برودة، وإنما نور من نور الله ﷻ، يُذكِّرنا بنور الجنة التي نسأل الله أن نكون من أهلها أجمعين.

---

219 وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في "حادي الأرواح" بعض الآثار الموقوفة والمرفوعة التي تدل على هذا،
وهي ضعيفة، ولكن مجموعها يدل على أنها لها أصلاً، ومن ذلك: ما جاء عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: أنه سئل ما نور الجنة؟ قال: أما رأيت الساعة التي تكون قبل طلوع الشمس، كذلك نورها، ألاأنه ليس فيها شمس ولا زمهرير (صفة الجنة، لأبي نعيم الأصبهاني)،وهناك آثار أخرى تدل بمجموعها على أن نور هكذا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش" إذا ما كان فيه ليل ولا نهار، لكن فيه بكرة وعشية، كما جاء بالنص، فيه وقت للبكور، ووقت للعشي، فكيف يعرفان ولا شمس ولا قمر؟ قال: "بنور من قبل العرش (مجموع الفتاوى): وقال القرطبي -رحمه الله-: "قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هما في نور دائمًا أبدًا، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب، وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب (الجامع لأحكام القرآن).

يضطجع على السرير، وشجر الجنة يفهم كما قلنا أن كل شيء في الجنة يفهم: ﴿ ودانية عليهم ظللها ﴾ الظل ممدود هناك، والشجرة الواحدة حضرة النبي يقول فيها:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا } [220]

يمشـــي مائة ســنة في ظلها ،ولا يقطع هذا الظل، ولذلك قال الله: ﴿ وظل ممدود ﴾ (30الواقعة) ممدود على الدوام.

﴿ وذللت قطوفها تذليلا ﴿١٤﴾ ﴾:

هناك لا يوجد تعب، فأنت تشـــتهي التفاح مثلاً، فبمجرد أن يخطر على بالك، تأتي إليك شــجرة التفاح وتصــل عندك، وتُنزل الفرع في حجرك وفيه التفاح لتأخذ ما تريده منها، إذا أكلت واحدة فالأولى غير الثانية، والثانية غير الثالثة: ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشبها ﴾ (25البقرة)

---

220 البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

ولكن يختلف في الطعم واللذة والكُنه، اختلاف غير عادي!!. وثمار الجنة ليس لها فضلات، فلا يوجد في الجنة حمامات لقضاء الحاجة، ولا يوجد حاجة أصلاً، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[221]

الفضلات تخرج على هيئة عرق، ولكن رائحته مثل رائحة المسك، ولا يُصاب أحد بالزكام أو بالبرد، ولا أي شيء من ذلك، وأول ما يدخلون الجنة يقولون:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (34فاطر) ..ليس فيها حزن ولا مرض ولا هم ولا غم ولا تعب ولا عناء ولا شيء من هذه الأمور أبداً.

﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾: وذُلِّلت يعني هُيئت وسُـــهلت قطوفها تذليلا، فتأتيك بدون تعب ولا عناء، بمجرد أن يخُطر على بالك هذا الصِنف من الطعام.

221 صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) ﴾: من الذي يطوف عليهم؟

منهم من تطوف عليهم الملائكة: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ (الرعد) ومنهم من يطوف عليهم ولدان مخلدون، ومنهم من يطوف عليهم الحور العين، وكل واحد على حسب درجته ورتبته وقدره عند رب العالمين تبارك وتعالى.

﴿ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ ﴾: معهم آنية من فضة ولكن ليست كالفضة التي عندنا، سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وضَّح اللبس الذي يُصيب بعض الناس في هذه الآية وأشباهها فقال: يصنع الله ﷻ كل آنية من الأرض التي هو عليها، فنحن يوم القيامة بعد أن تُجمع الشمس والقمر وتنتهي الدنيا، سيُجهز الله أرض الموقف، وأرض الموقف ستكون من فضة، وأرض القيامة من فضة، ولكن غير فضتنا، فهذه الفضة التي يُصنع منها الأكواب والأباريق والقوارير - الزجاج - يوم القيامة.

﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾: يعني كل واحد يشكِّلوا له هذه الأصناف كما يريد، فإذا أراد هذه الزجاجة شكلها كذا، يأتون له بها كما يريد، والثاني يريد الزجاجة شكلها كذا، فيأتون له بها كما يريد، والآنية كذلك .. فقدروها تقديرا، يعني يُقدروها كما تتخيل النعيم، ولتكريمك يأتوك بكل الأواني والأكواب والكاسات والقوارير كما في خيالك، لماذا؟ جائز وأنت في الدنيا قد رأيت شيئاً وأعجبك، فالله يريد أن يُحقق لك رغبتك ويأتيك بالشيء الذي كنت تتمناه وأنت في الدنيا، لأنه يريد أن يُعوضك جزاء صبرك على أمر الله، وطاعتك لحبيبه ومصطفاه، وعملك بكتاب الله ﷻ.

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ ﴾ وإياك أن تظن أن الزنجبيل كالذي نشربه في الدنيا، فكما قلنا أن سيدنا عبد الله بن عباس قال ذلك:

{ لا يشبه شي مما في الجنّة ما في الدنيا إلا الأسماء }[222] كل ما ذُكر عن الجنة بالأسماء مما في الدنيا، فهو يشترك معه في الاسم، لكن ليس على هيئته، اسمه زنجبيل ولكنه غير الذي عندنا، لأن الثاني كما قلنا على الأقل ليس له فضلات، فهل يوجد طعام في الدنيا ليس له فضلات

222 رواه الطبرى وابن أبى حاتم فى تفسيره عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

لكن طعام أهل الجنة ليس له فضـلات، فهذا غير هذا تماما، أي شـيء في الدنيا يكون له أثار جانبية، فقد يسـبب حرقة في الحلق أو غير ذلك، لكن الثاني لا يسـبب شيئاً كهذا، لكن كله شفاء، وكله غذاء، وكله دواء ممن يقول للشيء كن فيكون.

وسـيشـربون مع الزنجبيل وهذه الأشـكال ماء، ولكن ماء غير ماء الدنيا: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾: هناك عين في الجنة اسـمها السـلسـبيل، وأنت داخل على باب الجنة: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (66الرحمن) ونضاختان يعني تُخرج بحساب، فتأتي أنت عندها فتُخرج لك أنت فقط ما يكفيك بدون زيادة.

هاتين العينين يقول فيهما سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه: يشرب المؤمن من العين الأولى فيذهب عنه كل همٍّ، وكل غمٍّ، وكل حُزن، وكل ألم كان يشعر به في الدنيا، فيقول: الحمد لله الذي أذهب عني الحزن، ويشرب من العين الثانية فتظهر عليه نضرة النعيم، أين المياه التي نشربها الآن وتضيع الهم والغم الذي نحن فيه؟!!لا يوجد، لكن هذه مياه أُخرى، سمَّاها الله سلسبيل يعني مُيسرة ومسلسلة وسهلة وتخرج إلى فم الإنسان فيشربها بدون أكواب، وبدون أيد تمتد إليها بقدرة الله تبارك وتعالى.

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾: هؤلاء الولدان خالدين فيها أبدا، واختلفت أقوال العلماء في الولدان،- - ولا نريد أن نُدخلكم في هذه المتاهات - لكن هم ولدان لا يموتون، ولا يمرضـــون، ولا يســقمون، خلقهم الله ﷻ وأوجدهم لخدمة عباده الصالحين في الجنة.

﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ هؤلاء الأولاد من شـــدة جمالهم وبهائهم ونورهم يكونون كاللؤلؤ، واللؤلؤ من أعظم الأشـــياء الثمينة التي يشـــتريها الأغنياء والأمراء، ولونه أبيض شديد البياض.

هذا اللؤلؤ إذا صُـنع كعُقد لا يظهر جماله، لكن لو وضـعناه على سـجادة يظهر رونقه ويظهر بهاؤه ويظهر جماله، ولذلك قال الله: ﴿ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ يعني متوزعاً من الجمال الذي هم فيه، والرونق الذي هم عليه، لأنه لن يخدم أحد المؤمنين في الجنة وتبدو عليه كآبة، أو في وجهه عُبوس، بل لا بد أن يكون كل من يأتي يســر البال والقلب.

﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ﴿٢٠﴾ ﴾ ثَمَّ يعني هناك، فلو رأيت هناك ســترى ملكاً كبيراً يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ } [223]

أدنى المؤمنين منزلـةً في الجنـة، من ينظر في مُلكـه عن يمينـه ألف عـام، وعن يســاره ألف عام، أرأيت إقطاعيته ما شـكلها؟!! ولذلك سـماهما الله: ﴿ نعيما وملكا كبيرا ﴿٢٠﴾ ﴾.

لباس أهل الجنة

ومـاذا يلبس هؤلاء الـذين يـدخلون الجنـة؟ فليس هنـاك خيـاطين، ولا محلات أقمشــة، ولا محلات، فماذا يلبســون؟ ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ﴾ يلبســهم الله لباس التقوى: ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ (26الأعراف)

223 جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

مصانع التقوى الإلهية تصنع لهم ملابس جنانية يلبسونها بأمر رب البرية ﷻ، الناس يأتون في القيامة عرايا، فلا يوجد أحد سـيأخذ معه في قبره ملابس ليلبسـها عندما يقوم، ولكن يخرج عرياناً، قال ﷺ:

{ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلا } [224]

وانتبه لحديث سـيد الناس، فقد قال: (يُحشـر الناس) وليس نحن، فكيف يكون حالنا؟ بمجرد أن يخرج من القبر يجد ثيابه من الجنة وقد لبسـته!، فلن يحتاج أن يرفع الذراع ويبلس ولا يُدخل من الرأس ويلبس، كيف؟

لا تقُل كيف هناك؟! لأنها قدرة إلهية.

ما شـكل الثياب؟ أخُضـر، لأن لون الجنة كله أخضـر، فيعرف أهل الموقف أن هذا من أهل الجنة، لأنه يلبس ثياب أهل الجنة، أما العرايا فهم الآخرين ولسنا نحن.

فنحن على الفور الثياب تأتي من الجنة ﴿ عَلَيهم ﴾

224 البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

يعني تأتي من فوق ونازلة عليك فوراً، ﴿ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ من حرير ومن قطيفة ومن أغلى الأصـــناف والأنواع، ولكن غير الأنواع الموجودة في الدنيا، سيدنا رسول الله ﷺ وضَّح الأمر لصحبه الكرام، فعن أنس بن مالك ﷺ قال:

{ أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ:

مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا } [225]

ملابســـنا هذه لو دخلت النار تُحرق، لكن ملابس الجنة أخذت كارت أمان من حضـــرة الرحمن ﷻ .. ولذلك عندما يجهزوا لنا رحلة إلى جهنم - لنعرف فضـــل الله علينا -وانظروا للناس الذين كانوا معكم ماذا أصبح شكلهم؟!، ويمررونا على سجون جهنم، هذا سجن سقر، وهذا سجن لظى، وهذا سجن القارعة، وكل سجن له عذاب خاص به، حضرة النبي ﷺ يقول:

{ تَقُولُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِ جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لهبي } [226]

فلن تحرق ثيابك، ولكن نورك سيُطفئها!، فثياب الجنة شيء آخر.

---

225 البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
226 معجم الطبراني والبيهقي عن يعلي بن مُنية ﷺ

﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ كثيرٌ من الناس يعتقدون أن الأساور كالتي يلبسها النساء، والتي يلبسها بعض الشباب غير المنضبطين في زماننا، لكن الأساور هي الأوسمة والنياشين جزاءً للأعمال الصالحة التي عملتها في الدنيا.

إذا مشيت على المنهج القويم، لا بد أن يُنعم عليك الكريم: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ (69النساء) هذا الإنعام ... غير الجنة، لكن سيأتي على منصَّة رئيسية في ساحة الموقف العظيم، وينادي على هؤلاء ويأخذون الأوسمة والنياشين من حضرة الكريم ﷻ.

الشراب الطهور

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ وهذا الأحسن من كل النعيم الذي ذكرناه وشرحناه؛ أن الله ﷻ بذاته سيُسقيهم الشراب الطهور، فيأتيه الشراب على فمه بدون كوب، ولا يد تحمله، ولا ساقي يسقيه، فيشرب بها على الدوام، وهناك أُناس يشربون هذا الشراب في الدنيا، وهم الصالحون رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

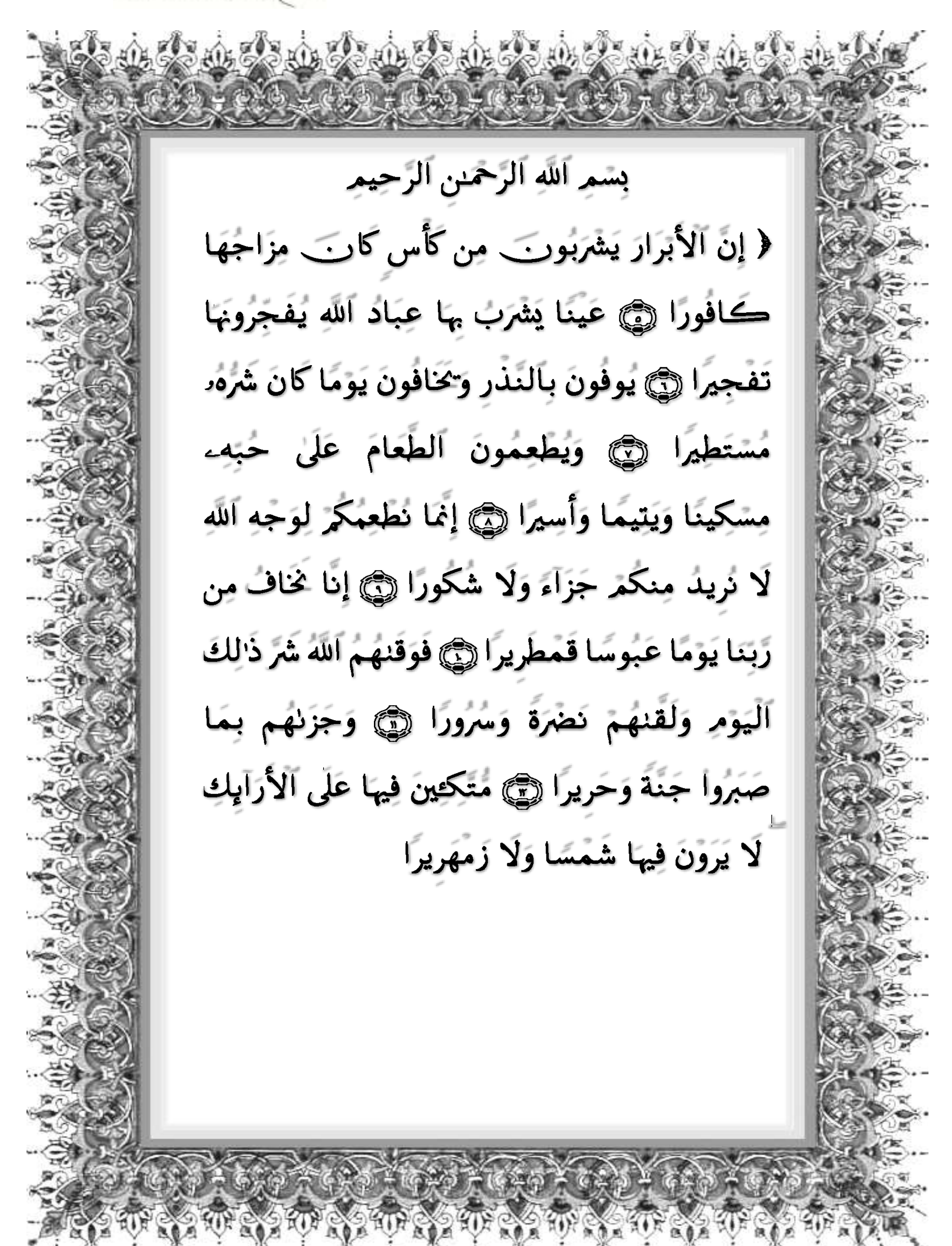
سـيدنا إبراهيم ابن أدهم ﷺ كان يُصـلي إماماً بالناس فقرأ هذه الآيات، وعندما وصل إلى: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ مصمص شفتيه، وبعد أن انتهى الصلاة، فقالوا له: سمعناك تمصمص شفتيك، فهل شربت هذا الشراب؟ قال: والله لو لم أذُقه لما تلوت هذه الآية!!، يعني وهو يقرأ الآية أتاه الشراب من الله ﷻ.

والملائكة بعد أن يدخلوا الجنة يقولون لهم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ هذا جزاؤكم على صبركم، وهذا سعيكم في العمل الصالح، واستباق الخيرات، وعمل القربات، بالاقتداء بسيد السادات ﷺ.

هذه جنة واحدة من الجنان التي هيأها لنا الرحمن، لكن كما ذكرت آيات القرآن أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فكل واحد منا سيكون له جنات كثيرة، غير هذه، فهذه نوع من أنواع الجنان، وهذا غير الجنان المعنوية، كالإشراقات الإلهية على القلوب التقية النقية، والتجليات الروحانية على الأرواح المتعلقة برب البرية، أشياءٌ يعجز عنها الخيال ولا تخطر على البال.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل هذا النعيم المقيم، وأن يقدمنا بين يديه في الموقف العظيم لنكون أهلاً للتكريم، وأن يرزقنا في حياتنا الدنيا معونته على ذكره وشكره وحُسن عبادته، وأن يختم لنا بخاتمة الخير أجمعين، وأن يجعلنا من الذين يُصاحبون سيد الأولين والآخرين، وأن يجعلنا من الذين يتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ۝٥ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ۝٦ يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ۝٧ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ۝٨ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ۝٩ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ۝١٠ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ۝١١ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ۝١٢ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) ﴾

(5-22الإنسان)

13.إشارات في سورة الإنسان [227]

نذر الإمام علي والسيدة فاطمة

هذه الآيات القرآنية معناها الظاهر في قصة الإمام عليّ وزوجته البتول السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها عندما مرض نجليهما الحسن والحسين ونذرا لله ﷻ إن شفاهما الله تعالي أن يصوما ثلاثة أيام.

والإمام علي ﷺ الذي زوَّجه النبي ﷺ ابنته، ورفض تزويجها لعلية القوم من الوجهاء والأثرياء والأغنياء, كان رجل يعمل باليومية، فلو طلبه أحد لعمل ما، يذهب يشتغل معه سواء من المسلمين أو من اليهود ساكني المدينة.

فأتت يهودية عندها بئر مائها في القاع - أي بعيدة - وتريد رجلاً يُخرج لها الماء، فاستأجرته واتفقت معه أن الدلو بتمرة، وإخراج الدلو الواحد يحتاج إلى مجهود، فأخرج ثلاثين دلواً، وفي آخر اليوم بعد التعب أخذ ثلاثين تمرة، وكان لا يستطيع أكثر من ذلك، فذهب إلى النبي ﷺ فتظاهر النبي ﷺ بالجوع تشجيعاً له، وأثنى عليه وأكل من الطعام الذي أحضره.

---

227 بورسعيد – مسجد الغفران 6 من ذي القعدة 1436هـ 2015/8/20م

فلما نذرا لله شُــفي الغلامان، وأرادا الصـــيام، فذهب الإمام علي ﷺ وعمل، وبأجرة العمل جاء بقدر من الشعير لا يكفي إلا لصنع رغيف واحد، لكي تعلموا كيف جاهد هؤلاء القوم في ذات الله, والسيدة فاطمة رضـي الله عنها بنت النبي ﷺ كان لها رحاء تطحن به الحبوب، فطحنت الشــعير وعجنته وخبزت به رغيفاً واحداً يفطرا به عند المغرب، وقبل المغرب بدقائق سمعا الباب يدق، فقال من؟ قال مسكين يا آل بيت النبي بقي لي يومان لم آكل طعاماً، فقال لها: أعط له الرغيف ونفطر بالماء ونصـــوم اليوم الثاني.

وفي اليوم الثاني ذهب للعمل وهو صـــائم وحدث مثل ما حدث في اليوم الأول، قبل المغرب بدقائق أتي لهم رجل وقال: يتيم يا آل بيت النبي بقي لي ثلاثة أيام لم آكل طعاماً، واليوم الثالث أتي أسير، فعجبت السماء من صنيعهما وضجت ملائكة السماء من فعلهمـا، فـأنزل الله فيهم الآيـات القرآنيـة: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ ﴾.

وهنـاك روايـة عن طريق أهل العنـايـة تقول أن هؤلاء الثلاثـة ملائكـة، جاءوا لاختبارهم لرفع مكانتهم عند الله ﷻ، وهذه إشـارات في هذه الآية لأن الله فتحها بقوله: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ ﴾

فأصـبحت الآية في الأبرار من وقت نزولها إلى يوم القرار، والأبرار هم الذين بَروا بما عاهدوا الله عليه في يوم الميثاق: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (172الأعراف) فلا يسـألون إلا الله، ولا يطلبون إلا من الله، ولا يتوجهون إلا إلى الله، وإذا توجهوا لأحد من الخلق أو السـؤال أو الطلب يعلمون علم اليقين أنه بيد الله، إذا وجَّهه له بالعطاء فالمعطي هو الله، وإذا امتنع فلحكمة يعلمها الله، لا يرون في الكون فعالاً إلا حضـرة الله، لأنهم بروا فيما عاهدوا الله عليه.

شراب الشريعة والحقيقة

هؤلاء الأبرار ﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ ﴾ كـأس الحقيقـة ممزوجة بالشريعة، لأن الإنسان لو شرب شراب الحقيقة صافياً خرج عن الأطوار في هذه الدنيا، ولا يسـتطيع أحد السـيطرة عليه مثل (المجاذيب) لا يحس بالبرد، أو يمشى عارياً، أو حافياً، أو لا يأكل، أو لا ينام.

ولو شرب الشريعة بدون الحقيقة كما يقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين: ((علم الفقه وهو أعز العلوم إذا لم يصاحبه عمل، وشيء من الحقيقة، لا يزيد قلب صاحبه إلا قسوة)) وكما ترون قساة القلوب من الذين يقتلون المسلمين، ويفتون لأنفسهم لأنهم أخذوا الشريعة، بدون عمل ولا شيء من الحقيقة، هل تأخذهم بالمسلمين الذين ينطقون بالشهادتين رحمة؟!! لا يوجد، ومن لا يَرحم لا يُرحم.

فيحب على الفرد منا أن يمزج شرابه، فيسقي باطنه من شراب أهل الحقيقة، ويقيم ظاهره على معالم الشريعة، وهذا هو الكمال الذي أمرنا به الواحد المتعال، والذي عليه النبي ﷺ والآل والصالحين والكُمَّل والأبدال إلى يوم القرار.

فلا بد أن يكون ظاهري مجمل بالشريعة، وباطني يشرب ويكرع من عالم الحقيقة، ولا يدري شيء ما فيه إلا أخاً ذواق له نصيب فيه، لأنه ليس ظاهر عليه شيء.

عين القلب

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾ :

فمن أين أشرب هذه الحقيقة؟ من العين التي معي، فكل فرد منا أعطاه الله عين في قلبه، هذه العين بابه إلى علوم الغيب، وإلى عالم الأسرار، وإلى عالم الأنوار، وإلى عالم الحيطات الإلهية التي خصَّ الله بها الأبرار والأخيار:

في القلب عين تراني في حال قرب التداني

فالعين موجودة لكن تريد أن تُفتح، وكيف تُفتح؟ بالديناميت الذي يُفجرها، وما هذا الديناميت؟ هو كبسولات المحبة التي يحصل عليها من الأحبة، لسيد الأحبة، ولا يوجد شيء يُفجر هذه العين إلا هذا، فما دام الإنسان يكرع من الصالحين ويشرب منهم رحيق محبة سيد الأولين والآخرين، فيشرب ويشرب حتى يزيد الحب فتنفتح عين القرب، ولذلك لم يقل عين يشرب منها بل قال (عين يشرب بها) فالشراب يأتي فيها.

العبودية لله

﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ :

الذين أصبحوا خالصين لله، تخلصوا من عبودية الأشياء، فليس هو عبد الدينار ولا الدرهم، ولا عبد للخميصة، ولا عبد للزوجة، ولا عبد للولد، ولا عبد للوظيفة .. تخلَّص من رق الأشياء فأصبح عبداً لله ...

فيجب على الإنســـان إذا أراد أن يكون عبداً لله ألا يتحكم فيه أحد ســـواه، وهل يجوز لعبد أن يشــترك بين إثنين، فهذا يعطي له أمر وهذا يعطي له أمر، سـيُنفذ كلام مَن؟!! فالذي يريد أن يكون عبداً لله فلا بد أن يكون خالصـــاً لله ﷻ ... فالذي يقول أنا عبد لله، لكن الحكم في المنزل للمرأة، وهي التي تعطي لـه الأوامر والتعليمات، ولا يستطيع أن يخالف إشـارة أو أي شـيء، فكيف تكون هذه مع هذه؟!! حضـرة النبي ﷺ دعا على هؤلاء وقال:

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ }[228]

إذا دخلت شـــوكة في رجله لم يجد ملقاطاً يأخذها به، لماذا؟ لأنه ترك العبودية لله، لكن متى يكون عبداً لله؟ إذا كان حراً مما ســـواه: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾.

228 البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ ما هذا النذر الذي يوفونه هؤلاء القوم؟ هم والذين يدخلون معهم

نذر كلٌ منهم أنه وماله وأولاده وزوجته كلهم لله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ (156البقرة) أنا وزوجتي

وأولادي ومالي كلي لله، أنا لله وزوجتي تساعدني على طاعة الله، ومالي وسيلة أتقرب بها إلى الله، وإبني يعاونني في طاعة الله وإبلاغ رسالة الله .. فنحن جميعاً كلنا لله: ﴿ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (156البقرة) وهو الرجوع المطلوب للجمال والكمال الذي خص

به الله ﷻ أهل الوصال.

﴿ وَيَخَافُونَ يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا ۝٧ ﴾ اليوم الذي يبتعدوا عنه، أو الذي يبعده

عنهم، يخافون من البعد، وأخوف ما يخاف منه العارفون أن يبعدهم الله عن مقام قربه ومودته طرفة عين ولا أقل.

إشارات الطعام وآكليه

ما جهادهم؟ وماذا يفعلون؟ ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ يطعمون الطعام الإلهي

الشهي في مائدة القرآن، وسُنَّة النبي ﷺ، وهذا هو الطعام الحقيقي لأهل الأرواح:

جعنا فأطعمنا الحقائق ربنا واسق الجميع محبة الغفار

نريد أن نأكل من هذه الحقائق: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ (62الكهف) وهل غذاء الروح أكل

وشرب؟!!. يطعموه لمن؟ ﴿ مِسْكِينًا ﴾ للمسكين الذي سكن قلبه لربه، وأصبح يحس

بالإفتقار الدائم إليه، والعبودية الكاملة بين يديه، ويشعر أنه لا ملجأ له ولا منجى له

ولا معين له ولا وزير له إلا هو ﷻ ... ﴿ وَيَتِيمًا ﴾ اليتيم الذي تجرد ظاهراً وباطناً من

كل المقتنيات والأحساب والأنساب الظاهرة، ولم يكن له، ولم يعد له إلا الحبيب

الأعظم، وجلالة قدر الله جل في علاه، والذي قال له الله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾

(9الضحى) هذا هو اليتيم، وسُمِّي يتيم لأنه جوهرة يتيمة فريدة ليس لها مثيل في حبه لمولاه، وفي قربه من الله، وفي مكانته التي أولاها له الله ﷻ، فاليتيم في هذا الزمان وغير هذا الزمان الذي يُقْبل على الله بالكلية، ومهما تُعرض عليه جمالات الدنيا الدنية، أو تلوح له الجمالات الجنانية والأخروية لا يلتفت عن رب البرية طرفة عين ولا أقل، فهذا هل له مثال؟ لا يوجد له مثال.

﴿ وَأَسِيرًا ﴾ والأسـير الذي أسـره حب مولاه، وأسـره جمال الله الذي متع به ﷻ عيناه، وأسره جمال الحبيب ﷺ وخصاله الكريمة التي أشتهى أن يكون على نصيب كبير منها فيتعلق بها وهو في هذه الحياة.

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ ليس للجنة، ولا الأجر، ولا الثواب، ولا الدعاء، ولا المقابل، لكن نطعمكم لوجه الله ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ وهذه علامات كُمَّل الوارثين، وقد قال لنا الله فيهم: ﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (21يس)،

وقال الإمام أبو العزائم ﷺ: (شـيخك الذي يعطيك لا الذي يأخذ منك) يعطيك الأحوال العلية و الأنوار الربانية، ولا يطلب منك شـيء في الدنيا الدنية، ولا تملك له عطاء تستطيع أن تصله في الحياة الأخروية، فكل شيء لله: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (72يونس) فهي وراثة.

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ اليوم الذي يكون فيه عبوس، أي صد أو هجر، فيخافون من الصد والهجر من الله.

﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ والنضـــرة هي جميل النظر إلى وجه الله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) وسرور باطني بما لاح لهم من جمال الله البهي، لا يستطيع الإنسان أن يعبر عن ما يشـاهد القلب من جمال، ولا يوجد لسـان يسـتطيع أن يعبر عن ذلك، الإمام أبو حامد الغزالي عندما سُئل قال: (فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر) أشياء لا يصرح بها.

وقال الله على لسان موسى عليه السلام: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴾ (13الشعراء) من كثرة ما نزل فيه من الهبات الإلهية والعطاءات الربانية والأنوار القدسـية: ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ (13الشعراء) أتكلم مع من؟!! الإمام علي رضي الله عنه قال في ذلك موضحاً: (إن ها هنا لعلوماً جمة لو أجد لها حملة) وقال حفيده علي زين العابدين رضي الله عنه:

يا رُبّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستباح رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسناً

فهذه علوم لا تتحملها العقول، فهي:

أَمِن القلوب إلى القلوب شرابى ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطابى

العقل ميزان، فكل شـــيء تســـمعها الآذان يريد أن يزنها، ومَن الذي يزن كلام الرحمن؟! أو عطاءات الحنان المنان؟!! هذا العقل لا يســـتطيع ذلك، فهي تحتاج إلى قلب وجنان، أو العقل النوراني، أو القلب الرباني .. هذه هي الأشياء التي تتحمل ذلك.

﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً ﴾ صـــبروا على أمر الله ومراد الله والجهاد في الله فكان جزاؤهم جنة الرؤيا وجنة الشهود.

﴿ وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ يعني لباس الحرية، فأصـــبحوا أحراراً من كل ما تعبّد به لله أهل الدنيا، فأصبحوا لهم الحرية الكاملة مع الله ﷻ.

﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ أرائك القرب والشـــهود في عالم: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ الدنيا فيها الشمس وفيها الليل وفيها النهار، وهؤلاء تجاوزوا الأملاك والأفلاك، فهناك لا ليل ولا نهار، ولا صـبح يلوح، ولا مسـاء عند العطية، فلا يوجد صباح، وهذه عوالم خفية يدخلهم الله فيها.

﴿ ودانية عليهم ظللها وذللت قطوفها تذليلا (١٤) ويطاف عليهم بءانية من فضة وأكواب كانت قواريرا (١٥) قواريرا من فضة قدروها تقديرا (١٦) ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا (١٧) عينا فيها تسمى سلسبيلا (١٨) ۞ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا (١٩) وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (٢٠) عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقىهم ربهم شرابا طهورا (٢١) إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا (٢٢) ﴾ هذه أنواع من العطاءات لا تنكشف إلا لمرآة القلوب بعد شربها صافي المشروب، وتطهيرها بالكلية من العيوب.

نســــأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل ذلك، وأن يجمِّلنا بجمال الأبرار، وأن يكمِّلنا بأحوال الأخيار، وأن يرزقنا في الدنيا والآخرة معية النبي المختار

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن المتقين في ظلال وعيون (٤١) وفواكه مما يشتهون (٤٢) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (٤٣) إنا كذلك نجزي المحسنين (٤٤) ويل يومئذ للمكذبين (٤٥) كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون (٤٦) ويل يومئذ للمكذبين (٤٧) وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون (٤٨) ويل يومئذ للمكذبين (٤٩) فبأي حديث بعده يؤمنون (٥٠) ﴾

(المرسلات)

14.جزاء المحسنين [229]

بِسْــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي رقَّانا في مقامات القرب، حتى صــرنا أعلى أُمَّة في الأُمم في القرب من الله، والدُنو من حضـــرة الله، وفي درجات الجنة في جوار حبيب الله ومصـــطفاه، والصـــلاة والســـلام على ســـيدنا محمد رافع درجات المؤمنين، وســـرُّ قرب كل المقربين، وفاتح أبواب الحب لله للطالبين، ومُفتِّاح أبواب الجنة يوم القيامة للخلق أجمعين، صـــلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصـــحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنِّك وفضـــلك وجودك يا أرحم الراحمين.

قدَّر الله وهو قدير، أن تكون أحاديثنا معكم في خلال هذه الأيام كلها عن الجنة، وأنتم إن شـــاء الله أجمعين من أهل الجنة، فضـــلاً من الله، لأنه لن يدخل الجنة أحد بصلاة وبصيام ولا بأي عمل، قال ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ } [230]

وفي رواية أخرى: { إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ } [231]

---

229 الأقصر – إسنا – مسجد البص بالقرايا 29 من جمادي الأولى 1440هـ 2019/2/4م
230 مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
231 معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

فدخول الجنة بفضل الله، وبرحمة الله، لكن الدرجات في الجنة بحسب الأعمال الصالحة التي نالت القبول عند الله، وعملناها في هذه الحياة، فبها سيكون التفاضل والتمايز بين المؤمنين.

والجنة فيها درجاتٌ لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، فالمجاهدون في سبيل الله على سبيل المثال يقول فيهم ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } [232]

فهذا للمجاهدين في سبيل الله فقط، فأين التائبين؟! وأين العابدين؟! وأين الحامدين؟! وأين الراكعين الساجدين؟! وأين المتصدقين؟! وأين حجاج بيت رب العالمين؟! وأين الذاكرين؟! وأين قرَّاء كتاب الله؟! وأين غيرهم وغيرهم من أصحاب الأعمال التي لا تعد ولا تحد؟!، فالدرجات في الجنة لا مُنتهى لها.

232 معجم الطبراني عن أبي مالك الأشعري ﷺ

مقامات القرب للمؤمنين

لكن ترقيات المؤمن حدَّدها الله ﷻ في أربع مقامات، منهم من يخرج من الدنيا وهو في مقام الإسلام، وهذا مقامٌ طيب والحمد لله، ومنهم من هو أعلى منهم، فيخرج من الدنيا وقد ارتقى إلى مقام الإيمان، ومنهم من هو أرقى منهم فيخرج من الدنيا وقد ارتقى إلى مقام الإحسان، ومنهم من هم خاصة الخاصة من المقربين، وهؤلاء يرتقون إلى مقام الإيقان.

أربع مقامات، يتدرج فيهم المؤمنون بين يدي خالق الأرض والسماوات ﷻ، ولكن كثير من المؤمنين مشغولون، فالكثير منا حريصون على الترقيات في الوظائف الدنيوية، ويسعى إلى ذلك بالشكايات وغيرها، ويذهب هنا وهناك، حتى ينتقل من الدرجة الثالثة مثلاً إلى الدرجة الثانية، وإذا ارتقى إلى الدرجة الثانية، يسعى ليرتقي إلى الدرجة الأولى، ثم بعد ذلك يقول انا أريد درجة مدير عام!!، لأن درجة مدير عام فوق هذه الدرجات كلها، كدرجة الإيقان.

لكن المقامات التي تلقى بها الله لا بد أن تحرص عليها، وترى ما المكانة التي تريد أن تكون عليها يوم القيامة، وهو يوم المباهاة الذي يقول فيه حضرة النبي صلى الله علبه وسلم:

{ تَكَاثَرُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمُ الأُمَمَ يَومَ القِيَامَة } [233]

هل يُباهي بالغارقين في الذنوب وكلهم عيوب؟!! لا، ولكن يُباهي بالذين ارتفعوا وارتقوا إلى أعلى درجات القُرب من حضرة علام الغيوب.

امرأة من هؤلاء وهي السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها، كانت تُصلي في الليلة ألف ركعة لله ﷻ!!، جائز أنك تستصعب الأمر، لكن الإنسان إذا عزم يُعينه الله، فلا يشعر بالوقت، ولا بالتعب، ولا بالألم، بل كان عندما يؤذن الفجر تقول كغيرها: مرَّت هذه الليلة سريعاً ولم أشعر بها!، وكأنها لحظة!، لماذا؟ من اللذة التي تشعر بها في مناجاة الله، وفي طاعة الله، والحلاوة التي تذوقها وهي بين يدي الله ﷻ.

{ ذَاقَ طَعْمَ الإيمَانِ } [234]

فمناجاة الله لها حلاوة، من يتذوقها لن تعجبه حلاوة في الدنيا من أولها لآخرها عندما يأكلها، لأنها ليس لها شبيه ولا مثيل.

فسُئلت: لِمَ تُصلين كل ليلة ألف ركعة؟ هل تريدين مكانة عالية في الجنة؟ قالت: لا، أنا أُصلي ألف ركعة كل ليلة ليباهي بي رسول الله ﷺ الأنبياء يوم القيامة، ويقول: هذه امرأةٌ من أُمتي فعلت ما لم يفعله رجالكم!!.

انظر إلى نيتها كيف كانت؟!! تريد أن حضرة النبي يباهي بها الأنبياء السابقين سلام الله ورحمته وبركاته عليهم وعلى نبينا أجمعين.

---

233 رواه الشافعي عن ابن عمر رضي الله عنهما
234 صحيح مسلم ومسند أحمد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ بدأ الآية بالمتقين، وهذا صِــنفٌ من المتقين، غير المذكور في ســورة النبأ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ (31النبأ) والذي ســنذكره في الدرس القادم.

المحسنون

الصِــنف الذي معنا الآن بعد أن ذكر الله حوافزهم وهداياهم وعطاياهم قال: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هؤلاء ارتقوا إلى مقام الإحسان، وهذا مقام عالٍ.

سيدنا جبريل عندما جاء لرسول الله ﷺ يسأله ليُبين لأصحابه الأشياء التي لا يعرفونها، لأنهم يسألون فيما يعرفون، وما أراد الله أن يُعرِّفه لهم يُنزل سيدنا جبريل يسأل حضرة النبي أمامهم وحضرة النبي ﷺ يُجيب، فقال له:

{ مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } [235]

235 صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وهذه درجة عالية في طاعة الله ﷻ، فالعبد إن كان نائماً أو ماشياً أو يُصلي أو يعمل أو يتكلم، يرى بداخله بعيون القلب، ويشعر أن الله يطَّلع عليه ويراه، ويعلم حركاته الظاهرة، وخطراته الباطنة: ﴿ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (18الحاقة) والذي يصل إلى هذا المقام، نسميه على الفور من الصالحين، ويدخل في مقامات الصالحين.

في ظلال وعيون

أين هؤلاء المتقين؟

﴿ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ :

يعيشون في الجنة في الظل الممدود، الذي مدَّ به الله ﷻ الجنة لتسع هؤلاء مهما كان جمعهم، لأنه ظلٌّ بغير حدود فهو ممدود من حضرة المعبود تبارك وتعالى.

وتحتهم عيونٌ، وماذا في هذه العيون؟ ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (15محمد) والعجب العُجاب، أنه ليس لكل نهر من هذه الأنهار مجرى مستقل، بل كلهم في مجرى واحد، ولكن بأمر الواحد لا يختلط أحدهم بالآخر!!.

تريد أن تشرب من العسل يخرج لك العسل، تريد أن تشرب من الماء يخرج لك الماء، تريد أن تشـرب من اللبن يخرج لك اللبن، وكله في مجرى واحد ولكن يحفظهم من الاختلاط الواحد ﷻ.

﴿ فِيهَا أَنْهَرٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ (15محمد) وآسـن يعني ليس به عطن وليس له رائحة،

﴿ وَأَنْهَرٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ (15محمد) لا يفسـد، ويظل طازجاً على الدوام: ﴿ وَأَنْهَرٌ مِنْ

خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّرِبِينَ ﴾ (15محمد) غير خمر الدنيـا، يقول فيهـا الله: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا

يُنزَفُونَ ﴾ (47الصافات) يعني لا تغتال ولا تُغيِّب العقول.

فلماذا حرَّم الله الخمر في الدنيا؟ لأنها تُغيِّب العقل، وعندما يغيب عقل الإنســـان يتصرف تصرفات هوجاء بدون أن يشعر بذلك، وعندما يفيق يتأسف ويندم عليها!!.

ومثلها الأشياء التي انتشرت في زماننا، فآفة الآفات والبلاء العظيم الذي حلَّ في بلادنا، المخدرات والمســكرات بكل أنواعها، ولا مناص لنا إن أردنا أن يُصـــلح الله أحوالنا إلا أن نُنهي على المخدرات بالكلية.

فمعظم حوادث الطُرق سببها المخدرات، ومعظم حوادث البيوت سببها المخدرات، يأتي الولد سكران، فإذا كلَّمته أُمه لا مانع أن يضربها، ولا مانع أن يقتلها!!.

هل سمعنا على مدي الزمان الذي عشناه أن رجلاً يذبح زوجته، ويذبح أولاده؟!! وليس واحد فقط، بل تكرر هذا الأمر في الأيام الماضية، وكل هذا بسبب تعاطي المخدرات التي ضيعت العقل، فأصبح لا يدري ماذا يفعل!!.

سيدنا أبو بكر الصديق ﵁ قبل الإسلام حرَّم على نفسه الخمر، فسألوه بعد أن أسلم: لماذا حرمت على نفسك الخمر قبل الإسلام؟! قال: إني لا أُحب أن يغيب عقلي، فأفعل ما لا أرضاه عندما يرجع إليَّ صوابي.

ومعذرة في العبارة، هل يوجد إنسان بكامل عقله يرضى أن ينام مع ابنته؟!! لا، لكن هذا يحدث ممن يتعاطى المخدرات والخمر والمسكرات!!.

فإذا ذُكرت الخمر في القرآن عن الجنة، فليس لها علاقة بخمر الدنيا لأن الله يقول فيها: ﴿ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ (23الطور) ..

يعني لا تغتال العقول، وليس فيها إثم، لأن الإنسان محفوظٌ ولن يفعل ذنباً ولا إثماً يُغضب الله ﷻ.

كل هذه الأنهار في الجنة ستجري من تحتهم: ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (5الفتح) ولا يوجد أحدٌ من أهل الجنة سيذهب للنهر ومعه كوب ليملأه ويشرب، لكن بقدرة القادر إذا اشتهت نفسه العسل، يخرج له العسل إلى فمه ويشربه بدون تعب ولا عناء.

ولا تقل كيف؟!! فليس هناك شيء اسمه كيف، فإنها قدرة الله ﷻ، فلا تذهب، ولا كوب يُملأ، لكنها تخرج مباشرةً لك، لأن كل شيء في الجنة يُلبي طلبات المؤمن بمجرد أن يخطر الشيء على البال، فكل شيء في الجنة عنده بصيرة نورانية إلهية.

فواكه الجنة

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ لماذا الفواكه؟ أعظم غذاء للإنسان في الدنيا وفي الجنان الفاكهة، فعندما يمرض الإنسان ويمنعوه عنه الأكل، ويبدأ بعد ذلك يأكل، فالطبيب يأمره بأكل الفاكهة لأنها خفيفة ولطيفة وفيها كل العناصر الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان.

ولذلك أعطانا الله مؤشراً في القرآن لا يفقهه إلا الصالحين، فيقول: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الواقعة) أحســن أنواع اللحوم لحم الطير، لكن الله ذكر الفاكهة أولاً لأنها أفضل.

وهناك إعجاز آخر: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (20الواقعة) يعني أنت تختار من الفاكهة ما يعجبك، لكن إذا وُضع أمامك أي طعام آخر فتأكل مما يليك كما قال حضرة النبي للغلام:

{ يَا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ } [236]

وهذا في كل الطعام، لكن الفاكهة أختار، فإذا قدموا أمامي مثلاً بلح، فلي حرية الاختيار، وهذ هي السنة عن حضرة النبي ﷺ.

فالفاكهة مقدمة على كل الأطعمة في الحلاوة والطعم والقيمة الغذائية، وما تفعله في البطون والأجساد الإنسانية، ولذلك كان مُعظم الصالحين يعيشون على الفاكهة فقط.

236 البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضـــاه كان يأكل الفاكهة، وكان يُوصــــي أولاده بذلك، وذات مرة تعجبوا، فأراد أن يُقدم لهم مثلاً يُذهب عنهم هذا العجب، فقال لهم: هاتوا برتقالة وتفاحة، وألقوهم للكلب، فاقترب منهم الكلب ورجع ولم يأكلهم!، فقال: هاتوا قطعـة لحم، وألقوهـا للكلـب، فتجمَّعـت الكلاب وتقـاتلوا على قطعـة اللحم!!، فقـال لهم:الفاكهة طعام العارفين.

الصـــالحون لا يأكلون إلا الفاكهة لأنها تُعطي الجسـم كل ما يحتاج إليه، وتجعل البطن خالياً من الأرياح التي تُفسـد الوضـوء، وتُبطل الطهارة أمام رب العالمين ﷻ، فيظل الإنسـان متوضـئاً لفترة طويلة، لكن إذا أكل لحماً فبمجرد أن يتفاعل اللحم فعلى الفور تريد البطن أن تُخرج!!.

الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله تبارك وتعالى عليه، وكان من الأولياء العلماء، أعطانا مثلاً عجيباً، فيقول: لماذا يتعافى الإنســان مما يخرج منه؟!! ولا يريد أن يشـــم رائحته!، ولا يذهب إليه!، مع أننا نذهب لما يخرج من الحيوانات ونجمعه ونجففه ليتم استخدامه في أغراض مختلفة، فقالوا له: لماذا؟ قال: الإنسـان يأكل لحوم، وبروتينات هذه اللحوم هي التي تســـبب الغازات والروائح الكريهة التي تخرج في الفضلات.

الحيوان يأكل نباتات، والنباتات لا تصنع غازات ولا رائحة في الفضلات، لذلك تجد فضلات الحيوانات ليس لها لا رائحة كريهة، ولا شيء من هذا القبيل.

فأفضل شيء للإنسان إذا أراد أن يكون في عبادة مستمرة لطاعة الرحمن:

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وقال (مما يشـــتهون) لأن كل شـــيء موجود، فكل ما يخطر على بالك وتتمناه موجود.

لكننا في الدنيا (فواكه مما يجدون) آكل الموجود في السـوق فقط، لكن الجنة كل شي متوفر فيها في أي وقت، لأن الله ﷻ جعل كل شيء فيها خالداً أبداً.

وطعام الجنة غير طعام الدنيا، فطعام الدنيا قال لنا فيه الله: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (31الأعراف) لكي تظلوا طيبين وصـــحتكم جيدة على الدوام، فإياك أن تملأ البطن، وإياك أن تأكل وأنت شـبعان، لأن معظم الأمراض سـببها الأكل الكثير الزائد عن الحاجة، والأجهزة الداخلية تحاول أن تعمل فتجد زحاماً شـديداً من الطعام!، فماذا تفعل؟!! لذلك تارة تجد هذا الجهاز يُجهد، وتارةً هذا الجهاز يُعطَّل، من كثرة الهضم!!. لكن إذا أعطيت الجسم ما يحتاجه فقط سيظل مستريحاً، وأظل أنا مستريحاً على الدوام، فلا أشـكو من شـيء في بطني، ولا أشـكو من كليتي، ولا أشـكو من أي جزء من الأجزاء، لأنني آخذ ما يحتاج إليه الجســم فقط، وهذا يحتاج إلى الحكمة العالية التي ربانا عليها رسول الله ﷺ: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (31الأعراف).

ولذلك أحد الأوربيين سأل الشيخ محمد عبده رحمة الله تبارك وتعالى عليه، فقال له: هل ذُكر الطب في القرآن؟ فقال له: القرآن جمع الطب كله في كلمتين اثنتين ـ فقال له: وما هما؟ قال: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ فقال له: صدقت.

لكن في الجنة: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ كلوا واشـــربوا هنيئاً مريئاً بدون خوف، فستتهنَّى وسيمري عليك، وليس في الجنة سقم ولا مرض ولا ألم، لأن كل الذي فيها جمال في جمال من جمال الواحد المتعال ﷻ.

نعيم المحسنين

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ :

ذكر الله بعض النعم الظاهرة في الجنة للمحســـنين، لكن النعم القلبية، والنعم الروحية، والنعم المعنوية لعلو رتبتها وشأنها تركها، ولا يُطلع عليها إلا أهلها، تنزيلٌ من رب العالمين إلى قلوبهم مباشرة.

النعيم القلبي الذي سـيتمتعون بـه، والنعيم من الأنوار والتجليات الإلهية التي سـيتمتعوا بها، هذا شـيء لا تتحمله العقول، ولا يُباح ولا يُلاح إلا لأهله مباشـرة من حضرة المنعم الفتاح ﷻ، لكن بشَّرنا حضرة النبي وقال:

{ إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ } [237]

أدنى المؤمنين درجةً في الجنة مَن ينظر عن يمينه مسيرة ألف عام، وينظر عن يساره مسيرة ألف عام، فإذا مشى الإنسان سنة واحدة، فماذا يقطع من الوقت؟!! كان أهلونا يقطعون من مصر إلى الحجاز للحج في شهرين أو ثلاثة مشياً على الأقدام، ..

لكن لو مشى سنة، فكم يقطع؟!!.

فانظر إلى مملكة أدنى رجل في الجنة، عن يمينه عندما ينظر كسـفر ألف سـنة مشياً، وعن يساره كمن يمشـي ألف سنة: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (4الجمعة).

237 جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

ثم ذكر الله ﷻ الآخرين لنشكر الله ونحمد الله على عطاياه: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴿٤٥﴾ ﴾ والويل كما ورد بالأثر: (الويل واد في جهنَّم تستجير من عذابه جهنَّم كلها) يعني أشد العذاب، فهؤلاء سيذهبون هناك.

وأيضاً سيأكلون: ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ﴿٤٦﴾ ﴾ وأول ما يدخلون جهنَّم: ﴿ وسقوا ماء حميما ﴾ (15محمد).

فأنت عندما تنزل أرض الموقف يأتيك كأسٌ من حوض الكوثر على الفور، فتظل خمسين ألف سنة بلا عطش ولا ظمأ:

{ مَنْ شَرِبَ مِنْه فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا }[238]

238 البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

ولكن الآخرين: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (15محمد) وماذا يأكلون؟

الزقوم: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الدخان) حفظنا الحفيظ ﷻ.

لأنهم كانوا في الدنيا يأكلون كما تأكل الأنعام، ولا يشكرون المنعم على هذه النعم، ولذلك قال الله في الكافرين كلهم، حتى من يسكن منهم في فندق سبعة نجوم، ويأكل في مطعم هيئته كذا، فلا تغرنك هذه الأمور: ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (12محمد).

هؤلاء كالأنعام، وعاد الله مرة أُخرى وذكر أن الأنعام أفضل منهم: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (44الفرقان) أضلَّ من الأنعام، لأن الأنعام تذكر الله، والأنعام تتوكل على الله، ولذلك يُسخرنا الله لنُطعمها ونسقيها وننفق عليها!.

فأنت تبحث من بداية الموسم عن وسيلة لإطعام الجاموسة التي معك، فتبحث عن قطعة أرض، وتزرع لها فيها برسيم، وأنت الذي تأتي لها به، ولو مرضت ذات يوم فلا تنام!!، لماذا؟ لأنها توكلت على الله ﷻ.

فهؤلاء أضل من الأنعام لأنهم كفروا بنعمة المنعم التي يتمتعون بها على الدوام.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ :

كرر الله هذه الآية ثلاث مرات لكمال الإثبات، لكي لا تظن أنهم في يوم من الأيام سيأخذون عفواً.

حكمة الركوع

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ :

هذه الآية نزلت على سيدنا رسول الله ﷺ عندما كان يدعو العرب إلى الإسلام، وكان هناك قبيلة من القبائل العُتاة الكبار، وتملك مدينة كبيرة في الجزيرة العربية اسمها قبيلة ثقيف في الطائف، فجاءوا له، وأَنْزَلَهُمُ الْمَسْجِدَ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِمْ، فَاشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لاَ يُحْشَرُوا، وَلاَ يُعْشَرُوا، وَلاَ يُجَبُّوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ لاَ خَيْرَ فِى دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ } [239]

---

239 مسندأحمد وأبي داود عن عثمان بن أبي العاص ﷺ

(وَلاَ يُجَبُّوا) يعني لا يريدون الركوع، يعني نُصلي ونحن واقفون بلا ركوع ولا سجود، ولذلك قال لهم الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾:

لا يريدون الركوع كبراً وعظمة، فهم يظنون أن الركوع والسجود لإنسان، لكن الركوع والسجود لحضرة الرحمن، وحضرة النبي ﷺ علَّم أصحابه، وعلَّمنا أن لا نخضع بركوع ولا سجود ... إلا لحضرة الواحد الأحد.

أرسل أحدهم إلى ملك الروم في بلاد الشام، وكان هناك حرس على باب الملك يطلبون من كل من أراد الدخول أن يسجد أمام الملك، فقال لهم: لا أسجد إلا لله، فاحتاروا، وهذا رسول قادم ولا بد أن يُبلِّغ الرسالة، فجاءوا بنجارين وصنعوا باباً قصيراً بحيث من يدخل منه لا بد أن ينحني!، لكن الرجل المسلم لأنه سمع قول الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (8المنافقون) جلس قبل الباب ثم دخل برجليه،

فأصبحت رجليه في وجه الملك!!، حتى لا يسجد إلا لله، ولا ينحني إلا لله تبارك وتعالى.

لكن هؤلاء لم يفهموا القضية، ففهموا أن السجود لبشر، حتى ولو كان حضرة النبي ﷺ، لكن السجود لخالق القوى والقُدر، وخالق البشر، وهو الله سبحانه وتعالى.

ومن عجب أن الله جعل السجود موضع الإجابة، قال ﷺ:

{ إِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ }[240]

الدعاء في السـجود لا يُرد، فلو أردت أن أدعو الله بدعاء فيه تيسـير وتعجيل، فأُصلي ركعتين وأنا في السجود أدعو: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ (19العلق) فعندما تسجد يكون قلبك قريب من الله سبحانه وتعالى، تنادي عليه فيُلبيك، وتدعوه فيُجيبك سبحانه وتعالى.

فالسجود أصبح محلُّ القرب من الله، وموضع إجابة الدعاء الذي جعله الله أفضل مواضع الدعاء للمؤمنين في كل وقتٍ وحين.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠ ﴾:

سيدنا رسول الله علَّمنا عندما نسمع هذه الآية نقول: آمنتُ برب العالمين، ولكن أقولها في سـري، وليسـت جهراً حتى لا تكون جملة من القرآن، فالإمام لو قرأ هذه الآية يقول بعدها في سـره: آمنت برب العالمين، وأنا أيضـاً بعدها أقول في سـري: آمنت برب العالمين.

240 سنن البيهقي عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما

نسأل الله ﷻ أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يُوفقنا لعمل الصالح، وصالح العمل، وأن يجعلنا من أهل مقامات الإحسان، ودرجات الإيقان، وأن يبلِّغنا أعلى درجات الجنان في جوار النبي العدنان، وأن يحفظنا وأبناءنا وبناتنا وزوجاتنا من كل فتن هذا الزمان، وأن يتوب على إخواننا المصريين أجمعين من الخمر والمسكرات والمخدرات، حتى يكونوا أصحاء أقوياء عاملين بتعاليم القرآن، وما أنزله الله من السماء على حبيبه ومصطفاه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن للمتقين مفازا ﴿٣١﴾ حدائق وأعنابا ﴿٣٢﴾ وكواعب أترابا ﴿٣٣﴾ وكأسا دهاقا ﴿٣٤﴾ لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ﴿٣٥﴾ جزاء من ربك عطاء حسابا ﴿٣٦﴾ رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ﴿٣٧﴾ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴿٣٨﴾ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مئابا ﴿٣٩﴾ إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا ﴿٤٠﴾ ﴾ (النبأ)

15.للمتقين مفازا [241]

بســـم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله الذي أكرمنا بحبيبه ومصـــطفاه، وجعلنا ببركته ومن أجله من خير أُمة أُخرجت للناس، والصلاة والسلام على السراج المنير، والقمر المنير، والبشــير النذير؛ ســيدنا محمد وآله وصــحبه أجمعين، وكل من اهتدى بهُداه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

نحن الآن في روضة من رياض الجنة، والله ﷻ من فضله وجوده وكرمه، جعل لنا بعض المجالس التي نجلس فيها في الدنيا كأننا نجلس في الجنة، فقال ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[242] وفي رواية: { مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ، وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }[243]

وارتعوا يعني اجلســوا ولا تتســرعوا بالقيام، ولا تُســرعوا بالخروج، لأنكم في جنة جعلها الله تبارك وتعالى لكم، فأي مجلس من هذه المجالس الجالس فيه جالس في جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين.

---

241 الأقصر – إسنا – المساوية 28 من جمادي الأولى 1440هـ 2019/2/3م
242 المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
243 الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ﷺ

ونحن جلوس في الجنة نتحدث عن الجنة كما وصـــفها لنا رب الجنة تبارك وتعالى، وقلنا من قبل أن لكل مؤمن جنات، وصف الله لنا واحدةً منها في سورة الدهر وشرحناها وبيَّناها، وهذه جنةٌ أُخرى جهزها الله للمتقين.

جنان المؤمن

والمؤمنون أقلهم شـــأناً له أربع جنات عند رب العالمين، قال تعالى في ســـورة الرحمن: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (46الرحمن) وعاد فقال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (62الرحمن) فأصبحت أربع جنان، ووضَّحهم الحبيب ﷺ فقال:

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا } [244]

جنتان من ذهبٍ آنيتهما وأكوابهما وقصورهما وجنات، وجنتان من فضة آنيتهما وأكوابهما وقصورهما، وهذا أقل نصيب لحبيب لرب العباد، وحبيب لسيد الأحبة ﷺ.

الجنة التي معنا اليوم عندما نراها نجدها غير وصـــف الجنة التي في ســـورة الدهر، لكي نعرف أن كل جنة لها أنواع النعيم وأصـــناف التكريم التي أودعها فيها المولى الكريم ﷻ.

244 البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

وصف التقوى

هذه الجنة لمن؟ ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ هي للمتقين، والتقوى فيها كلامٌ كثيرٌ للعلماء العاملين، والصحابة المباركين، والسادة الصالحين، سيدنا الإمام علي قال فيها: (التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل) هذا وصف وصفه الإمام علي، وكل واحد يصف على قدره بما علَّمه ربه ﷻ: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (164الصافات).

لكن الكلمة الجامعة للتقوى هي خشية الله وتقواه، فلان رجل تقي، يعني دائماً مستحضر عظمة الله، ويرى أن الله ﷻ يطلع عليه ويراه، فإذا نطق يعلم أن أول سامع لكلماته هو حضرة الله، وإذا تحرك أي حركة بجوارحه يعلم أن أول من يراه هو مولاه، وإذا حتى خطر خطرةً في سويداء قلبه يعلم أن الله يعلم السر وأخفى، حتى ما بداخل القلب يطَّلع عليه الله ﷻ.

ومن كان هذا حاله سيُصلح الله أعماله، وسيُحسِّن الله ﷻ أحواله، وحتى لو وقع في ذنب في مرة من المرات سيُذكِّره ويُفكِّره ويفتح له باب التوبة ليرجع ويتوب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (201الأعراف).

فلا يكابر ويظل في عمل الذنوب، ولا يعاند، لأنه سيعاند نفسه، وإنما يرجع فوراً تائباً نادماً لحضرة علام الغيوب سبحانه وتعالى.

الذي يتصف بهذا الوصف يراقب الله ويخشاه، ويعلم أن الله يطلع عليه ويراه، فهذا سيكون له نجاة وفوز ورضا من الله يوم لقاء الله: ﴿ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ يعني نجاةً ومنجاةً وفوزاً عند الله.

حدائق الجنة

هذا ماذا سيكون له؟ ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ والحدائق كما نعرف هي البساتين، هذه البساتين التي في الجنة من الذي يزرعها؟ خدم الجنة من الملائكة المقربين، وأشجار هذه البساتين من أي مشتل يأتون بها؟ من عملك الصالح!.

فأشجار الجنة هي التسبيحات والتحميدات والتهليلات والتكبيرات والأذكار التي تذكر بها الله، فكل ذكر تذكر به مولاك يتحوَّل إلى شجرة تُزرع لك في الجنة، قال ﷺ:

{ مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ } [245]

فهذه تقاوي النخل، ماذا يقول صاحبها؟ سبحان الله العظيم وبحمده، فإذا قالها في يوم مائة مرة، فكم نخلة تُزرع له؟ مائة نخلة.

---

245 جامع الترمذي وابن حبان عن جابر رضي الله عنه

النخلة عندنا هنا يســتغرق كم ســنة إلى أن يُنتج الثمر؟ حوالي خمس ســنوات تقريباً، وكم مرة يُنتج في الســنة؟ هي مرةً واحدة، لكن أشــجار الجنة تُنتج في الوقت والحين:﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (25إبراهيم).

الملائكة تحصــد، فيرجع المحصــول مرة ثانية المحصــول في الوقت والحال، بغير تسـميد ولا رش ولا شــيء من ذلك، وسـيدنا رسـول الله ﷺ أراه الله حدائقنا في الجنة في ليلة الإســراء والمعراج لكي يطمئننا، فدخل الجنة ورأى مزارعنا التي في الجنة، ووجد الملائكة يحصدون، وكلما حصدوا يرجع كما كان، وهذا كله يتحوَّل إلى رصيد صاحبه في بنك حضرة الرحمن ﷻ!، فأنت عندما تقول (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) فكيف يكون قدر ما جنيته حتى يأتي يوم القيامة؟!! ثمارٌ طيبة من هذه النخلة المباركة، لأنهم كلما حصــدوا يرجع كما كان، فيأخذوه ويحولوه إلى رصــيد في بنك الحميد المجيد ﷻ، فقال:

{ يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟، قَالَ: هَؤُلاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ }[246]

يعني يُنفق بماله، أو يُنفق بلســانه، أو يُنفق بوقته، المهم أنه يُحوِّل وقته وكلامه وأمواله كلها لله ﷻ ...

246 تهذيب الآثار للطبري وكشف الأستار للهيثمي عن أبي هريرة ﷺ

فهذه حدائق الجنة، لأن الجنة ليس فيها محلات بذور، ولا جمعية تعاونية زراعية، فمن أين يأتي الزرع؟ من التسبيحات والتحميدات وكل الأذكار التي نذكر الله ﷻ بها في كل الأوقات.

ولذلك الأشجار التي في الجنة لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين، بصرف النظر عن ثمارها، فإنها تستمر في ذكر الله على الدوام، وهذا الذكر يتحول لصاحبها، فانظر إلى ما تأخذ من أشجار الجنة؟ تأخذ الثمار، وتأخذ الأذكار التي تواليها للعزيز الغفار ﷻ.

وأشـجار تُسـبح نـاطـقـات لمن عرف الحقيقة بالبيان

﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ الله ﷻ مِن عَليِّ كبريائه، وجلال قدرته يتنزَّل لعباده المؤمنين، فرأى أن العرب وغيرهم كانوا يحبون العنب عن الفواكه الأُخرى، فذكره لهم مع أن العنب من جملة الحدائق، لكنه ذكره وحده لأنه يعرف أنهم يحبونه، وحتى لا يسألوا: هل في الجنة عنب أم لا؟ فقال لهم: ﴿ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ ... وماذا فيها أيضاً: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ الكواعب هي البنات الحديثات السن البالغات من قريب، ولا يزال ثديها مُكوَّر، ولم يتدلى بسبب الولادة والرضاعة.

وأتراباً يعني في سنٍ واحدة، لأننا كلنا سنكون في سن الثلاث والثلاثين، ونساء الجنة كما ورد لا يحضن ولا يمرضن ولا يسقمن، وتجدهن في كل مرة بكراً: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الواقعة)

وعُرُباً يعني جميلة، تراها هذه المرة غيرها بعد لحظة، غير اللحظة التي بعدها، وهذا غير الدنيا التي قد يمل الإنسان فيها من زوجته، لكن نساء الجنة في كل لحظة لها جمالٌ جديد تُكسى به من عند الحميد المجيد تبارك وتعالى.

بين الحور العين والزوجة الصالحة

من الذي سيكون أعلى في المقام؛ الحور العين اللاتي نتخيلهن أم الزوجة الصالحة؟ الزوجة الصالحة، وإياكم أن يحزن أحد من هذا!، لأن أحد السادة العلماء كان يشرح هذه الآية، فأحد الحاضرين قال له: حرام عليك يا شيخ هي هنا وهناك!!، لأنه لا يعرف هذه الحقائق التي نقولها الآن.

فالزوجة الصالحة ستكون صورة أُخرى، وستكون بديعة الحُسن والجمال، وكل مرة تراها تجد جمالاً لا يخطر لك على بال، ولا تتخيله بخيال، فهي ستكون سيدة القصور، والحور العين خدمها وتحت أمرها.

فالزوجة الصالحة ستكون سيدة القصور هنا وهناك، لأنها كانت زوجةً صالحةً في الدنيا، فجعلها الله عز وجل في مقام: ﴿ مُسلِمَٰتٍ مُّؤمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبكَارًا ۝٥ ﴾ (5التحريم) وهذا مقام عالي أعطاه الله للصالحات من المؤمنات.

﴿ وَكَأسًا دِهَاقًا ۝٣٤ ﴾ أي مشروب كنت تتمناه في الدنيا بمجرد أن يخطر على بالك هذا المشروب، يأتيك كأس مملوء - فدهاقاً يعني مملوء - من المشروب الذي كنت تتمنى أن تشربه في حياتك الدنيا، وطبعاً يختلف بالكلية عن كل خصائص مشاريب الدنيا.

وفي كل مرة تشربه تجده بطعم آخر، ونُكهة أُخرى غير الأولى، وغير الثانية، وغير الثالثة، وغير الرابعة، وهذا من قدرة القادر سبحانه وتعالى.

مجالس أهل الجنة

هل أهل الجنة كل واحد منهم في مزرعته وحدائقه الخاصة جالس مع الحور وفقط؟! لا، بل نزور بعضنا هناك، والزيارات تتعدد، فمنا من يزور إخوانه من المؤمنين الذين كانوا معه في الدنيا، وهي مرتبة من المراتب، ويجلس معهم، ويتذكرون ما كانوا يعملونه في الدنيا، ولكن شرط حديثهم: ﴿ لَّا يَسمَعُونَ فِيهَا لَغوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ ﴾ ليس فيها لغو، ....واللغو الكلام الذي لاينفع ولا يضر.

الكلام الذي يضُر يتحرر ضد قائله محضر، ويتحول للقضاء الإلهي ليحكم فيه، يعني لو قلت كلمة في حق إنسان أو في حق إنسانة، فإن لم يسامحني سأُعرض على المحكمة، لكن اللغو كأن نتكلم في السـياسـة وغيرها، وهذا الكلام لن ينفعني ولن يضرني.

والمؤمن ليس عنده وقت يتفرغ فيه لذلك، ..... لأن الله قال للمؤمنين: ﴿ يـأيها الذين ءامنوا ﴾ لبيك اللهم لبيك: ﴿ اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ (41الأحزاب)

فمن منا يسـتطيع أن يعمل بهذه الآية؟! هل يوجد أحد يسـتطيع أن يذكر الله الذكر الكثير؟! لا !! نريد أن نذكر الله على الدوام، فأي وقت فرغت فيه أذكر الله، لماذا؟ قال ﷺ:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا } [247]

يظل يؤنب نفسـه هناك، ويقول: لماذا كنت غافلاً في هذه اللحظة؟! لماذا لم أستغل هذه اللحظات في ذكر الله والتسبيح والتحميد والتمجيد لله جل في عُلاه؟! ولكن لا ينفع الندم في ذلك اليوم.

من له في الجنة مزيد من الحميد المجيد، يقول: لماذا لم أسـتزد من ذكر الله؟! والذي قصَّر يقول: لماذا قصرت؟! وما الذي شغلني عن ذكر الله؟!.

247 معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

وذكر الله العبادة الوحيدة التي يقبلها الله منك في كل الأحوال، لا تحتاج لمسجد، ولا تحتاج اتجاه للقبلة، ولا تحتاج حتى لطهارة، أنت ماشي أو راكب أو نائم، ما الذي يمنعك عن ذكر الله وتعمل بقول الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (191آل عمران)، نفرض أنك على جنابة، فأنت ممنوع من الصلاة، وممنوع من تلاوة القرآن، لكن لست ممنوعاً من ذكر الله!، فهل يوجد عُذر للإنسان؟! حتى الجُنب قد ينتظر حتى الفجر ليغتسل ويُصلي الفجر، لكن لا تغفل عن ذكر الله، فليس هناك عُذرٌ .... في ترك ذكر الله طرفة عين ولا أقل.

فلا يوجد في الجنة لغوٌ ولا كذب ولا زور وبهتان ولا غيبة ولا نميمة ولا سب ولا شتم ولا لعن ولا أي قول يسبب أذى للآخرين، لأن أهل الجنة أهل نعيم، .... ولا يسمح الله لأحد .... أن يُكدِّر هذا النعيم.

ولذلك الصالحون يقولون: عندما نجلس في مجالس العلم، أو مجالس الذكر، أو مجالس القرآن، أو مجالس الأحباب، نتذكَّر الجنة، ونُحرِّم على أنفسنا الذي حرَّمه الله علينا في الجنة.

إذا اجتمعنا مع بعضنا لنقرأ كتاب الله، أو لنذكر الله، أو لنسمع درس علم، فهل نجلس ونقول: إن فلان كذا، وفلان كذا؟!! نكون بذلك قد ضيعنا ما عملناه، لكن مجالسنا كلها مجالس وصفها وصف الجنة: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

فنحن نتزاور مع بعضنا، منا من يكون له تزاور مع الصالحين الذين قابلهم وكذا السابقين، ومنا من يكون له تزاور مع الصحابة المباركين، ومنا من يكون له تزاور مع أمير الأنبياء والمرسلين، فيذهب ليزوره ويُسلم عليه ويُقبل يديه، ويجلس بين يديه ليتمتع بجمال الله الذي تجلى فيه.

ومنا من يكون له تزاور مع جمال الله، وكمال الله جل في عُلاه، وورد الأثار أن أقل المؤمنين يُسمح له بزيارة رب العالمين كمثل السنة مرتين لأن الجنة ليس فيها سنة ولا شهر ولا يوم، ومن المؤمنين من يُسمح لهم بالزيارة ككل شهر، وهناك من يُسمح لهم بالزيارة ككل أسبوع، وهناك من يُسمح لهم بالزيارة ككل يوم، ويؤيد تفاوت المؤمنين فى الرؤية قوله ﷺ:

{ إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ }[248]

248 جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

والزيارة كيف يأتي فيها الإذن؟ حضـرة النبي علَّمه لنا، فيجد رسـالة قادمة من ملك الملوك مكتوبٌ فيها كما ورد بالأثر: (من الحي الذي لا يموت، إلى الحي الذي لا يموت، عبدي اشتقت لرؤياك فتعالى لتزورني).

فأنت لن تموت أيضـاً، لأنك أخذت صـفة الخلود، فالجنة كلها تزاور، وفيها مجالس علم، ولكنه علم لا يجوز أن نقول منه شـيئاً هنا في الدنيا، لأن العقول لن تستسيغه، والقلوب لن تتحمله، لأنه كله علم في حضـرة الذات، وفي التجليات، وفي الكمالات التي يكمِّل الله بها أهل الولاية الحقة في الجنات بإشراف سيد السادات ﷺ.

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ كل هذا جزاء للأعمال الصـالحة التي عملها الإنسان في دنياه.

موقف من يوم القيامة

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ أخَذَنا ليوم القيامة الذي كلنا من البدء إلى الختام سنحضر فيه،

وعندما يجتمع البشـــر جميعا فيه، وســـتكون الأحوال ظاهرة وواضـــحة، كل الأعمال التي يعملها الإنســـان وفي باله له نية لا يراها أحد، ســـتظهر النوايا هناك، وتظهر حقيقة هذه الأعمال هناك، أرض القيامة سيُجهزها الله ﷻ لتسع الخلق جميعاً، ويتراصُّوا في صـفوف، الملائكة في صـفوف، وبني آدم في صـفوف، وصـفوف أمم الأنبياء والمرسـلين عددهم مائة وعشـرون صـفاً، ولكنها صـفوف لا حدَّ لها على مد البصر، ونحن بفضل الله وببركة رسول الله ﷺ بشرنا وقال لنا:

{ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا } [249]

نحن موفون ثمانين صـفاً من مائة وعشـرين صـفاً، ونحن أكملها وأتمها عند الله ﷻ، لأن هناك بعض الأنبياء صـــفُّه ليس فيه إلا رجل واحد: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (36الذاريات) وبعض الأنبياء صــفه به نفرٌ قليل، لكننا أمة رســول الله عدد صـفوفنا ثمانين صـفاً من مائة وعشـرون صـفاً جملة صـفوف الأنبياء والمرسـلين يوم القيامة.

249 مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وفي هذا اليوم كل كلام الأنبياء والمرسلين والمقربين والصالحين: يا رب سلِّم، قال ﷺ:

{ فَيُضْـرَبُ الصِّـرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُـلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ } [250]

سلِّمنا من هذا الهم الذي نراه، لأن أهوال القيامة أهوالٌ شديدة يكفي فيها قول الله: ﴿ يومًا يجعل الولدان شيبًا ﴾ (17المزمل) من شدة الأهوال الطفل الصغير سيشيب:

﴿ إذا وقعت الواقعة ۝١ ليس لوقعتها كاذبة ۝٢ خافضة رافعة ۝٣ ﴾ (الواقعة)

فالكل عندما يرى أهوال القيامة يقول: يا رب سلِّم سلِّم، والملائكة أنفسهم يقولون: يا رب سلِّم.

﴿ رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن ﴾ وذكر الرحمن لأنه سيأتي قول الله:

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (5طه) سيستوي على عرش رحمانيته تبارك وتعالى.

---

250 البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ من الذي يتكلم؟ الذي أخذ من الله إذن، يعني سيكون له شفاعة، فالله يُعطيه تصريح على يد النبي ﷺ بالشفاعة.

المأذونون بالشفاعة

ولذلك الملائكة ليس لهم شفاعة، فلا يتكلمون:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴾:

بما فيهم الروح وهو سيدنا جبريل، لن يتكلم هناك.

﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ من الذي أذن له الرحمن؟

سيدنا رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيم، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ،

فَيَأْتُونَ مُوسَـــى، فَيَقُولُ: لَسْــتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَـــى، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَـــى، فَيَقُولُ: لَسْـــتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْـتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، وَأَخِرُّ لَهُ سَــاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَـكَ، وَقُلْ يُسْـمَعْ لَكَ، وَسَـلْ تُعْطَ، وَاشْـفَعْ تُشَـفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي } [251]

يبحث الناس في أهوال الموقف، من الذي يُنقذهم من هذا المقام، يقول ﷺ:

{ إِنَّ الكَافِرَ لَيُلْجِمَهُ العَرَقُ يَومَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: أَرِحنِي، وَلَو إِلى النَّار } [252]

يتمنَّى الناس الخروج من الموقف ولو إلى جهنم، من شدة الأهوال التي هم فيها، جو شديد الحرارة، والبعض يصل عرقه إلى وسطه، والبعض إلى صدره، والبعض يغرق في عرقه، ولا توجد مياه ليشــربوا، واللســان يتدلى ولا أحد يســقيه، وكل هذه الأمور للآخرين، لكن نحن أمة رسول الله ليس لنا شأنٌ بهذه الأمور كلها، ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

251 البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
252 صحيح ابن حبان ومسند أبي يعلي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فعندما يخرج الواحد منا من قبره يجد من يأتيه بكأس من حوض كوثر رسول الله ويقول له: اشرب، فيشرب ولا يظمأ بعده أبداً، منهم من تُسقيه الملائكة، ومنهم من يأتي له بالكأس بعض الصالحين، ومنهم من يأتي له بالكأس بعض الصحابة المباركين، ومنهم من لا يشرب إلا من يد سيد الأولين والآخرين، وهذا للذين يدعون الله ويقولون: (واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً) فيمكثون خمسين ألف سنة أو غيرها بلا عطش.

ومنهم من يجلس تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، جالسين في المقصورة الإلهية يشاهدون أهل الموقف، ومنهم من يخرجون من القبور إلى القصور، ويجلس في شرفات قصره يشاهد: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (المطففين).

فيذهب الناس من شدة أهوال الموقف لأبو البشر آدم، فيقول: أنا أذنبتُ ذنباً خرجت به من الجنة، وأستحي أن أتكلم مع الله بسبب هذا الذنب، ويقول لهم: اذهبوا إلى نوح، فيذهبون لنوح[253]، فيقول لهم: أنا لا أستطيع أن أتكلم مع الله بعد أن دعوت على قومي كلهم وقلت: يا رب خذهم كلهم

253 المعانى من حديث الشفاعة الطويل والذى رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ولا داعى لذكره لشهرته.

وكذلك ذريتهم القادمة: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) ﴾ (نوح) ما شأنك بمن يخرج من أصلابهم؟! ادعو على الموجودين، أما ذريتهم القادمة لا شأن لك بهم، لكن انظر إلى الذكي والفطن سيد الأولين والآخرين ﷺ، قيل له: ... ادعُ عليهم يا رسول الله، فقال:

{ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا }[254]

وقد حدث، وهذا الفارق بين هذا وهذا، فيقول لهم نوح: اذهبوا إلى إبراهيم، فيذهبون إلى سيدنا إبراهيم، ويقولون له: اشفع لنا لنخرج من أرض القيامة، فيقول سيدنا إبراهيم: لستُ لها، اذهبوا إلى موسى، وموسى يقول: لست لها اذهبوا إلى عيسى، وسيدنا عيسى يقول: اذهبوا إلى محمد، فيذهبون إليه، فيقول:

{ أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا }[255]

---

254 البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
255 البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

أحمد الله تعالى بمحامد يُلهمنيها في تلك الساعة، يعني لا أستطيع أن أقولها الآن، لأنكم لن تعقلوها، ولا تستطيعوا أن تستوعبوها، لأنها بحسب المقام، فهو الذي أذن له في الكلام أولاً، فيقول له الله:

{ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ } [256]

ما تريده كله افعله، فيختار سـيدنا رسـول الله ﷺ الأخيار والأطهار والأبرار ويوزع عليهم الشفاعات ليكون لهم قدرٌ ومقدارٌ عند الواحد القهار ﷻ.

فمنهم من يشفع في عشرة، ومنهم من يشفع في مائة، ومنهم من يشفع في عائلة، ومنهم من يشفع في أمة كاملة.

رجل من الصالحين قال: يا رب شفِّعني في أهل زماني، فقال الله تبارك وتعالى له: إنَّ عملك لم يصـل إلى ذلك، فقال: يا رب لو كان الأمر أمر عملي فإن عملي لن يُدخلني الجنة، ولكني أطمع في فضلك، فبحُسن جوابه لحضرة الله أذن الله له أن يشفع في أهل زمانه!!، فهؤلاء الشفعاء الذين يأذن لهم الرحمن:

﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

256 البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

الذي يصل إلى هذه المكانة لن يكون عنده هوى ولا محاباة، فلا يطلب أن يشفع في ابنه، مع أن ابنه عاقٌ لحضرة الله، وإلا لا يصلح للشفاعة، أو يشفع في فلان صاحبه مع أن صاحبه هذا من الغافلين، لكن هناك عدالة مطلقة، وهم لم يأخذوا هذه الشفاعة إلا بعد وصولهم لهذا المقام: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (101المؤمنون) لا يوجد إلا نسب واحد وهو نسب التقوى، ونسب الإسلام والإيمان، والإنتساب إلى النبي العدنان ﷺ.

اليوم الحق

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ﴾ وهذا اليوم الذي يجب أن نُجهز أنفسنا له، ونعد أنفسنا له، بيننا وبين هذا اليوم كم سَنة؟ قد يكون بيننا وبينه سِنَة، لذلك يجب أن يكون كل واحد منا جاهز ليسافر في أي لحظة، وعندما يسافر ليس أمامه إلا القيامة، فإلى متى ننتظر؟ هل تنتظر حتى تقول: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون) والإجابة نحفظها: ﴿ كَلَّآ ﴾ (100المؤمنون) فأنت كنت موجود في الدنيا ولم تعمل.

لذلك فالمؤمن دائماً وأبداً جاهز للقاء الله، ومجهّز حقيبته، ويملأها بخير زاد: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (197البقرة) فإذا جاءت تأشيرة السفر يكون جاهزاً.

أصحاب رسول الله:

كان بعضـــهم عندما يأتيه الموت يرى ملك الموت الذي يأتيه، فيقول له: مرحباً بك، حبيب جئت على فاقة، يعني أنا منتظرك من زمن فلِمَ تأخرت عني!، لأنه جاهز للقاء الله ... فالمؤمن لا بد أن يكون باســتمرار جاهز لهذا اليوم، وإياكم أن يقول أحدٌ في شــبابه: أنا لا زلتُ صــغيراً، فالموت ليس فيه صــغير أو كبير!، فأحياناً يأخذ الصغير ويترك الكبير، وأحياناً يترك السقيم والمريض ويأخذ السليم.

لذلك لا بد أن أكون على الدوام جاهزاً للقاء الله، وكيف أكون جاهزاً للقاء الله؟ أن أقوم بما أمرني به الله، فلا أرتكب مظالم في حق خلق الله، لأن هذه هي المصــيبة العُظمى يوم القيامة، ولا أغفل لحظة عن ذكر الله تبارك وتعالى.

جاهزية المؤمن للقاء الله

﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ يجهّز نفسه للرجوع من الآن، فنحن سنسافر إلى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ (8العلق) ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ (42النجم)

كلنا ســنســافر هذه الســفرية، لذلك لا بد أن أكون جاهزاً لهذا الرجوع، وأُفرِّح نفســي، وأفرح بفضــل ربي، وأفرح بلقاء نبي وصــحبه المباركين، ومن بعده من الصالحين، رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

أهم وصــية في هذا الميدان كما قلت: إياك أن تبيت ظالماً لأحد من المســلمين، فكما ورد في الأثر أن الله يوم القيامة يقول: (يا عبادي لقد اســتمعتُ إليكم كثيراً، فاســتمعوا إليَّ اليوم، أما ما كان بيني وبينكم فقد غفرته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم ثم ادخلوا الجنة برحمتي).

فيأتي الرجل بعد أن أنهى الحساب والملائكة يزفونه إلى الجنة، وقبل باب الجنة ينادي مناد الله: من كانت له مظلمة عند فلان فليخرج، فيخرج كثير، منهم من يقول: اغتابني، ومنهم من يقول: ســرقني، ومنهم من يقول: ظلمني في الميراث، وكل واحد يأتي بذنبه، والنيابة الإلهية تبلغهم هذه الأخبار بالكلية، فيقول رب العزة: وعزتي وجلالي لا تدخل الجنة حتى تُرضي خصماءك.

اجلس معهم وأحضر محاضر صُلح: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ (46الأعراف)

فمن الجائز أن من ظلمني هذا قد لا أعرف اســمه وعائلته، ولكن عندما أراهم أعرفهم بسـيماهم، فيجلس معه ويقول له: يا فلان سـامحني، ولا أحد يسـلم بسـهولة، فيقول لـه: كم تدفع؟ فيقول: وماذا أدفع؟ فيقول لـه: حســـنات مما عندك، فهذا يـأخذ حسنات، وهذا يأخذ حسنات، فإذا أعلنت الإفلاس ولم يعد عندك رصيد من الحسنات، ولا تزال هناك مظالم، فيقول: يا فلان سامحني فلم يعد معي حسنات، فيقول له: احمل عني من ذنوبي!.

وهذه هي المصــيبة الكُبرى التي كثير من المســلمين في هذا الزمان لا ينتبهون لها، ويقعون فيها، ويقول عن الذي ظلمه: (يضـــرب دماغه في الحيطة) أو (أعلى ما في خيله يركبه) كما يقولون، ونســـي أنه ســـيأتي يومٌ: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (49الكهف) والذي ظلمته آلى رب العزة على نفســـه أن يقتصَّ للمظلوم من الظالم ..

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ:

{ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: وَلَكِنْ رَبُّكَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [257]

257 مسند أحمد وأبي داود الطيالسي عن أبي ذر ﷺ

وفي رواية أخرى:

{ لَيَقُصَّنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِهَذِهِ الْجَلْحَاءِ مِنْ هَذِهِ ذَاتِ الْقَرْنِ } [258]

هذا الذي ينبغي على المسـلم أن ينتبه له جيداً، فإذا أردت أن تكون جاهزاً على الدوام للقاء الله فتنام على الأرض أو على السرير وليس عليك مظالم لخلق الله.

وقد تكون المظلمة لمن تنام بجوارك!! وهي مسكينة وصامتة، ولكن الله سيأخذ لها بحقها هناك.

وقد تكون المظلمة لأحد من الجيران، أو لأحد من الزملاء، المهم أن تبيت وليس عليك حقٌ من حقوق العباد، لماذا؟ لأن رب العزة آلى على نفسـه أن لا يغفر حقوق العباد إلا بعد رضـائهم وسـماحهم، والعاقل الذي يخرج من الدنيا وليس عليه مظلمة لأحد أبداً.

وإذا تكلمت في حق إنسان، حتى ولو كان غير حاضر ولا ناظر، فهي قضية، وستُحاسب عليها يوم القيامة، أنك تكلمت في حق فلان بكذا وكذا.

---

258 الفوائد لأبي بكر الشافعي عن أبي ذر ﷺ

لذلك أنا دائماً: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (41الأحزاب) أشـــغل لســـاني بذكر الله على الدوام، وأتكلم كالصـحابة المباركين، سـيدنا عمر ﷺ يقول: (كنا ننتقي أطايب الكلام، كما تنتقون أطايب الطعام).

قبل أن ينطق بالعبارة يُفكِّر، ماذا أقول لفلان؟ إذا كانت هذه الكلمة ســتؤذيه، فلا أنطق بها، أو هذه الكلمة ستجرح مشاعره، فلا أنطق بها، وأختار الكلمة التي تُرضيه، وتُرضي خالقه وباريه ﷻ، قال ﷺ:

{ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }[259]

فيجب على كل واحد منا أن يكون جاهزاً دائماً وأبداً للقاء الله، وخاصــــة عقبة الظُّلم لعباد الله، فلا تضع رقبتك في يد غيرك، وتظل ترجوه، ولن يسامحك إلا إذا أخذ من حسناتك.

إذا كان الذي يقول كلاماً مخالفاً لكلام الله فإن الله قال: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ (23الإسراء) أصبحت (أُفٍّ) الآن عادية،

259 شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب

ولكن الآن أصبحت (تنهرهما) هي السائدة!!، وأُفٍ ليست كلمة ولكنها حركة تُظهر أنك غضبان، فنهانا الله أن نذكرها للأب أو الأُم مهما كانت الضغوط، ومهما كانت الظروف: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (23الإسراء).

إياك أن تقول للأب أو للأم كلمة تُغيِّر الخاطر، فهناك أُناسٌ في الوجود إذا تغير خاطرهم نحوك ربما تتعرض لسخط الله وغضب الله، بدون أن يتكلموا وهم الأب والأُم والشيخ في طريق الله ﷻ.

ولذلك كان المريدين الصادقين في الأزمان الماضية عندما يرى الشيخ يقول له أهم شيء عندي أن لا تُغير خاطرك نحوي، لأنه لو تغير خاطره فإن الله ﷻ يُغَيِّر لأجله؛ غِيرة عليه لأحبابه وأوليائه ﷻ.

وكذلك الأب، وكذلك الأُم، لا أحد أبداً منا سيكون في عبادة الرجل الذي وصفه سيدنا رسول الله ﷺ في بني إسرائيل وهو جُريج العابد، فقد قال ﷺ:

{ كَانَ جُرَيْجٌ رَجُلا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ،

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا} [260]

نال البراءة، ولكن المهم أنه رأى وجوه المومسات، واستجاب الله لدعوة أُمه!.

ولذلك حضرة النبي عندما نادى على رجل كان يُصلي، فلم يُجبه، وبعد أن صلَّى قال له ﷺ:

260 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ }[261]

يعني أنا أُصلي نافلة في البيت، وأُمي نادت عليَّ ولم تتنبه أنني في الصلاة، فأهم شيء أن لا أُغيِّر خاطرها، فإذا أحسستُ أنها ستتغير أُسلِّم وانظر ماذا تريد، فطاعة الأُم فرض وهذه الصلاة سُنَّة.

نفس الأمر مع الصالحين، لأن هذه الأُبوة الراشدة التي هيأها الله لنا لإصلاح أحوالنا في الدنيا، وإسعادنا يوم الدين، فلا بد أن نمشي على هذا المنوال.

فمظالم العباد يجعل الإنسان بينه وبينها بُعد المشرقين، ومظالم العباد يكون سببها في معظم الأحوال لُعاعة فانية من الدنيا، الذي يُريد أن يأخذ قطعة الأرض الخصبة ويترك القطعة البور لأخيه، أو يريد أن يأخذ بيتاً على الناصية وعلى الواجهة، ويترك البيت الذي في الحارة لأخيه، وهكذا!!.

مع أن الرضا في هذه الأحوال أحسن من أموال الدنيا كلها من أولها إلى آخرها، ولم نرَ في المجتمع إنساناً أرضى من حوله وتنازل عن حقه، إلا وأغناه الله وأحوجهم إليه، وانظروا في المجتمع تجدوه هكذا على الدوام وهي سُنَّة الله، ولا يعبس في وجوههم، فيعطيهم ما يريدون لأنه رأى عز العزيز ﷻ.

261 صحيح البخاري وسنن أبي داود

الاستعداد للقاء الله

فالإنسان دائما جاهز للقاء حضرة الرحمن تبارك وتعالى، متى لقاء الرحمن؟

﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ أقرب إليك من أي شـيء، فأقرب شـيء إلى الإنسـان الموت، فهي شـهقة ويخرج من الحياة الدنيا، فهل يأتيك انذار قبلها؟! أو يأتيك تلغراف لتستعد لها؟! أبداً، فربما يخرج النَفَس ولا يعود، أو يدخل النَفَس ولا يخرج، لكن دائماً كما قال ﷺ لصحبه الصادقين المباركين:

{ إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرُ الصَّبَّاحَ } [262] وقال: { كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى } [263]

إياك أن تؤجل شيء لغد بدون داع، وأنا لا أعرف متى ألقى الله؟! فمثلاً لا يصح أن أكون راجع من العمل ومُتعب، وحان الظهر، فأقول سـأنام أولاً وعندما أسـتيقظ أُصلي الظهر قبل العصر، ومن أين تضمن أنك تبقى وتقوم وتُصلي الظهر؟!!

فهذا أمل لا ينبغي لتقيٍ أن يقف عنده، أو يحسـب له حسـاباً، لكن أنا أحسـب حساب أنني جاهز دائماً للقاء الله .

---

262 صحيح البخاري وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما
263 مسند أحمد والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

أنا في الحقيقة لا أُحب أن أُركز على الإشراقات في آيات رب العالمين، وخاصة في المساجد، لأن بعض الواقفين عند الحدود الظاهرة لا يستطيعون أن يستوعبوا هذه الأمور، وتذهب عقولهم في نواحي أُخرى.

لكن العارفون قالوا في قول الله: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ أشـدُّ عذاب يُنزله الله ﷻ بالعبد الســالك إذا كان من أهل المعاينة هو عذاب الحجاب، بعد أن يُعاين الأنوار يُحجب عن رؤية الأنوار، وهذا عذابٌ شديد؛ أشد من عذاب جهنَّم.

أو عذاب الصــدِّ والإبعاد، فكلما أراد أن يفتح كتاب الله يجد صــدوداً في نفســه، وكلما اسيقظ بالليل ليُصلي في جُنح الظلام والناس نيام، يجد في قلبه وفي نفسه صدود عن هذا العمل، وهذا عذاب بالنسبة للمقربين، وبالنسبة للسالكين، وبالنسبة للصادقين.

أما الذين يتمتعون بأنوار سيد الأولين والآخرين فأشد عذاب لهم أن يُحجبوا عن هذه الرؤيا ولو طرفة عين، فالرجل يقول: (بقى لي أربعين عاماً لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددتُ نفسي من المؤمنين!!)، وهذا حسابٌ دقيق للإنسان:

﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (14القيامة).

﴿ إِنَّا أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ حتى عذاب الآخرة أيضـاً قريب، بمجرد الإنســان أن يخرج من الدنيا، متى تقوم القيامة؟ حضرة النبي ﷺ قال:

{ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ } [264]

عندما تموت قد قامت قيامتك، فجهّز نفســك للقاء الله، وما أعده الله ﷻ لعباد الله الصالحين، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

في هذا اليوم: ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ســيرى ما عمله، ولا يوجد واحد منا وهو خارج من الدنيا - إذا كان من الأتقياء الأنقياء - إلا ويعرضــون عليه فيلمه كله من البداية إلى النهاية، فيرى نفســه وهو يُصــلي، ويرى نفســه وهو يقرأ القرآن، ويرى نفسه وهو في مجالس العلم، وهذا العرض بالنسبة لنا، وهو بيننا وبين الله، لأن الله يُحبنا.

أمـا الآخرين فيكون العرض على شــاشـــة الموقف العظيم، والخلائق كلهم ناظرين، أرأيتم الفضيحة؟!! يرون كل شيء، ولذلك يسمون هذا اليوم لهم يوم الخزي.

264 رواه ابن أبي الدنيا، وأورده الشوكاني في فوائده

ولكننا أكرمنا الله ببركة رسول الله من هذا العرض الأعظم يوم القيامة، لأن الله قال لحضرة النبي وأشركنا معه، مع أننا فقراء في العمل، وفقراء في الإقبال على الله، وفقراء في ذكر الله: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ (8التحريم) نحن معه، فعند خروجك من الدنيا ترى كل شيء لتطمئن وتفرح:

{ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءهُ } [265]

والآخر سيرى عرضه يوم القيامة أمام الجميع، ومعها الفضيحة والعياذ بالله:

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾.

أمنيات الكافر يوم القيامة

والكافر عندما يرى فيلمه هناك: ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ :

يعني يقول: يا ليتني كنت تراباً من الأصل ولم يخلقني الله، وهذا تفسير، وهناك تفسير آخر يقول أن الله سيُحيي البهائم يوم القيامة، ليأخذ لكل بهيمة حقها، فقد قال ﷺ:

265 البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت ﷺ

{ يَقضِي الله بَينَ خَلقِه، الجِن والإنس والبَهَائِم، وإِنَّه ليُقَيدُ يَومَئِذٍ الجمَّاء مِنَ القَرنَاء، حَتَّى إِذَا لَم يَبقَ تَبعَة عِندَ واحِدةٍ لأُخرَى قَالَ الله: كُونُوا تُراباً،فَعندَ ذَلِكَ يَقُولُ الكَافِرُ: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ } [266]

بعد أن يُنهي الحقوق بينهم يقول لهم: كونوا تراباً، لأنهم ليس لهم جنة ولا نار، ولا يدخل الجنة منهم غير أشـــياء معينة، وهي التي كُرِّمت مع بني الإنســـان، ككبش سيدنا إسماعيل، وناقة سيدنا صالح، وكلب أهل الكهف، هذه الأشياء مسَّت بشر، وأخذت السعادة بملامستها لهؤلاء البشر السعداء، وهي أشياء معدودة.

ولكن الباقي يقول لهم: كونوا ترابا، فالكافر عندما يرى ذلك يقول: ليتني كنت مثلهم، يعني - معذرةً في العبارة – يتمنى أن يكون كالبهيمة، لكي يكون مثلهم ولا يكون عليه حساب، لأنه عاش في الدنيا عيشة الجُهلاء، ويُحاسب يوم القيام حساب العقلاء، فيقول: ليتني كنت تراباً.

السيدة مريم عندما اتهموها في سيدنا عيسى، وقالوا لها: ابن من هذا؟ ومن أين أتيت به؟ فقالت: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾ (23مريم) لم أكن شيئاً نهائياً، لماذا؟ للجريمة التي سيتهمونها بها، مع أنها بريئة، وتعلم أنها بريئة.

266 جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

الصـــادقين الذين يدخلون على مقامات الفناء، ليبقيهم الله في الحياة الأبدية في جوار خير البرية أيضـــاً يحدث لهم مثل هذه الأحوال، فســيدنا عمر مع كل ما عمله، كان يقول: **(يا ليتني كنت كبشاً ذبحني أهلي وأكلوني)** [267]حتى لا يكون عليَّ حساب ولا سؤال ولا شيء من ذلك.

إذاً في هذا اليوم سيتمنى كل البعيدين عن سيد الأولين والآخرين وأصرُّوا على أنفسهم أنهم يُحاسبون حساب الحيوانات ويقول لهم رب العزة: كونوا تراباً.

أهل العزة يوم القيامة

لكننا والحمد لله، ببركة رسول الله لنا الشرف في الدنيا، ولنا العزة يوم لقاء الله، ولنا البهجة بتواجدنا حول رســول الله، تخيَّل أنك تكون حوله، فكيف يكون شــكلك؟! وما مقدار فرحك؟!. تخيَّل أنهم يأتونك بمنبر من نور قدام عرش الرحمن ويقولون لك: تعالى هنا، ونورك يُضيء لأهل الموقف! هل بشيء عملناه؟!

267 المواعظ العصفورية لمحمد بن أبى بكر عصفورى، وفيه حديث أنس بن مالك ﷺ لما نزل قول الله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ (43الحجر)، فوصفها لهم رسول الله ﷺ فبكوا وقال : ((فسمع عمر ﷺ قال : يا ليتني كنت كبشاً لأهلي فذبحوني وأكلوا لحمي وفرّقوا أعضائي ومزقوا عظامي ولم أسمع بذكر جهنم، فأقبل أبو بكر الصديق ﷺ وهو يقول: يا ليتني كنت طائراً في المفاوز آكل الثمار وأشرب من الأنهار وآوي الأغصان من الأشجار،وليس على حساب ولا عذاب، ولم أسمع بذكر جهنم، ثم خرج علي كرم الله وجهه وهو يقول : يا ليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت صبياً ويا ليتني كنت حشيشاً أكلتني البهائم ويا ليت السباع مزقت لحمي ولم أسمع بذكر جهنم، ثم خرج سلمان ﷺ تحو بقيع الغرقد وهو واضع يده على رأسه وهو ينادي بأعلى صوته: وا بعد سفراه، وا قلة زاداه في سفر القيامة)، وفيها روايات أخرى.

أبداً، قال سيدنا رسول الله:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ }[268]

وفي رواية أخرى:

{ يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ ﷻ، يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ قُدَّامَ الرَّحْمَنِ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلا يَفْزَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلا يَخَافُونَ }[269]

كل ما فعلوه أنهم توادُّوا بروح الله، يعني مودة في الله ولله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها فيما بينهم، ولكن خالصة لله.

ماذا يكون شكلهم؟

إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور قدام عرش الرحمن، وليس تحت ظل العرش، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس وهم الآمنون ...

268 سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ
269 الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي مالك الأشعري ﷺ

الذي يريد أن يكون من أهل هذا المقام، يحرص في علاقته مع الأحباب أن تكون خالصة لوجه الله، لا تكون لعلة ظاهرة أو خفية، ولا لرغبة دنيوية، ولا لشهوة ظاهرة جلية أو خفية، وإنما لوجه الله ﷻ.

هل يعني ذلك أن لا نتزوج من بعض، أو نتاجر مع بعض؟! لا !!

بل كل هذا وارد، لكن بشرط أن هذه الأمور لا تفسد للود قضية !! لأننا تآخينا أولاً لله، بعد ذلك لوقلت لأخ لي: يا فلان أنا أُريد أن أتزوج ابنتك، فسألها: وقالت لا، فيجب أن لا يتغير شيء فيما بيننا، فلا أتجنبه، ولا أغضب، ولا أصنع قطيعة بيني وبين أخي!

لأننا تآخينا لله، أما الذي يتجنَّب أخاه، فليس له شأنُ بهذا الطريق.

نشترك مع بعضنا في عمل فلا مانع، ولكن بالشروط الإلهية:

﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ (282البقرة)

فنكتب عقد شراكة على الشريعة الإسلامية، ونكتبه ونسجله ونأتي بشهود عليه كما قال الله، ونكون كما قال الله في الحديث القدسي:

{ أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ،فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا } [270]

يد الله مع الشريكين ما لم يخُن أحدهما الآخر، متى تتخلَّى رعاية الله عنهما؟

إذا خان أحدهم الآخر، أخذ مال ووضـــعه في جيبه، أو عمل صـــفقة بدون علم أخيه باسم الشركة ولم يُعرِّفه.

لكننا غير ذلك، فالمعاملات التي بيننا ليس فيها شـيء أبداً إذا مشـت على شـرع الله، ولا يكون هناك طمع في أخ له في الله، لأن أُخوّتنا رابطة إيمانية ليسـت في الدنيا فقط، ولكن في الدنيا والآخرة والدار الجنانية إن شاء الله رب العالمين.

تـوادوا بـروح الله فـي الله وابـذلـوا لإخـوانـكـم بشـــر اللـقـا وتـعـانـقـوا

فعندما تسمع الحبيب وهو يقول:

{ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى أَخِيهِ عَلَى شَوْقٍ؛ خَيْرٌ مِنَ اعْتِكَافِ سَنَةٍ فِي مَسْجِدِي هذَا } [271]

فإذا حدث بينك وبين أخيك خلاف وجاءك ومدَّ يده ليُسـلم عليك، فهل تقول له: لا؟!! أنت بذلك تباعد نفسك بُعد المشرقين عن هذه المكانة العلية؛ مكانة الأصحاب، الذين طلب النبي ﷺ من الله أن يكونوا معه في:

---

270 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ
271 الجامع الكبير للسيوطي عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (29الفتح).

مهما حدث بيني وبين أخي، وقال لي: السلام عليكم، فهل لا أرد السلام؟!!

مهما حدث وبين أي مسلم وقال لي: السلام عليكم، فهل هناك عُذرٌ لأي مسلم أن لا يرد السلام؟!! لا.

إنسان عاداني، وعمل فيَّ كذا وكذا وشكاني، وقال لي: السلام عليكم، فهل لي عُذر في شرع الله أن لا أرد عليه السلام؟!! لا.

فنحن أولى بهذا الكلام!!

وقد أمرنا الإمام أبوالعزائم أننا كلما تقابلنا نعانق بعضنا، لماذا؟ لأنك كلما سلمتَ على أخ لك وتبسمت في وجهه وبشوق فقد أخذت أجراً أكثر من الإعتكاف سنة في مسجد رسول الله ﷺ.

فعندما تسلم على الكثير منهم فماذا يكون أجرك؟!! وليس في ذلك تعب ولا مشقة، وكل ما في الأمر بشرى اللقاء، قال ﷺ:

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ } [272]

هل تستكثر الصدقة على نفسك؟!

272 جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه

فنحن في حاجة إلى أن نحافظ على أصل الأصول وهي المودة في الله، والمودة لله، وإذا حدث تحامل أو غيره فيكون على حسب شرع الله، ولا يفسد للود قضية، وهذا الأمر الذي أُوصي به نفسي وأحبابي أجمعين.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذا المقام، وأن يحشرنا أجمعين على الأرائك ينظرون، تعرف في وجوههم نضرة النعيم، ويجعلنا أجمعين على منابر من النور قدام عرش الرحمن، ونشكر الله ﷻ على هذه الأُخوة الصادقة

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28) ﴾ (المطففين)

16.الرحيق المختوم [273]

بِسْــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله المتفضــل علينا وعلى عباده المقربين، بما تعجز عنه العقول، ويعجز عن الإفصـــاح عنه الفحول، ســبحانه ســبحانه، خصَّــنا بألطافه، ووالانا بإســعافه، وواجهنا بكل خير وكل وُدٍ وكل إكرام على الدوام، من بدء الدنيا إلى يوم الزحام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد فاتح أبواب الهداية الربانية، وسر هذه العناية القدسية، والسبب في كل خير أتانا من رب البرية، صلاةً نرجوا بها أن ننجوا بشفاعته غداً من الأهوال الحشرية، وأن نُحشر في جواره في الدار الجنانية أجمعين ... آمين آمين يا رب العالمين.

لحظة تفكر

لا بد للمؤمن من وقفات في حياته، ينظر فيها إلى فضل الله تبارك وتعالى عليه، ليخرج من اليأس، ويخرج من الإحباط، ويعلم علم اليقين أن عناية الله تحيط به من كل الجهات، وما يحدث إنما لحِكَمٍ إلهية قد لا تدركها عقولنا القاصـرة البشـرية، ولكن الله شرحها ووضَّحها في الآيات القرآنية.

فنريد أن نعرف فضـــل الله علينا في البدء وفي الختام، فمَن منَّا اختار لنفســـه الإســلام ديناً؟! ومن منَّا وضــع لنفســه نور الإيمان في قلبه؟! ومن منَّا وضــع جهاز الاستجابة الرباني في صدره؟! عندما يسمع نداء الله أو كتاب الله يجد الاستجابة فورياً من كل أعضائه تلبيةً لله تبارك وتعالى.

273 الأقصر – إسنا – مسجد الخن 29 من جمادي الأولى 1440هـ 2019/2/4م

فذكرنا الله بهذه الأمور وقال لنا: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾

(7الحجرات) هو الذي حبَّب إلينا الإيمان، وكم دفعنا فيه؟! لا شـــيء، فالذي معه الدنيا كلها، هل يستطيع أن يدفع كل ما معه لينال الأمان يوم لقاء حضرة الرحمن؟!! أبداً، فما هذا؟ عناية من الله لنا جماعة المؤمنين.

فهو الذي حبب إلينا الإيمان، وهو الذي زيَّن في قلوبنا الإيمان، بل أعظم من ذلك هو الذي كتب بنوره الإلهي في قلوبنا نور الإيمان: ﴿ أُولَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ (22المجادلة).

من الذي كتب الإيمان في قلوبنا؟ الله، ولماذا فعل هذا لنا؟ لأنه يُحبنا، ونحن المطلوبونَ لحضرته، ونحن المعنيون برسالات الأنبياء، ونحن الذين اختارهم للخلافة عن حضرته في الأرض، لأننا مجمَّلين بأسماء الله وصفاته ﷻ.

هذه الأمور وضـــعها الله في كتاب، أين هذا الكتاب: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ ﴾

كتب هذه الأمور كلها لنا في كتاب، والكتاب مرقوم وواضـــح، وأين عليين؟ اختلف فيها أهل التأويل فقيل في السماء السابعة، وقيل عليين هي قائمة العرش.

من الذي يقرأ هذا الكتاب ومن الذي يراه؟ لا يوجد غير صِـــنف من الملائكة اسمهم الملائكة المقربون، أو البشر الذين ستصفوا قلوبهم وتزكوا نفوسهم، ويرفع الله قدرهم ومقامهم، ويزيدون قرباً من حضـــرتـه حتى يكونوا فوق المقربين أو مع المقربين.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝ ﴾ مكتوبٌ بخط واضـــحٍ، مع أنه بمداد القدرة الإلهية، ولكن لا يستطيع أحد أن يقرأه إلا إذا كان معه نور البصيرة التي تستمد من نور الله، ولذلك لم يقُل يقرأه المقربون، ولكن: ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾.

سابقة الحسنى

ولذلك رأى رجلٌ من الصـــالحين رجلاً بدا عليه اليأس والإحباط ككثير من أهل هذا الزمان، يُهيأ لنا أن رضـــا الله في كثرة المال، وكثرة الخيرات، لكن لو كان ذلك هو علامة الرضـا لما أخذها الكافرون، فمن أغنى الناس في الدنيا؟ اليهود والكافرين، إذاً فهل هذه علامة الرضا؟!! لا، بل هي فتنة.

سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، لما أتاه الله الملك، والخزائن، والمال، وصرَّف له الجن والريح وعلَّمه منطق الطير، فماذا قال؟ قال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (40النمل)! ويبلوني يعني يختبرني ويمتحنني.

والله قال لنا في القرآن: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (15التغابن).

فقال له: انظر إلى فضل الله تبارك وتعالى عليك، فقد قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ؛ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ } [274]

ويمين الله ليست كيميننا، فنزِّه اسم الله عن الشريك والمثيل والنظير، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، والله تبارك وتعالى من وراء ذلك، ولكنه تقريبٌ للحقيقة لنفهم ونستوعب.

---

274 مسند البزار والطبراني عن أبي موسى ﷺ

ثم قال له: أين كنت؟ قال: في القبضــة التي على اليمين، قال: فعليك أن تحمد الله ﷻ على ما أتاك من الإيمان والتُّقى، وهذا أكبر رزق يســـوقه الله ﷻ للخلق جل في عُلاه.

ورد في كتب السير أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما صعد إلى السماء الدنيا في ليلة الإســراء والمعراج فإذا رجل تام الخلقة عن يمينه أسـودة (أرواح), وعن يســاره أسودة، فاذا نظر إلى التي عن يمينه تبسم, وقال: روح طيبة اجعلوها في عليين، فيفتح باب ويخرج منه ريح طيبة, فتدخل فيه, وإذا نظر إلى التي على يســـاره حزن وقطّب جبينه وقال: روح خبيثة اجعلوها في ســـجيّن, فيفتح باب ويخرج منه ريح خبيثة, فتدخل فيه، فسأل رسول الله ﷺ سيدنا جبريل عن هذا الشخص التام الخلق وعن هذه الأسودة, وعن هذين البابين فقال جبريل عليه السلام:

أما الشخص التام الخلقة فهو أبوك آدم، وأما هذه الأسودة عن يمينه وعن يساره فهي أرواح بنيه؛ أهل يمينه هم أهل الجنة, وأهل شـــماله هم أهل النار, فاذا نظر الى أهل الجنة تبســـم واذا نظر الى أهل النار حزن وابتأس، وأما البابان فالباب الذي إلى اليمين باب الجنة, والباب الذي إلى اليسار باب جهنّم.

من الذي اختار للإنسان فينا نحن معشر أهل الإيمان ذلك؟ الله ﷻ، ولذلك يُذكِّرنا الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ (101الأنبياء) عناية ورعاية من الله، ليست بمهارة منا، هل يوجد أحد فينا لو تخلى عنه توفيق مولاه يستطيع أن يثبت على الإيمان ويحافظ عليه حتى يلقى الله؟!! أبداً، وماذا نحتاج؟ هو: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (27إبراهيم).

ولمَّا تكلم في سورة هود قال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ ﴾ (108هود) يعني ليس عملهم الذي يُسعدهم، فعملنا كله لو وزنه بميزان الإخلاص فماذا يكون فيه؟!! لا شيء، لكن رب العزة ﷻ أكرمنا جماعة المؤمنين بهذا الفضل الكريم؛ أن جعلنا مؤمنين، وكتب في قلوبنا الإيمان، وأنطق ألسنتنا بالإسلام، وهيأ أركاننا لطاعة الرحمن.

ولذلك علَّمنا رسول الله أن نقول في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (5الفاتحة) من منا يستطيع أن يعبد الله بغير معونة الله وتوفيق الله جل في عُلاه؟!! فلولا معونة الله ما استطعنا طاعة الله، ولو تخلَّت عناية الله عنا ما استطعنا منع أنفسنا من عصيان الله!.

فتوفيق الله لنا جماعة المؤمنين هذا فضل الله ﷻ علينا أجمعين.

فضل الله على المؤمنين

أكمل هذا الفضـــل جل وعلا، فالأعمال التي نعملها مع أنها بتوفيق الله، ومعنا كراماً كاتبين، وســـمَّاهم: كراماً لأنهم لا يلتمســـون لنا الأوزار ليضـــعونا في دواهي الأقدار، لكن عندهم رحمة تامة بنا جماعة المؤمنين، فبمجرد أن يعمل الإنســـان عمل الخير يقولون لبعضهم: سجلوا قبل أن يرجع في عمله، لأنهم يريدون لك الخير.

وإذا وقع الإنســـان في إثمٍ أو وزرٍ أو ذنب، ينتظرون لعله يرجع أو يتوب أو يســـتغفر، ولذلك ســـمَّاهم كراماً كاتبين، وعندما تقرأ الآية تعجب: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢ ﴾ (الانفطار) لم يقُل يكتبون، لأنهم يعرفون ماذا تفعلون، فمعهم خط سير من ملك الملوك سبحانه وتعالى، قرأوه من اللوح المحفوظ الذي في عليين، والذي فيه أحوال وأعمال المقربين، كما جاء بالحديث الشريف، .. قال ﷺ:

{ إنّ الملائكة يَرفعُونَ عَمَلَ العبد من عباد اللهِ فَيُكثرُونَهُ وَيُزَكُونَهُ حَتَّى ينتَهُوا به حَيْث شـــاء الله من ســـلطـانـه فيوحي إليهم: إنكم حَفَظـةٌ عَلَى عَمَـل عَبـدِي، وَأنا رقيبٌ على ما في نفسه؛ إنّ عبدي هذا لم يخلص لي عَمَلَه فاجْعَلْوه في سجين قال: ويصـعدُونَ بعمل العبد من عباد الله يُستقلونه ويحتقرُونَهُ حَتّى يَنْتَهُوا به حَيْث شـاء الله فيوحي الله إليهم: إنكم حَفَظةٌ على عمل عبديوأنا رقيبٌ عَلَى مَا في نَفَســه؛ فَضــاعَفوهُ لَه، وَ اجعَلُوة في علّيّين }[275]

فأنت من أهل عليين، وعملك في عليين على الدوام، فإذا عملت العمل ــ وانظر معي إلى فضل الله علينا في العمل، وصلِّ على حبيب الله ومصطفاه ــ كما قال ﷺ:

{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ }[276]

إن ما تذكرون الله تعالى به من التســبيحات والتهليلات والتكبيرات، يخرجن ولهن دويٌ كدوي النحل، حتى يصلن إلى العرش، فيطُفن حوله يُذكِّرن بصاحبهن إلى يوم القيامة.

275 رسائل بن أبي الدنيا لأبى بكر عبدالله بن محمد بن أبى الدنيا عن ضمرة بن حبيب ﷺ.
276 مسند أحمد والحاكم عن النعمان بن بشير ﷺ

فلو قلت (سبحان الله) فإنها تصعد حتى تصل إلى العرش، وتطوف حول العرش وتكرر: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله .. إلى يوم القيامة!، والحصيلة كلها تذهب لرصيدك عند الله تبارك وتعالى.

فإياك أن تستهين بتسبيحة لحضرة الله، لأنها تظل إلى يوم القيامة، وحتى الكرام الكاتبين الذين معنا، قال ﷺ:

{ إن الله تعالى وكَّلَ بعبده المؤمن مَلَكين يكتبان عمله، فإذا مات قال المَلَكان اللَّذان وُكِّلا به: قد مات فأْذَن لنا أن نصعد إلى السماء!، فيقول الله ﷻ: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون، فيقولان: أفنقيم في الأرض؟ فيقول الله: أرضي مملوءة من خلقي يسبحوني، فيقولان: فأين؟! فيقول: قُومَا على قبر عبدي فسبِّحاني واحمداني وكبِّراني وهلِّلاني واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة } [277]

هو قد مات وخرج من الدنيا وانتهت حياته، لكن الله يُوظِّف له الكرام الكاتبين يُسبِّحون ويحمدون ويهللون إلى يوم القيامة، ويكتبوا ذلك كله في ميزان حسناته، ليلقى به الله ﷻ.

277 كنز العمال، والديلمي، والمروزي في الجنائز عن أنس بن مالك ؓ

نعيم الأبرار

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ والأبرار فيها كلام كثير، وأنا لا أُريد أن أســوقه لكم، لكن الأبرار هم المطيعون لله ﷻ، الذين نفَّذوا ما أمر به الله، وانتهوا عما نهى عنه الله، واقتدوا في أحوالهم وأعمالهم بسيدنا رسول الله ﷺ.

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ لم يقُل إن الأبرار ســيدخلون النعيم، ولكنهم الآن في نعيم، وما هذا النعيم الذي هم فيه؟ لا يوجد نعيم أبهى ولا أعلى ولا أجمل من نعيم طاعة الله ومناجاة الله.

أجمل نعيم وأبهى نعيم الذي يُحيينا فيه حضرة الكريم ﷻ، مَن الذي يدخل الجنة؟ الذي عاش في الدنيا في الجنة، فنحن الآن في الجنة لأننا في مجلس علم، فإذا كنا في مجلس علم فنحن في الجنة، أو في مجلس قرآن فهو جنة، أو في مجلس الذكر فهو جنة، والذي قال ذلك الذي لا ينطق عن الهوى، قال ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }[278]، وفي رواية أخرى: { مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[279]

وارتعوا يعني لا تتعجَّلوا، وتتركوها سريعاً، ولكن اجلسوا واطمئنوا، فالذي يعيش في الجنة في الدنيا هو الذي سيدخل الجنة في الآخرة، والذي مشى على الصراط المستقيم في الدنيا، هو الذي سيمر في الآخرة على الصراط كالبرق الخاطف، والصراط المستقيم يعني مشى على شرع الله، فلا يحيد عن شرع الله طرفة عين ولا أقل، ولذلك يقول الله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا ﴾ كتب الله لهم السعادة في الأزل، هؤلاء وهم في الدنيا سيكونون في الجنة، فكيف نعرف أن هذه الجنة في الدنيا؟ لأن الله قال بعدها: ﴿ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (108هود).

فالجنة في الدنيا هي جنة طاعة الله، وجنة ذكر الله، وجنة كتاب الله، وجنة الأعمال الصالحة التي نقوم بها بصفاء وبصدق وبإقبال شديد وخشوع على حضرة الله جل في عُلاه.

278 الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ؓ
279 المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

لذة طاعة الله

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ وليس هذا معناه أنهم لن يكونوا في نعيم في الآخرة!،

بل سيكونون هنا وهناك إن شاء الله، لكن النعيم هنا وهو نعيم الطاعة لله سبحانه وتعالى.

يُروى أن سيدنا رسول الله ﷺ كان في إحدى الغزوات، وفي الليل اختار رجلان من صحابته لحراسة الجيش، وانظر إلى حُسن التوكل على الله، اثنين فقط ليحرسوا الجيش كله!، وليست كتيبة أو ما شابه ذلك!.

وأمرهما أن يقتسما الليلة فيما بينهما، فجلسا مع بعضهما، ليأخذ أحدهما النصف الأول من الليل يقظاً، والآخر ينام، ثم يستيقظ النصف الثاني من الليل وينام الأول، فالذي عليه حراسة النصف الأول من الليل توضأ وأخذ يناجي مولاه، ويُصلي بين يدي الله سبحانه وتعالى.

فنحن نحتاج إلى أن نستشعر لذة الطاعة، ونتذوق حلاوة الإيمان، فقد كان الرجل منهم طوال اليل يُصلي بين يدي الله، وعندما يؤذن للفجر يقول: مرَّت هذه الليلة سريعاً ولم آخذ حظي من العبادة!!، ونحن الآن نستعجل في الصلاة!، بسبب المصالح الدنيوية التي شغلتنا، لكن هؤلاء ذاقوا لذة طاعة الله، وحلاوة العمل المقرب إلى حضرة الله سبحانه وتعالى.

فالرجل قام يُصلي، ولكن رآه رجل من الأعداء، ورأى الجيش كله نائم ولم يبق غير هذا، فضربه بسهم في رقبته، فمدَّ يده ونزع السهم وواصل الصلاة، وأثناء ركوعه ضربه بسهم آخر، فنزع السهم وواصل الصلاة، وأثناء سجوده ضربه بسهم ثالث ولكنه جاء في مقتل، يعني سيموت، فمدَّ يده وأيقظ أخاه وأسرع ليُكمل الصلاة.

فعاتبه بعد الصلاة فقال له: لم لم تُوقظني من أول سهم؟ قال: والله لولا خوفي أن أموت ويتمكن الأعداء من جيش رسول الله ما أيقظتك لحلاوة الطاعة التي كنت أتذوقها وأنا في الصلاة!!.

لم يشعر بشيء آخر غير لذة الطاعة وحلاوة العبادة لله ﷻ!!، فهذا نعيمهم الذي قدَّره الله ﷻ للمؤمنين في الدنيا بتوفيقه، ليكونوا من أهل الجنة العالية يوم القيامة برحمته تبارك وتعالى.

أصناف الخلائق يوم القيامة

ولذلك هؤلاء ليس لهم حساب، ولا ميزان، ولا صراط، فالناس يوم القيامة أربع طوائف، طائفة تقوم من القبور إلى القصور في الجنة - نسأل الله أن نكون منهم أجمعين – قال ﷺ:

{ إذا كَـانَ يَوْمُ القِيَـامَـةِ أَنْبَـتَ اللَّه تَعَـالَـى لِطَـائِفَـةٍ مِنْ أُمَّتِي أَجْنِحَـةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الجِنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعَمُونَ فِيها كَيْفَ شَاؤُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةَ: هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولُون: ما رَأَيْنَا حِسَاباً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُزْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا صِرَاطاً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَة: مِنْ أُمَّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، فَتَقُولُ: نَاشَـــدْنَاكُمْ اللَّهَ حَدِّثُونا ما كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينا فَبَلَغْنَا هذِهِ المَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: وَما هُمَا؟ فَيَقُولُونَ:كُنَّا إذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه وَنَرْضَى بِاليَسِيرِ مِمَّا قُسِمَ لَنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَةُ: يَحِقُّ لَكُمْ هذا } [280]

وهناك طائفة يقومون من القبور إلى جهنَّم وبئس القرار، ليس لهم صـــراط ولا ميزان ولا غيره: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (105الكهف).

وهناك طائفة يحاسبون حساباً يسيراً، وهناك طائفة كان الواحد منهم لا يستحي من الله أن يجهر بالمعاصي، أو يباهي بفعل المعاصي، ولم يتُب إلى أن يلقي الله، فهذا الذي يُحاسب حساب عسير والعياذ بالله تبارك وتعالى.

280 أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس ﷺ

جزاء الصابرين

والله ﷻ من منِّه وكرمه وجوده وضعنا كلنا في خُلة إلهية ربانية تجعلنا كلنا ندخل الجنة بلا حساب، أين هذه؟ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (10الزمر) الذي جاءه أمرٌ من أمور القضاء الإلهي كموت أحد وغيره فصبر على أمر الله، واحتسب الميت عند مولاه، ولم يقُل إلا كما قال الله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (156البقرة).

والذي ضيَّق الله عليه الأرزاق ليختبره، فرضي بالحلال وطلب أن يُمده الله بالبركة في هذا الحلال، حتى لا يذهب إلى ما حرَّم الله، فهذا أيضاً صبر لأمر الله، فليس له حساب، أي بلاء تعرض له الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وصبر على أمر الله، ولم يشكُو الله إلى خلق الله، فهذا على الفور يدخل الجنة بغير حساب، كل المطلوب إياك أن تضحك نفسك عليك في يوم وتقول: لماذا فعل الله بي كذا؟! لماذا ترك فلان وغيره مع أنهم لا يصلون ولا يصومون وعمل لي كذا؟! وغير ذلك، مع أن هذا ليس من شأنك!!.

فالمرأة الصـــحابية كانت هي وزوجها يملكان جلباباً واحداً يلبســـانه، ولم يكن عندهما جلباب للرجال وجلباب للنساء، وكانا يحرصـان على الصـلاة في أول الوقت، فكان الرجل يذهب ليُصــلي في الجماعة الأولى، ثم يخرج مســرعاً بعد الصـــلاة لكي تلبس زوجته الجلباب وتُصلي في أول الوقت، لأن حضرة النبي قال:

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ } [281]

فأول الوقت لا يُعوَّض، سيدنا عبد الله بن مسعود قال:

يا رسول أي الأعمال أفضل؟ قال:

{ الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا } [282]

عندما تسـمع الأذان ما دام ليس معك ضـرورة تشـغلك عن تلبية الأذان فسـارع إلى نداء الرحمن ﷻ، حتى ولو كان معك ضــرورة اعتذر بقلبك وقل: يا رب أنا أُريد أن أُصلي الآن، وأنت ترى ما أنا فيه، وعندما أنتهي فوراً سأُصلي لك، لكي تلحق أول الوقت بنيتك الصادقة مع الله ﷻ.

281 سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي ﵁
282 البخاري ومسلم

سـيدنا رسـول الله كان شـديد الملاحظة، فلاحظ أن الرجل يُصـلي ويسـرع في الخروج، فسأله عن سبب ذلك، فحكى له، لأنه لا يستطيع الكذب على رسول الله، قال ﷺ:

{ إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ، لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ }[283]

ثم طلب النبي من الصـحابة أن يسـاعدوا أخاهم، فتأخر على زوجته، فلما رجع وجدها خلف الباب متلهِّفة وحزينة لأنه سـيفوتها أول الوقت، فسـألته: لم تأخرت؟ فحكى لها ما حدث - وانظر لرد الزوجة - فقالت له: أتشكو الله إلى رسوله؟!! انظروا لأهل التقوى، يعني لا تريده أن يشـكو الله حتى إلى رسـول الله!!. فلا بد للإنسـان أن يرفع ما به إلى الرحيم الرحمن الشـفوق العطوف الحنان المنان، وأين تجد أرحم من الله حتى تشـكو إليه؟!! فقد تشـكو إليه ولا يسـمعك أحد، إلا الواحد الأحد، ويُعجِّل لك قضاء ما تريد.

283 صحيح مسلم عن شعبة بن المغيرة رضي الله عنه

بركة الله للمؤمنين

فلا بد للإنسان المؤمن يا جماعة المؤمنين أن يوطِّن نفسه أن لا يشكو الله إلى خلق الله، واعلم علم اليقين أنك لو فوضت أمرك لله، لأفاض عليك من بركاته ما يُغنيك عن جميع خلق الله.

فالكثير قد يأخذ المال، ولكن ليس معه دعمٌ، لكن المؤمن يأخذ الخير ويأتيه عليه دعمٌ من السماء وهي البركة، هذا الدعم لو أتاه، فالقليل يكفي الكثير، ولا يحتاج الإنسان إلى هذا ولا إلى ذاك.

ولكن كثير من المؤمنين في هذا الزمن لعبت بهم الأهواء فنسوا هذه الحقيقة التي مرَّن سيدنا رسول الله ﷺ عليها صحبه المباركين تدريباً عملياً، فكانوا يعتمدون على البركة: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ (2الطلاق) من أين؟ لا أحد يعرف، ولا هو نفسه يعرف: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (3الطلاق)، وهذه خاصة بالمؤمنين فقط.

لكن الكافرين وغير المؤمنين يجد ويجتهد في الأرض فتُخرج له انتاجها، ويحفر في الأرض فتُخرج له معادنها، وينزل البحر فيُخرج له أسماكه، لكن المؤمنون يعملون عملاً قليلاً، لأن شغلهم الأكبر مع حضرة الجليل، والجليل ﷻ يُعوضه عن ذلك بالبركة

:﴿ ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركت من السماء والأرض ﴾

(96الأعراف) لم يقُل لفتحنا عليهم خيرات، فالمحصـــول كما هو، ولكن البركة تنزل في الأرض، فيكفي قدر المحصول عشرات المرات عندما تنزل عليه البركة من الله ﷻ.

لذة النظر

﴿ على الأرآئك ينظرون ﴿٢٣﴾ ﴾ في الجنة لن نجلس على كراسـي، ولا على الأرض، ولكن على أسرَّة جهزَّها ملك الملوك بأجمل ما يكون التجهيز، لأنه يريد أن يُمتعنا فلن يجلس أحد، ولكن يضطجع على سرير، والسرير كما قال فيه ﷺ:

{ إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ } [284]

وكل ما في الجنة على بصــيرة لا ينتظر أن تطلب، فبمجرد أن تتمنَّى شــيئاً في صدرك، يُنفِّذ في الحال طلبك.

---

284 جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ هؤلاء في الجنة ينظرون لأهل الموقف وهم في الموقف يحاسبون ويثابون أو يعاقبون ويعذبون أو ينعمون، وهم مستريحون في قصورهم في الجنة.

﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ سيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه شرح قول الله تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (66الرحمن) فقال: على باب الجنة عينان، يشرب الإنسان شربة من العين الأولى، فيذهب عنه كل همٍّ وكل غمٍّ وكل حزنٍ، فيقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ (34فاطر) ويشرب من العين الثانية فيظهر عليه نضرة النعيم، يعني جمال النعيم، وجمال النور الذي تجلى عليه به حضرة الكريم، لأن هذه النضرة معناها أن هذا له شي أكبر من الجنة وما فيها: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) لا متعة أجمل من هذه أبداً، قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }[285]

ولذلك بشَّرنا حضرة النبي ﷺ فيقول:

{ إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى اللهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ }[286]

انظر إلى ممتلكات الفقير في الجنة!!، مسيرة ألف سنة، فأجدادنا كانوا يمشون من مصر للسعودية في حوالي ثلاثة أشهر، فإذا مشى ألف سنة فكم يقطع؟! وكم تكون ممتلكاته في جنة النعيم عند حضرة الكريم ﷻ؟!

ولكن الأعظم من هذا، والأرقى من هذا، النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وأعلاهم منزلة من ينظر إلى وجه الله في اليوم مرتين

285 صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي رضي الله عنه
286 جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ يُسقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ الشــراب الذي يشــربونه في الجنة مختوم بالمسك، وبعد أن يشرب منه تكون رائحة فمه أطيب من رائحة المسك،

ما نوع هذا الشراب؟

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لنا جميعاً لننتبه:

{ لا يشبه شي مما في الجنّة ما في الدنيا إلا الأسماء } [287]

فكل ما ذُكر في القرآن عن الجنة من الأسماء التي نعرفها في الدنيا، تتشابه في الأسماء ولا تشترك في الحيثية، ... فليس معنى أنها تتفق في الاسم أنها تكون مثلها، ..

لكنها شيء آخر عند الله.

التنافس في الخيرات

﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ ﴾:

انتبهوا للتوجيه الإلهي!

287 رواه الطبرى وابن أبى حاتم فى تفسيره عن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ.

اتركوا التنافس في الفاني، والتنافس في الأموال، والتنافس في المناصب، والتنافس في شراء الأرض، والتنافس في تزيين العقارات، والتنافس في التباهي بالسيارات ...

لأن هذا كله عرضٌ زائل يأخذ منه البر والفاجر.

من منا يستطيع أن يُحصِّل واحد من الأمريكان أو الألمان أو غيرهم في مثل هذه المتع الفانية الدنيوية؟!! لا أحد، وهؤلاء لا ننظر إليهم لأن رسول الله ﷺ قال فيهم:

{ أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [288]

ليخرج من الدنيا وليس له حسنة واحدة يُطالب بها الله تبارك وتعالى.

ولكن نتنافس في عمل البر، وعمل الخير، ونتنافس في قيام الليل، ونتنافس في تلاوة القرآن وتدبره وفهمه والعمل به، ونتنافس في رعاية الأيتام والمساكين، ونتنافس في قضاء حاجات المسلمين طلباً لمرضاة رب العالمين، وحضرة النبي ﷺ يقول لنا:

---

288 الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

{ مَنْ قَضَى لأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلا شَفَعْتُ لَهُ } [289]

أين من يتنافس في هذا؟!! وقال في الحديث الآخر:

{ مَنْ سَعَى لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ، أَوْ لَمْ تُقْضَ،

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ:

بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ } [290]

كونه فقط قضى مصلحة لأحد من المؤمنين؛ أي مصلحة، ولكن لوجه الله، يأخذ هذا الأجر ... فنحتاج أن نرجع مرة أخرى للتنافس الذي أمرنا به الله في كتاب الله:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ ﴾ في هذا العمل، وفي هذا الباب من الخير:

﴿ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾:

لماذا؟

لنكون من أهل هذه المقامات العالية.

﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾:

---

289 حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما
290 فوائد ابن شجاع عن ابن عباس رضي الله عنهما

هنـاك الأبرار، وهنـاك المقربون، وهنـاك العـابدون، وهنـاك الزاهدون، وهنـاك التوابون، وهناك المتطهرون، وهناك الذاكرون، وهناك الصـــائمون، فاختار لك باباً من الأبواب المذكورة في كتاب رب العالمين وتنافس فيه كما كان يتنافس فيه الأولون.

نســأل الله ﷻ أن يُصــلح أحوالنا، وأن يُصــفِّي قلوبنا، وأن يُزكِّي نفوســنا، وأن يُلهمنا رشــدنا، وأن يُوفقنا للعمل الذي يُحبه ويرضــاه، وأن يُدركنا برعايته وعنايته، ولا يتخلى عنا بعنايته ورعايته طرفة عين ولا أقل، وأن يجعلنا على الدوام من الذين يُثني عليهم في قرآنه، ويرزقهم صُـحبة النبي المختار، وآل بيته الأطهار، وصـحابته الأبرار، وأن نكون أجمعين تحت لواء شفاعته ومن أهل جواره في جنته .

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾ (الغاشية)

17.الوجوه الناعمة [291]

بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أعلى شـــأننا وشـــأن عباده المؤمنين، وجعل لهم الدولة والأُبَّهة والعظمة في يوم الدين، والصلاة والسلام على إمام الأولين والآخرين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وكل من تبعهم على هذا الهُدى إلى يوم الدين.

كان رسول الله ﷺ كما ورد في الصحيح عن حضرته، يصف لهم الجنة كأنهم يرونها رأي العين، حتى قيل أنه ﷺ كان منفعلاً في يومٍ في وصف الجنة، فقال:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ وَأَنَا أُصَلِّي } [292]

يعني يصـــف عن مشـــاهدة لما رآه لكي يعرِّفنا ما أعده الله لنا جماعة المؤمنين، وكان من أســـرار رحلة المعراج أن الله ﷻ أخذ حبيبه ومصـــطفاه ليُعرِّفه بما جهزه للمتقين، وما أعدَّه للكافرين والمكذبين، فقال له كما أورد القســطلاني في المواهب اللدنية:

---

291 الأقصر – إسنا – المسجد الحسيني بطفنيس 30 من جمادي الأولى 1440هـ 2019/2/5م
292 البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

{ يا محمد قد أعطيتك نوراً تنظر به جمالي, وسمعاً تسمع به كلامي، يا محمد إني أعرِّفك بلسان الحال معني عروجك إليَّ، يا محمد أرسلتك إلى الناس شاهداً ومبشراً ونذيراً، والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به، فأريك جنَّتي لتشاهد ما أعددت فيها لأوليائي، وأريك ناري لتشاهد ما أعددت فيها لأعدائي، ثم أشهدك جلالي، وأكشف لك عن جمالي، لتعلم أني منزه في كمالي عن الشبيه والنظير والوزير والمشير، فرآه ﷺ بالنور الذي قوّاه من غير إدراك ولا إحاطة، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً، لا في شيء، ولا من شيء، ولا قائماً بشيء، ولا علي شيء، ولا مفتقراً إلى شئ، ليس كمثله شيءوهو السميع البصير }.

وقال الله في شأن الورثة لسيد الأولين والآخرين: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ﴾ (التكاثر) الذي رزقه الله علوم اليقين يكشف له، ثم يرقيه:

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ (7التكاثر) وبعد أن يرى الجنة: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (8التكاثر) فاتِّباعاً لسيد الأولين والآخرين بعد أن فتح الله بصائرهم وآتاهم علم اليقين، وجمَّلهم بحق اليقين، يرون ويشهدون هذه الحقائق ليوضحوها ويشرحوها للمؤمنين.

هل يصلح أن إنساناً لم يذهب إلى الأماكن المباركة في مكة يصف لنا الكعبة؟!!
لا، لكن حتى يصفها وصفاً دقيقاً يجب أن يكون قد ذهب إلى هناك ورآها بتأني ودقة وعاينها جيداً، ليُعطينا وصفاً تفصيلياً لها، لكن حتى من رآها رؤية سريعة لو جاءنا لن يصفها جيداً، لأنه لم يتمكن من رؤيتها جيداً.

صورة وجوه الناس في الآخرة

فنحن جميعاً في الدنيا ظاهرنا غير باطننا، والله ﷻ لا ينظر إلى ظاهرنا وإنما ينظر إلى بواطننا، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[293]

فما بال هذه الصور؟ هو الذي صورها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (6آل عمران) هو الذي صوَّرنا في الأرحام، وأعطى لكل إنسان هذه الصورة الظاهرة التي نراها، والشكل واللون وطول الجسم والعرض، ولون العينين والتقاطيع، كل هذه الأشياء الذي خلقها رب العزة ﷻ.

293 صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

لكن لا بد لك أن تُجمِّل الباطن، لأن هذا ما ستُبعث عليه يوم لقاء الله، فيوم لقاء الله لن نظهر بهذه الصور التي نراها، لكننا سنظهر بصورة القلب الداخلي، من الذي قال ذلك؟ رب العزة: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (106آل عمران) البياض والسواد هنا في الدنيا لسلالة النسل، فالناس في أفريقيا سود، وفي أوربا بيض، وهؤلاء أعينهم خضراء،وهؤلاء أعينهم زرقاء، وهؤلاء غير ذلك حسب السلالة.

لكن في الآخرة حسب العمل الذي عملته بصفاء قلبك، وتقبَّله منك ربك ﷻ.

على سبيل المثال: إنسان في الدنيا أحلى بضاعة - في نظره - يمشي بها بين الناس أنه يكذب دائماً، يكذب على هذا، ويكذب على هذا، ويكذب على هذا، فيأتي يوم القيامة كما قال الله: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾ (60الزمر) حتى ولو كان من أمريكا، أو من فرنسا، أو من ألمانيا، فكلهم يأتون هناك ووجوههم مسودة، أما نحن فنأتي هناك: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (107آل عمران) فهذه لنا إن شاء الله.

فأنت الذي تختار لونك الذي سيكون يوم القيامة، وهيئتك التي تظهر بها أمام الخلائق أجمعين يوم يدعو الله الناس ليوم لا ريب فيه.

فلذلك ربنا ﷻ عندما يتكلم عن الجنة وأهل الجنة، فإن وجوهنا إن شـاء الله هناك لن تكون مثل بعضـــها، فمرة يقول عن جماعة منا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ وناعمة لسيت بالمعنى اللغوي أنها ليست خشنة، وإنما ناعمة يعني مُنعمَّة، يعني سيُنعِّمها الله ﷻ، وبأي شـيء سيُنعمها؟ لا يستطيع أحد أن يتكلم في هذا، لأن هذه أشياء فوق طاقة العقل البشـري، فلا يتحملها أي عقل، لأن هذه علومٌ وأسـرار ربانية يكشـفها الله لأهل الخصوصية، ليشوقونا لهذه المنازل العلية، يقول في بعضهم ﷺ:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا } [294]

وجوههم من شـــدة النور تُنير لأهل الجنـة، والقيامة ليس فيها نور، إلا نور الأعمال الصـالحة، فالذي معه عمل صـالح سـيكون نور في يده يمشـي به، والذي لا يملك عمل صـــالح فيكون ماشـــي في ظُلمة: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (8التحريم) النور الذي يسعى بين أيدينا هو نور سيدنا رسول الله، الذي سنمشـي وراءه ولن يتركنا.

والنور الذي بأيدينا هو نور العمل الصالح الذي عملناه، قال ﷺ:

294 اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود ﷺ

{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنَ أَبْيَنَ، فَصَنْعَاءَ، فَدُونَ ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُضِيءُ نُورُهُ إلا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ }[295]

أقل المؤمنين نوراً من يُضــيء له نوره تحت إبهام قدميه، والآخر نوره يُضــيء لأهل الموقف، وبين هذا وذاك درجات بحســـب تجليات النور الإلهي على وجوه المؤمنين والمؤمنات.

نور التجليات الإلهية

والنور الذي يظهر على الوجوه غير نور العمل الصالح الذي يظهر بين الأيدي، فالنور الذي يظهر على الوجوه هو نور التجليات الإلهية، يتجلَّى الله ﷻ بنوره على الصــالحين، فتظهر مِســحةٌ من نور جلاله وكبريائه على وجوههم ليعلم أهل الموقف العظيم جميعاً أن هؤلاء من عباد الله المقربين.

ونور الله يظهر أحياناً في الدنيا، ولكن على الأكابر من الأنبياء والمرســلين وكُمَّل الصالحين، فسيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام لما دعاه ربه إلى جبل الطور للمكالمة وليس للرؤيا، وذهب إلى جبل الطور وتجلَّى ربه:

295 جامع البيان للطبري

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ (143الأعراف) شُعاع بسيط من هذا النور نزل

على وجه موســى، فكان كل من يراه من بني إســرائيل يموت، من شــدة هذه الأنوار، إلى أن مات سبعين رجلاً، فغطَّى وجهه بلثام - يعني غطاء - فلم يحجب النور، فغطَّى وجهه بلثامين ليحجب هذا النور، حتى لا يطلع عليه أهل الباطل وأهل الزور وأهل الغرور، لأن نور الله نور مضنونٌ ومكنون.

هذه الحالـة حدثت كثيراً مع الذاكرين ذكراً شـــديداً لرب العالمين، فكثيرٌ من الذاكرين لله ينفعل بذكر الله، ويهيم في ذكر مولاه، فيجدوا وجهه - مع أنه قد يكون عبدٌ حبشي - تغير إلى نور، لأن الله غمره بأنواره ﷻ.

فنحن جماعة المؤمنين في حاجة إلى أن ننور القلوب بنور علام الغيوب، حتى إذا وصـــلنا إلى الآخرة نكون من أهل هذه الوجوه النيِّرة أمام الله، وأمام خلق الله أجمعين.

نور الله في الإنسان

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ :

لِمَ أنعم الله على هذه الوجوه بأنواره العلية؟

﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ ﴾ سعيها كان في الدنيا لتُرضي الله، فكل حركاته وسكناته وأعماله ليُرضي مولاه، ولا يسعى لحظِّه وهواه،.أو أي شيء فانٍ تتعلق به النفس في هذه الحياة، وإنما سعيه دائماً لإرضاء الله سبحانه وتعالى.

فلأنه كان يسعي دائماً في رضا الله، فيجعله الله مع المُنَعَّمين الذين يتجلى عليهم الله عز وجل بنوره المكنون، ويُفيض عليهم من سره المصون المخزون.

وهناك وجوه أُخرى يقول فيها الله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ (القيامة) هؤلاء يُهيؤهم الله لينظروا إلى وجه الله، ويتمتعوا بجمال الله جل في عُلاه، سألوا الإمام مالك رضي الله عنه: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه؟ قال: نعم، قالوا: كيف رآه؟ قال: غاب محمدٌ رسول الله عن حسِّه ونفسه، وبقي بما فيه من نور ربه، فرأى ما فيه من نور الله جمال الله في غيبة محمد سول الله!!.

ونوضح ذلك فنقول: نحن كلنا جماعة المؤمنين من فضل الله علينا فينا من نور الله:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (29الحجر) هذه النفخة نور إلهي يجعله الله عز وجل في قلب كل عبد مؤمنٍ من أهل الإيمان.

وهذه النفخة هي سرُّ الإيمان، وسر التسليم لحضرة الرحمن، وسر سَوْقِك إلى اتباع النبي العدنان، وسر حبك لتلاوة القرآن، وسر تحبيبك في كل عمل صالح يحبه الحنان المنان تبارك وتعالى، ولذلك الإمام أبو العزائم ﷺ يقول لنا في هذا الأمر: أحبب ما فيك منه فهو المحبوب له لا أنت.

لن يُحبك لأنك من الطين، أو تراب أو ماء مهين، ولكن يحبك لبضاعته التي معك، فأعطاك قبسٌ من الأنوار الإلهية وضعه في باطنك، ويريد منك أن تُقويه وتُنميه وتُصفيه وتُرقيه، لتأتي يوم القيامة تجده يظهر من باطنك على ظاهرك.

نور الفراسة

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ عندما شرح الآيات التي في سورة المطففين:

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

(المطففين) بيَّن لنا أن القلب في الحقيقة ينزل لنا من عند الله وكله نور، ولكن الذنوب تحجب هذا النور، فقال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ }[296]

296 سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

والران يعني الغطاء، يُغطي على النور الإلهي الموجود في القلب، وما دام قد غطَّى على هذا النور، فيمشي في الدنيا كأنه أعمى لا يُبصر!!، هو يبصر الشمس والقمر والطرق وغيرها، لكنه لا يبصر بالنور الداخلي الذي أعطاه لنا الله لنزن به الأشياء، فيُبين لنا أن هذا حلال، وأن هذا حرام، وأن هذا طيب، وأن هذا خبيث، وأن هذا حسن وأن هذا سيء: ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (29الأنفال) ...

فهذا النور هو الفرقان الذي يبين لك.

وإذا اجتهدت فماذا أفعل؟ قال ﷺ:

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأ الحَدِيد، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا جِلاؤُه؟

قَالَ: تِلاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[297]

ما الذي يُجلي هذا الران وهذا الصدأ؟ الذكر، فيظل يذكر الله ويشتدُّ في الإخلاص في ذكر مولاه، إلى أن يدخل في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (122الأنعام) ليس في الآخرة فقط، بل يمشي بهذا النور في الدنيا على الدوام، وكان أصحاب النبي ﷺ ورضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين على هذه الشاكلة، كلهم معهم الفراسة، قال ﷺ:

297 الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } [298]

أين هذا النور الذي معه؟

وهل يأتي ببطارية ويركبها لينظر بنور الله؟!! لا !!

فالبطارية بداخله فيها نور الله ﷻ.

على سبيل المثال:

سيدنا أبو بكر ﷺ وهب ابنته السيدة عائشة رضي الله عنها أُم المؤمنين في حياته حديقة خاصة بها دون أخواتها في الميراث، ليُغنيها عن التعرض لسؤال الآخرين، وليكون لها دخل يُغنيها عن الآخرين. فلما مرض وكان على فراش الموت طلبها، وقال لها: أنا كنتُ قد وهبتك حديقة[299]، وأُريد أن يرجع هذا المال للورثة والكل يأخذ نصيبه فيه، ثم قال لها: إنما هما أخواك وأُختاك، قالت: ليس لي إلا أُختٌ واحدة أسماء، قال: إن زوجتي هذه حامل، وأظن أن ما في بطنها أُنثى!!. عندما تكون امرأة حامل وزوجها توفَّى لا نوّزع التركة إلا بعد أن يأتي المولود، لنرى إن كان ذكراً أم أُنثى، فانتظروا، فإذا بالمولود أنثى!!، بماذا نظر؟

---

298 جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

299 أخرجه الإمام مالك فى الموطأ عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت إن أبا بكر الصديق كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إلي غنى بعدي منك ولا أعز علي فقرا بعدي منك وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله قالتعائشة فقلت يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى فقال أبو بكر ذو بطن بنت خارجة أراها جارية

بنور الله الذي أعطاه له الله.

وعمر كان على المنبر، والجيش في بلاد فارس، وبينه وبينهم أربعة آلاف كيلو، فتوقف عن الخطبة وقال: يا سارية الجبل، فتعجب المصلون وذهبوا لسيدنا الإمام علي ﵁ وكرم الله وجهه وسألوه عن ذلك، فقال: هو أعلم بمخرجه، يعني نسأله أولاً.

وانظر لتحري الصحابة ماذا كان شكله؟ لو قال لك إنسان إن فلان كذا، فإياك أن تتبع كلامه حتى تتثبَّت ممن قيل فيه هذا الكلام، واذهب لصاحب الشأن وأسأله.

فقالوا: يا أمير المؤمنين حدث منك على المنبر كذا!، فقال: رأيتُ جيش سارية ظهره للجبل، والعدو يدور من حول الجبل لينقضَّ عليهم من الخلف، فنبهتهم، ثم قال: يا عَليّ إن القلوب إذا صفت ترى!!. وكان أصحاب رسول الله حكماء، فقالوا: ننتظر إلى أن يأتي بشير النصر ونسأله عن الحقيقة، ولا أحد يخوض، ولا أحد يُخرج إشاعات، ولا أحد يُكثر أو يُشوّه في الكلام!. فلما سمعوا أن بشير النصر قادم، قالوا: نخرج إلى خارج الطريق ونقابله قبل أن يدخل عند عمر - يريدون أن يستوثقوا من الخبر - فقابلوه وسألوه: ماذا حدث؟قال: انتصرنا، قالوا: ومتى؟ قال: يوم الجمعة الفلانية، وفي أي وقت؟ قال: وقت صلاة الجمعة، قالوا: ألم تسمعوا صوتاً؟ قال: سمعنا صوت عمر، ولولا صوت عمر لانقضَّ الأعداء علينا من خلفنا، فعرفوا أن عمر ينظر بنور الله ﷻ.

سيدنا عثمان ﷺ كان جالساً في مجلس الخلافة، وأحد الصحابة كان قادماً إليه، وهو في الطريق، كانت تمشي أمامه امرأة فهبَّ الهواء وكشف عن ساقها، فنظر إلى ساق المرأة، فدخل على عثمان ﷺ، فقال له:

أما يستحي أحدكم أن يدخل عليَّ وفي عينيه أثر الزنا؟!! أما يستحي أحدكم أن يدخل عليَّ وفي عينيه أثر الزنا؟ قال:

أوحيٌ بعد رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين؟!! قال:

لا ولكنها فراسة المؤمن، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } [300]

ما هذا النور؟!

رأى ما رأته العين!

لو نظرت أنت في عين إنسان هل تستطيع أن تعرف لمن نظرت؟! أو هل تستطيع أن تعرف أن هذه العين تقرأ انجليزي وعربي أم عربي فقط؟! أو تستطيع أن تعرف من هذه العين أن هذا مهندس أو طبيب أو محامي؟!

لا، لكنهم عندهم هذه القدرة من عند القدير ﷻ.

---

300 جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

أثر المداومة على ذكر الله

فالذي يريد يوم القيامة أن يتمتع بالوجوه الطيبة للقاء الله، وبالمنظر العظيم بين يدي خلق الله، فسلاحه القوي الذي يحرص عليه هو المداومة على ذكر الله.

وذكر الله ليس لأحد منا عُذرٌ في تركه، فلو لم تذكر الله من المغرب للعشاء، ماذا تقول لله؟! لم أكن متوضئاً؟ لكن الذكر يجوز بوضوء وبغير وضوء، هل تقول: كنت نائماً؟!يقول الله: ﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (191آل عمران).

هل تقول: لم أكن في المسجد؟! يقول ﷺ:

{ جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا } [301]

فذكر الله في أي موضع، وفي أي مكان ...

حتى لو أنك قضيت شهوتك في أول الليل، أو في آخر الليل وأجَّلت الاغتسال إلى الفجر، فلا تستطيع قراءة القرآن أو الصلاة أو الإمساك بالمصحف، ولكن لا مانع أن تذكر الله، حتى لا تنام وأنت غافل .. فلا يوجد أبداً لأي مؤمن عُذرٌ في ترك ذكر الله طرفة عين ولا أقل !! وماذا يعني العذر؟

301 البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

يعني عذراً شرعياً جاء في شريعة الله، لكن لو أنك تختلق أعذاراً فليس لنا شأنٌ بهذا، فالمهم لائحة الأعذار الإلهية التي نزل بها المصطفى خير البرية ﷺ، ماذا تقول لله في تركك ذكر الله؟! ليس لك عُذرٌ أبداً.

فالمداومة على ذكر الله على كل حالة من الحالات هي التي تُرقق القلب، وتُزيل صــدأه، وتُبرز نوره، وتجعل نوره يظهر على نور وجهك يوم القيامة، ويكون باطنك نور، وظاهرك نور، وتكون كلك نورٌ على نور ... هؤلاء أين يكونون؟

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾ :

وهذا منظر من المناظر التي سيكونون فيها، لأن هؤلاء هم الوجهاء عند الله:

﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (69الأحزاب):

وجهاء الآخرة

لا يوجد أحدٌ من وجهاء الدنيا كلها يتمتع بذرة في الدنيا مما يتمتع بها هؤلاء في الجنة عند الله ﷻ، فليس له جنة واحدة، ولكن جنان لا عد لها ولا حد لها.

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾:

هذه الجنة عالية ليكون قريباً من رســـول الله وصـــحبه المباركين، في الحي الأعلى من الجنة، لأن الجنة العالية مع: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (29الفتح).

﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ ﴾ :

لا يوجد في الجنة لغو، ولا كلام فيما لا يفيد، لأن إذاعة الجنة ليس فيها إلا كلام الحميد المجيد على الدوام، فأنت تدخل الجنة، وكما قال سيدنا رسول الله ﷺ:

{ يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا } [302]

تقرأ القرآن ولكن بصـــوت ليس له شـــبيه في عالم الدنيا، وبعد أن تقرأ أنت وغيرك، يقولون: رسول الله ﷺ سيقرأ القرآن، فيسمعوا سيدنا رسول الله وهو يتلو القرآن، فيســكر أهل الجنة جميعاً من تلاوة النبي العدنان ﷺ، وبعد ذلك يقولون: الرحمن سـيقرأ القرآن .. !!! فأهل الجنة ليس عندهم وقت للغيبة والنميمة ولغو الكلام الذي نشغل به أنفسنا في الدنيا.

302 جامع الترمذي وسنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾:

جارية بكل ما يخطر على بالك، تريد ماء، أو تريد لبن، أو تريد خمر، أو تريد عسلاً مُصفَّى، الكل موجود في العين، ولا يختلط بعضه ببعض،!. وعندما تتمنَّى شيء يخرج على الفور المشروب الذي تمنيته بقلبك بأمر علام الغيوب، ويخرج إلى فيك، وتجد أيضاً أمامك أكواباً كثيرة مملوءة، فتشرب من هذا أو من هذا،كما تشاء.

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ :

لا يوجد - كما قلنا قبل ذلك - في الجنة كراسي ولا كنب أو مصاطب، لكن كلهم على أَسِرَّة، والأَسِرَّة ورد أن: (ارتفاع السرير كسفر مائة فرسخ!) فانظر مدى طوله، والسرير يكون عالياً حتى أرى كل أملاكي وممتلكاتي ونعيمي الذي تفضل به عليَّ المنعم سبحانه وتعالى.

والسرير يفهم، فإذا أردت أن أزور أخي فلان في الجنة، فيتحرك من نفسه حتى يُوصلني لأخي فلان، فلا يحتاج لكلام أو أمر لأنه في خدمة الإنسان بأمرٍ من حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾:

تجد أيضاً أمامك أكواباً كثيرة مملوءة، فتشرب من هذا أو من هذا،كما تشاء.

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ ﴾:

والنمارق هي المخدات الصغيرة التي نتمتع بها لأنك أنت ذاهب للمتعة، فلا بد أن يمتعك الله النعيم المقيم في الدار الآخرة إن شاء الله.

لأننا تعبنا في الدنيا، فتنام على السرير وعندك المخدات بدون حساب، فتضعها تحت رأسك أو تحت إبطك، فكما تريد.

﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾:

وزرابي يعني السَجَّاد، فالأرض كلها سجاد رباني، ومبثوثة يعني منتشرة في كل مكان، وهذا مشهد بسيط من مشاهد الجنة التي كلنا سنتمتع بها إن شاء الله بفضل الله، وبرحمة الله، وببركة رسول الله ﷺ.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين، وأن يُيسِّر ألستنا لذكره، وأن يُنظِّف قلوبنا من كل شيء غيره، وأن يجعل نياتنا خالصةً في كل عملٍ ابتغاء وجهه، وأن يتولانا في الدنيا برعايته وعنايته، وتوفيقه وهدايته، ولا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى غيره طرفة عين ولا أقل.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يٰأيتها النفس المطمئنة ﴿٢٧﴾ ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴿٢٨﴾ فادخلى فى عبٰدى ﴿٢٩﴾ وادخلى جنتى ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر)

18.النفس المطمئنة [303]

بِسْـــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله رب العالمين، الذي أعدَّ لعباده المؤمنين المتقين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام على سـيدنا محمد بن عبد الله الذي أجلى لنا الحقائق القرآنية التي في كتاب الله، وبيَّنها وفصــلَّها كأنها رأي العين، صـــلى الله عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهُداه، وأصـــحابه الذين شاركوه وآذروه وعاونوه في نشر دعوة الله، وأتباعه الحاملين لرسالة الله، ومَن حولهم من جموع المؤمنين الصــــادقين إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

هذه الآيات التي معنا توضح قضية تهم كل إنسان، لكن نحتاج جماعة المؤمنين في توضيحها إلى الرجوع إلى بيان النبي العدنان ﷺ، حتى تطمئن قلوب أهل الإيمان، ويفرح أهل الإحســـان، ويســـتبشـــر أهل الإيقان بما أعدَّه حضـــرة الرحمن للمؤمن والمحسن والموقن حال خروجه من الدنيا إلى لقاء الله تبارك وتعالى.

---

303 الأقصر – إسنا – مسجد أبودوح بطفنيس غرة جمادي الآخرة 1440هـ 2019/2/6م

بعض الأئمة في العصور الماضية ــــ سامحهم الله ــــ كانوا يعتمدون على كتب ليس لها مصــداقية، وكان كل همهم تخويف الناس من الكريم الحنان المنان، وتخويف الناس من الموت، وتخويف الناس من الحســـاب ويوم القيامة، مع أن هذا التخويف ذكره الله ﷻ للكافرين والمشركين، وهناك بيانٌ آخر كله تبشير للمؤمنين.

ووضــعوا كُتباً ليس لها أســاسٌ من الصــحة في الدين، وكثير من شــبابنا عندما يذهب إلى الأعتاب المقدسة عند سيدنا الحسين وعند السيدة زينب وغيرهم، يجد على الأبواب أُناس معهم كتب يبيعونها، فيشــترونها، لكن قبل أن تشــتري أي كتاب اســأل أولاً أولي الألباب عن الكتاب الذي ينفع لتشتريه.

فمثلاً هناك كتاب عن قصــــة وفاة النبي لمعاذ بن جبل، وهل معاذ بن جبل ألَّف كتاباً وسمَّاه قصة وفاة النبي؟!! لم يحدث، لكن الكُتَّاب يريدون ترويج البضاعة، فألَّف أحدهم كتاب في وفاة النبي، ونسبه لمعاذ بن جبل، حتى يشتريه الناس!.

وأيضــاً يأتي كثير من المتشــددين فيحكي للناس قصــة وفاة النبي على أنها أمرٌ غاية في الصـعوبة حتى يبكي الناس، ويقولون: إذا كان هذا حدث لحضـرة النبي فماذا سيحدث لنا؟!! والكتاب ليس له أساس من الصحة دينياً ولا تاريخياً.

والناس تهتم بمعرفة ما في الجنة، وما في النار، فألَّفوا كتاباً اســـمه: (دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار) وهو كتاب صغير ولكن ليس فيه أخبار صحيحة أبداً!!.

أنت تريد الخبر اليقين، عليك بكتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ.

وهم يعرفون أن الناس تحب معجزات النبي ﷺ، فألَّفوا كتاب الإسراء والمعراج لابن عباس، وهل ابن عباس ألَّف كتاباً؟! لا، فروايات الإسراء والمعراج موجودة في كتب الحديث، ومحفوظة وجملتها سبعة وستون رواية، رواها الصحابة الأجلاء عن رسول الله ﷺ، وليس لهم شأنٌ بالكلام الموجود في كتاب الإسراء والمعراج لابن عباس، وابن عباس بريء من هذا الكتاب، فلا يوجد أحد من الصحابة ألَّف كتاباً، فتأليف الكتب كان في مرحلة متأخرة!! لكن الصحابة كانوا رواة، يروون ما سمعوه من رسول الله ﷺ، أو ما استمعوا إليه من أحد أصحاب رسول الله نقلاً عن رسول الله ﷺ.

فصحيح الأخبار عن الجنة والنار، وصحيح الأخبار عن الموت والغيوب الإلهية، نأخذه من كتاب رب البرية ﷻ، وتأويله وتفسيره نأخذه من الأحاديث الصحيحة النبوية، لأن هذه عقيدة لا بد أن يأخذها الإنسان من الأحاديث الصحيحة، فنحن والحمد لله، وببركة رسول الله ﷺ كانت الدروس السابقة في وصف الجنة، كما وصفها صاحب الجنة تبارك وتعالى.

حقيقة الموت

واليوم نريد أن نرى وصـــف الموت، فالموت عبارة عن انتقال من حياة إلى حياة، ننتقل من الحياة الظاهرة التي نحن فيها واســـمها الحياة الدنيا، إلى الحياة الروحانية النورانية والتي اسمها حياة البرزخ، ولذلك يقول لنا الله: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (100المؤمنون).

وبرزخ يعني حاجز بين الدنيا والآخرة، فيه كل الســـابقين، وســـيســـتوعب كل المعاصـــرين، وكل اللاحقين إلى يوم الدين، لكن لا نراه بهذه العيون، لأنه من الغيب المكنون، والســـر المضـــنون، والذي يراه هو الذي أخلص مع الله، وكشـــف الله نور بصيرته، فأصبح ينظر بنور الله ﷻ، ما الدليل؟ سيدنا رسول الله ﷺ مرَّ على المقابر ووقف عند قبر، وهذا القبر كان مدفون فيه اثنين، فقال:

{ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ } [304]

304 البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

أحدهما كان لا يســـتبرئ من بوله، يعني لا يطمئن إلى أن كل البول الذي فيه ينزل، وبعدها يغســـل، وأما الآخر فكان يمشـــي بين الناس بالنميمة، يعني ينقل الكلام من هذا لهذا ليُوقع بينهما ... هل يوجد أحدٌ ممن حول حضـــرة النبي رأى ما رآه النبي؟! لا، لماذا؟ لأنهما في عالم البرزخ، وهل الميت يشـعر بالعذاب؟ نعم، ولذلك لا بد أن يكون حياً، ولكنها حياةً أُخرى غير الحياة التي نحن فيها الآن، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ }[305]

فالبرزخ عبارة عن روضة من رياض الجنة، أو حُفرة من حُفر النار، ونحن إن شاء الله سنكون في روضة من رياض الجنة، فالذي يدخل هذه الروضة هل يشعر بالنعيم، أم لا يشـــعر به؟! لا بد أن يشـــعر بالنعيم، ويتلذذ بهذا النعيم، ويشـــعر بهذا التكريم، بشـــعور إلهي رباني يجعله له العزيز الحكيم ﷻ، ولذلك ذكر الله قبل الآيات التي معنا حال غير المؤمنين:

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الفجر)

305 جامع الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وأنا أريد منكم أن تنتبهوا جيداً من ألفاظ القرآن، فعندما يقول: (يا أيها الذين آمنوا) غير ما يقول: (يا أيها الناس) فلو قال: (يا أيها الذين آمنوا) فهو يكلمنا نحن أهل الإيمان، وإذا قال: (يا أيها الناس) فهو فيخاطب الناس كلهم.

لذلك لا يصِّــح أن آتي بالكلام الذي يُخاطب الله به الناس وأُوجهه للمؤمنين، لأن هذا شيء وهذا شيء آخر، وكل إنسان له جوابه وخطابه من الله تبارك وتعالى.

فالإنسان؛ أي إنسان بعيد عن أهل الإيمان يقول: ﴿ يـٰلَيۡتَنِى قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِى ﴾ (24الفجر)

لم يقل: قدمت لمماتي، ولكن (قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) ولكنها حياة أُخرى غير الحياة التي ألفناها وعرفناها، الحياة التي نحن فيها يُقيِّدنا فيها الجسم لأننا مشغولون به، لكن بمجرد أن ينشغل الإنسان بالله، فعندما ينام الجسم تخرج الروح وتتهنَّى بما عند الله في المنام كما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فتذهب إلى الجنة، أو تذهب للسماوات، أو تذهب للعرش، أو تذهب للكرس، تتنعم وتتهنى، أو تذهب للبيت الحرام وتطوف حوله وتسعى، أو تذهب لتزور حضرة النبي، لأنه قد فُكَّ حصارها عن الجسم.

عندما يُفكُّ الحصار نهائياً بالموت، وينتهي الجسم، ويرجع إلى أصله مرة ثانية، فأين تكون الروح؟ تكون في إطلاق تام إذا كانت روح مؤمنة تقية نقية، وإذا كانت روح - والعياذ بالله - شقية، فهذه الروح تُسجن، وتبقى في السجن إلى أن يأتي العرض يوم القيامة.

لكن المؤمن يطير كما يريد، يطير بين أشـــجار الجنة، ويطير في كل عوالم الدنيا، لأنه يكون في حياة مطلقة، ولكنها حياة أُخرى، والتي نسميها الحياة البرزخية.

وصف الموت للمؤمن

كيف يحدث الموت للمؤمن؟

سـيدنا رسـول الله ﷺ كان في جنازة أحد أصـحابه في البقيع، وجلس وأمسك بعصا صغيرة وأخذ ينكت بها في الأرض، وبيَّن لأصحابه كل أسرار الموت، فقال:

{ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّـمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّـمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُـوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَـرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّـلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِـهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ،

وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ} [306]

إن العبد المؤمن إذا كان في إدبار من الدنيا، وإقبالٍ على الآخرة جاءه ملائكةٌ من الجنة معهم حنوطٌ - يعني عطر طيب الرائحة - من الجنة، ومعهم كفنٌ من الجنة، يجلسون منه مدَّ البصر، وكيف يُخرجون روحه؟ عندما يقفون أمامه يقولون:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ ﴾

فتخرج الروح؟

وكيف تخرج يا رسول الله هل بتعب ومشقة وألم؟

306 مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن البراء بن عازب ﷺ

أخبر أنها تنزل كما تنزل قطرة الماء من فِيِّ السقاء، ليس فيها تعب، أو عناء !!

فيقولون له: أبشر بخير يوم مرَّ عليك مُذ ولدتك أُمك لأنك ستقابل الله ﷻ!

فيأخذونها ويلفونها في الحريرة الخضـــراء التي أتوا بها من الجنة ويضـــعون عليها عطر ، يتركوا لنا تجهيز الجسـم، لماذا؟ تكريماً للإنسـان، لأن الله قدَّر للإنسـان تكريمه:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ ﴾ (70الإسـراء) ولأنه كرَّمه فلا بد أن نُغسِّـله ونُكفِّنه ونُصـلِّي عليه ونواريه في موضعٍ قبره بالشروط الشرعية التي بيَّنها خير البرية ﷺ.

مستقر أرواح المؤمنين

والروح ماذا تفعل؟ كما أخبر النبي ﷺ، تهتَّز أرجاء السـماوات والأرض، يريدون أن يعلنوا أن فلان من المؤمنين قد مات، فتتسـائل الملائكة: أيُّ وجيه من المؤمنين انتقل إلى جوار الله؟ فيُقال: فلان ابن فلان، فتُفتح أبواب السـماوات، ويقف على باب كل سـماء مقربوها ينتظرون روح هذا المؤمن الذي يذهب إلى حضـرة الله تبارك وتعالى، ولذلك هؤلاء قال لهم الله: ﴿ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ (50ص) أبواب السـماء مفتحة لهم.

أسرار صلاة الجنازة

ونحن جماعة المؤمنين في الدنيا يكرمنا الله، ويُكرم بنا، سنُصلي على الميت، والصلاة على الميت معناها الشفاعة، يعني كأننا نقول: يا رب من أجلنا ارحم هذا الرجل وأدخله الجنة، وحضرة النبي ﷺ بشَّرنا فقال:

{ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلا لا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، إلا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ }[307]

نفرض أنه لا يوجد أربعين، فعلينا أن نُكثر الصفوف، والصف يكفي فيه رجل واحد، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ ثَلاثُة صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إلا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ }[308]

يعني لو صلَّى عليه ثلاثة وجبت له الجنة، والصلاة - كما قلت - شفاعة، وهؤلاء الذين صلُّوا كما جاء بالحديث الشريف:

{ أول تُحفلَةِ المؤمن إذا مات أن يغفر الله عز وجل لكل من تبع جنازته }[309]

ما دام كان رجلاً من الصالحين، فكل من مشى في الجنازة مغفورٌ له.

---

307 صحيح مسلم وأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما
308 معجم الصحابة لابن قانع وابن ماجة وأحمد عن مالك بن هبيرة ﷺ
309 رواه الديلمي عن أبي هريرة، وللبزار والديلمي عن ابن عباس مرفوعا (أول ما يُجازي به العبد بعد موته أن يُغفر لجميع من تبع جنازته)

وفينا من تنزل الملائكة لتحضـــر جنازته وتُصـــلي عليه، رجل من أصـــحاب حضـرة النبي اسـمه سـعد بن معاذ ﵁ حضـرته الوفاة، وحضـرة النبي ﷺ كان جالساً فأحسَّ أن العرش يهتز، ونزل سيدنا جبريل وقال:

{ مَنْ هَذَا الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ؟ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدٍ فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ } [310]

ذهب سيدنا رسول الله ﷺ بعد أن جهزُّوا جنازة سعد ليشارك في الجنازة، فقال ﷺ:

{ لَقَدْ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، شَهِدُوا جِنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مَا وَطِئُوا الأَرْضَ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ } [311]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: { لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ } [312]

من الذي كان يحمله؟

الملائكة، فالملائكة يصلون عليه، والملائكة هم الذين يحملونه.

---

310 الحاكم في المستدرك وفضائل الصحابة لابن حنبل
311 فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ﵁
312 جامع الترمذي والحاكم في المستدرك

كان النبي في غزوة تبوك، وهي جنوب الأردن وشمال الجزيرة العربية الآن .. ونزل سيدنا جبريل فقال:

{ يا رسول الله، إن معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة، أفتحب أن تصلي عليه؟ قال: نعم، فضرب بجناحه الأرض فتضعضع له كل شيء ولزق بالأرض، ورفع له سريره فصلَّى عليه، فقال النبي ﷺ: من أي شيء أتى معاوية هذا الفضل؟! صلَّى عليه صفان من الملائكة في كل صف ستمائة ألف ملك!، قال: بقراءة (قل هو الله أحد) كان يقرؤها قائماً وقاعداً وجالساً وذاهباً ونائماً } [313]

موت المؤمنين يصفه لنا رب العالمين فيقول:

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (32النحل)

313 رواه البيهقي في الدلائل وأبي يعلي عن أنس بن مالك ﷺ

الذين يقولون إن الموت أشدُّ من سبعين ألف ضربة بالسيف، وفيه كذا وكذا!!، فهذا للكافرين والمشركين، وليس للمؤمنين، فهؤلاء لهم معاملة، وهؤلاء لهم معاملة خاصة، فلا يصح أبداً أن أذكر معاملة الكافرين وأخيف بها المؤمنين، لأن المؤمنين موعودون بالرحمة التامة من رب العالمين ﷻ.

ونحن جماعة المؤمنين لأننا نسارع في تكريم المؤمن، فحضرة النبي يقول لنا:

{ مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ، وَلَمْ يَتْبَعْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ } [314]

يعني من يحضر الصلاة ويشيع الجنازة يكون له قيراطين من الجنة، وهذا غير أن الله يغفر له كما ذكرنا من قبل.

ولذلك عندنا في الوجه البحري إذا مات أحدٌ في الصباح، فنؤجل الدفن إلى صلاة الظُهرحتى يعود الناس من عملهم، ويشارك أكبر عدد ممكن في صلاة الجنازة، ليأخذوا هذا الثواب.

وإذا مات قبل الظُهر ننتظر إلى بعد صلاة العصر، يعني ننتظر إلى أي صلاة مكتوبة حتى يتجهز الناس، وتجتمع، وتنال هذا الثواب، وهو أيضاً محتاج إلى هذا الجمع الكبير لأنهم شفعاء له عند الله ﷻ.

314 صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

وهذا لا يتنافى مع تعجيل الجنازة، لأن هذا التأخير لهدف، وفي نفس الوقت تخفيف على المعزين وعلى أهل الميت ...

فلو مات إنسان في صباح الجمعة، نؤجل الجنازة إلى ما بعد صلاة الجمعة، فالذي يأتي من الغرباء سيحضر الجنازة، وكذلك أهل المكان، وهذا ما نمشي عليه في الوجه البحري، أما كثير من أهل الوجه القبلي فإنهم يدفنون الميت عقب الوفاة مباشرة، وكله من دين الله ﷻ.

موت النفس

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾:

لنعرف أن من يموت ليست الروح، فالذي يموت النفس، لكن الروح لا تموت أبداً، لأن الروح من الحي الذي لا يموت: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (72ص)

والذي يموت النفس:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (42الزمر) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (185آل عمران)

فالذي يموت النفس!! لكن الروح لا تموت ولا تفوت لأنها نفخة الحي الذي لا يموت!. وفي إحدى القراءات المتواترة: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الآَمِنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾

النفس التي أخذت الأمان من الله، واطمأنت إلى إكرام الله، وفضل الله ﷻ:

﴿ ارجعي إلى ربك ﴾ :

ترجع إلى الله، وهل الذي يرجع إلى الله نحزن عليه؟!!

نحن نحزن على من يرجع إلى النار والعياذ بالله، لكن هذا راجع إلى الله!!. الذي يذهب إلى بيت الله الحرام فإننا نقيم له الأفراح والزينات ونزفه وهو مسافر، فما بالنا بمن يذهب إلى الله؟!! كيف يكون شأنه؟!!، ولذلك سيدنا بلال رضي الله عنه وهو في سكرات الموت أخذت زوجته تقول: واكرباه واحزناه، فقال لها: لا تقولي واكرباه ولا تقولي واحزناه،ولكن قولي: واطرباه واسروراه، غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه. أنا ذاهب إلى رسول الله والذين من حوله، وهم ينتظرونني، فلِم تحزني من هذا الأمر؟!!.

حياة البرزخ

فالمؤمن لحظة خروجه من الدنيا يجد أهل الإيمان السابقين في انتظاره، ويقولون له:

حمداً لله على سلامتك !! ويعانقوه، ويقبلوه، ويأخذوه في المجالس الموجودة في عالم البرزخ، ولا عد لها ولا حد لها ... لأن البرزخ كله مجالس !!

ولكنها ليست مجالس لهو ولا لغو، ولا لعب، وإنما مجالس علم، ومجالس ذكر، ومجالس أُنس، ومنهم من يعطيه الله العطاء العظيم، فيحظي بجوار حضـــرة النبي الكريم:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (69النساء).

كيف نصل إلى ذلك؟ سيدنا رسول الله ﷺ وهو رحيمٌ ورءوفٌ بالمؤمنين يسَّر لنا الأمر، فقد سأله سيدنا أنس بن مالك رضي الله:

{ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ:
مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ وَلا صَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ:
أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ }[315]

315 البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

وقال: { الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } 316

تخرج من الدنيا مع من كان يُحبك، فتكون معهم هناك على الدوام، فالأمر يحتاج إلى الحب، والحب يقتضي أن الإنسان يتبع المحبوب في خصاله وأعماله وأخلاقه وأفعاله ليستحق هذه المنزلة العظيمة مع رسول الله ﷺ وأصحابه المباركين.

﴿ ارجعي إلى ربك ﴾ وما حالها؟ ...

﴿ راضية مرضية ﴿٢٨﴾ ﴾ سيُعطيك الله ما تطلبين إلى أن ترضي عن الله، وتكوني قد أخذت كل الرضا من حضرة الله ﷻ.

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ابن عم حضرة النبي مات في الطائف في بلاد الحجاز، وهم يحملون الجنازة فوجئوا بطائر نازل من السماء ودخل النعش وتوارى فيه، ولم يروه يخرج، ولما وضعوه في القبر، سمعوا صوتاً ولم يروا القائل، يقول:

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ﴿٢٧﴾ ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴿٢٨﴾ فادخلي في عبادي ﴿٢٩﴾ وادخلي جنتي ﴿٣٠﴾ ﴾.

316 جامع الترمذي عن صفوان بن عسال ؓ

ولما نزلت هذه الآية :

كان سيدنا أبو بكر كان جالساً مع سيدنا رسول الله وهو يتلوها على أصحابه، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله إن هذا حسن، فقال له النبي ﷺ:

{ أَمَا إِنَّ المَلَك سَيَقُولُ لَكَ هَذَا عِندَ المَوت } [317]

يعني أنت من هؤلاء الذين يُقال لهم هذه الآية عند الموت، فالأتقياء الأنقياء هذا هو موتهم، ولذلك حضرة النبي ﷺ بيَّن الموت في حديث آخر فقال:

{ وَاللَّهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسُّوءِ سُوءًا،

وَإِنَّهَا لَلْجَنَّةُ أَبَدًا، وَالنَّارُ أَبَدًا } [318]

الموت مثل النوم ..

فأنا إذا كنتُ طوال النهار أفعل الخير ومسرور ولم أظلم أحداً أنام وأنا مرتاح ..

ومتى يكون النوم غير هني؟

إذا كان اليوم كان كله مليء بظلم فلان، وسبُّ فلان، وشتم لفلان!!

كذلك الموت، فما دام الإنسان لم يقدم لخلق الله إلا ما يُحبه الله ويرضاه، وقام بما فرضـــه عليه مولاه، فالموت يكون عملية ســـهلة، ويكون انتقال من دار إلى دار ... في جوار النبي المختار ﷺ.

317 رواه الطبري في التفسير، والسيوطي في الدر المنثور
318 ورد في أنساب الأشراف للبلاذري عن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم ﷺ

صلاة النبي على الأتقياء

سيدنا رسول الله ﷺ أشار لنا إلى شيء آخر في كتاب الله - كلنا نسأل الله أن نكون من أهلها - فقال لهم: { يَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ الْمَوْتِ } [319]

دار الزمن، وفي عصر سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، مات رجل من أصحاب رسول الله اسمه الربيع بن خراش ﷺ، وكانوا أربعة إخوة، فخرج إخوته الثلاثة ليجهزوا الكفن، ويحفروا القبر، ويعملون اللازم لتشييعه، وكانوا قد غطوه بملاءة، ولما رجعوا فوجئوا أنه جلس، ورفع الملاءة وقال: إذا به يجلس ويرفع الغطاء ويقول: { السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ يَا أَخَا بَنِي عَبْسٍ، أَبَعْدَ الْمَوْتِ؟! قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَقِيتُ رَبِّي ﷻ بَعْدَكُمْ، فَلَقِيتُ رَبًّا غَيْرَ غَضْبَانَ، وَاسْتَقْبَلَنِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانَ وَإِسْتَبْرَقٍ، أَلا وَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ عَلَيَّ، فَعَجِّلُونِي وَلا تُؤَخِّرُونِي } [320]

جاء يُصلي عليه بنفسه، وهذا أمر الله لرسوله في القرآن: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (103التوبة) هل هذا في زمانه فقط أم علينا كلنا؟

---

319 دلائل النبوة للبيهقي وحلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها
320 حلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

في كل زمان، فالأتقياء والأنقياء يُصـــلي عليهم إمام الأولين والآخرين ﷺ ... وماذا تعني صـلاته؟ مات أحد الصـحابة في عصـره ﷺ، وكانوا مهذبين ومؤدبين مع رســول الله، فلو وجدوه في بيته وأغلق عليه، يتركوه ولا يُشــغلوه، فصَــلُّوا على هذا الرجل ودفنوه، فلما علم رسول الله ﷺ قال لهم:

{ أَفَلَا آذَنْتُمُونِي؟! ثم قال: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاتِي عَلَيْهِمْ } [321]

ما الذي يُنوِّر القبور؟

صلاة رسول الله ﷺ على المؤمنين والمؤمنات.

حال المؤمن عند الموت

حال المؤمن عند الموت:

في رضوان الله، وإكرام الله، وعطاء الله، يفرح ويقول لمن حوله:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (34فاطر):

لماذا تحزنون؟!!

321 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

أنا تركتُ لكم الهم والغم والمشاكل التي تعيشون فيها، وأنا ذاهب لحضرة الكريم في جنة النعيم، فيخرج من الدنيا إلى الحياة البرزخية في روضة من رياض الجنة.

الذي يريد أن يقرأ عن الموت، ويعرف المعاني الصحيحة، فهناك كتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) للإمام القرطبي ﵁، أو كتاب: (شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور) للإمام السيوطي ﵁، أو كتاب (الروح) للإمام إبن القيم ﵁، فهذه هي الكتب المعتمدة، ولا تأتي بالكتب الأُخرى التي ليس لها أساس من الدين ولا من الشرع ولا من التاريخ، أو تقرأ كتب التفسير، فكتب التفسير كلها تتحدث عن فضل الله علينا في الموت.

وأنا في الحقيقة لي كُتيِّب صغير اسمه: **(بشائر المؤمن عند الموت)** جمعتُ فيه الأحاديث الواردة عن البشريات التي تأتي للميت، وجمعتُ فيه عشر بشريات من كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله، التي يراها ساعة الموت ليستبشر بفضل الله، لأن الله ﷻ يُحب المؤمن، وعندما يموت يريده أن يُبشره، فتأتيه هذه البُشريات ليفرح بلقاء الله، فيفرح الله بلقائه.

نســأل الله ﷻ أن يُلحقنا بالصــالحين، وأن يتوفانا مع الصــادقين، وأن يجعلنا من عباده المسـتبشـرين، وأن يواجهنا بفضـله ورضـوانه في كل وقت وحين، وأن يجعلنا في الدنيا من عباده الذاكرين الشـــاكرين القائمين المصـــلين العابدين الطائعين لرب العالمين في كل وقت وحين، وأن يتوب علينا من كل ذنب فعلناه، ويمحو عنا كل إثم ارتكبناه، ويُبدِّل سـيئاتنا بحسـنات، ويرزقنا جميعاً صــلاة الحبيب علينا عند الممات، وأن يجعل قبورنا روضةً من رياض الجنات

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ (الفجر)

19.إشارات العارفين في خواتيم سورة الفجر [322]

بِسْـــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله رب العالمين الذي أكرمنا ببحار العلوم الإلهية مع حبيبه ومصـــطفاه، وأفاض علينا من بحار حضـــرته النبوية ما لو أخذ الإنســـان منا ذرةً منها لأغنته في دنياه، وأعلت شـــأنه وقدره عند الله في أُخراه، اللهم صـــلِّ وســـلِّم وبارك على ســـيدنا محمد الذي قال له مولاه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (113النســـاء) وارزقنا الله أجمعين التأســـي به في ما طلبه منه رب العالمين، بأن نُكرر على الدوام في كل لحظةٍ على مدى الأيام قول الملك العلام: ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (114طه) ....

صلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، العلماء الحكماء الفقهاء .. الذين كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.

هناك إشارات للعارفين في تلكم الآيات القرآنية، للسالكين إلى رب البرية ﷻ.

---

322 الأقصر – إسنا – طفنيس - غرة جمادي الآخرة 1440هـ 2019/2/6م

الموتة الاختيارية

فإن الموت موتان، موتةٌ إرادية، وموتةٌ قهرية، وكل الناس يموتون الموتة القهرية: ...﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (34الأعراف).

أما الصالحون والمُخلَصون، فيموتون موتةً بإرادتهم عن شهواتهم وحظوظهم وأهوائهم وإراداتهم فناءاً في مراد الله تبارك وتعالى.

لا يكون له مرادٌ غير مراد مولاه، ولا تشتهي نفسه من الطيبات إلا النظر إلى جمال وجه الله، أو التمتع بوجه حبيب الله ومصطفاه.

هذه الأمور تحتاج إلى قول الإمام علي ﷺ: (مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا) القول سهل، ولكن المشكلة في التطبيق، فالحُفَّاظ كثيرون، لكن الموفقين للعمل أقل من القليل.

هؤلاء يقول فيهم الله في كتاب الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى

بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (122الأنعام) لئلا تظن أن النور يكون يوم القيامة، لكن هذا النور يمشي

به في الناس بعد أن مات، فلم يعد له شهوة في طعام، ولا لذَّة في مأكل، ولا يجد طعماً سائغاً روياً في مشرب، لكن هذه الأشياء كلها يأخذها على أنها أدوية إلهية للحفاظ على الجسد من البلاء والفناء.

فالأكل كله له دواء، وشـــهواته كلها إلهية أو روحانية، أو على الأقل ملكوتية، وشـهوات ملكوتية يعني شـهوة الطاعة، من قيام الليل، وصـيام النهار، وتلاوة القرآن، وهذه شـهوات الصـالحين المبتدئين .. لكن الصـالحين الكُمَّل ليس لهم شـهوة ولا أمل إلا في النظر إلى وجه الله، والتمتع بحبيب الله ومصطفاه ﷺ:

وغاية بغيتي يبدو حبيبي   بعين الروح لا يبدو خفيا

فهذا أملهم، وهذا مطلبهم.

المجاهدة للمشاهدة [323]

أهل الفناء هؤلاء لهم درجات يجتازونها في جهاد النفس (جاهد تشـــاهد)، لكن الآفة الموجودة في هذا العصـر والتي نعاني منها العناء الشـديد، أن الناس يريدون أن يصلوا إلى فضل الله بدون جهاد، ولا صبر، ولا عناء،

---

323 للشيخ فوزى محمد أبوزيد كتاب من أسس كتب التصوف اسمه (المجاهدة للصفاء والمشاهدة)، الناشر.

ولا تعب: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (46فصلت) كيف يجدوا ذلك؟!! هذه سُنَّة الله: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (62الأحزاب).

فإن الإنســـان إذا أراد ما عند الله لا بد أن يجاهد نفســـه، فالذي يُريد أن يتزوج بامرأة لا بد أن يجاهد ليبني لها مكاناً تســـكن فيه، ويجاهد ليؤســـس المكان، ويجاهد ليرضيها حتى توافق عليه، فنبي الله موسى عليه السلام أجَّر نفسه عشر سنين راعي غنم حتى يسدد المهر لزوجته!!. فلا بد له من الجهاد، وكيف يكون هذا الجهاد؟

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ ... حتى تدخل في: ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ (78الحج).

مراتب النفس

وأهم ما يحتاج إلى الجهاد النفس، والنفس هي مجموعة الرغبات التي تســـيطر على الإنسان وتتحكم فيه، وبحسب رغباتها نعطيها وصفها.

هي نفس واحدة لكن في البداية رغبتها تكون في الشـــهوات والحظوظ والأهواء والملذات، وتوسوس لي في صدري بها على الدوام، وقد قال لنا الله فيها: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (53يوسف) هذه النفس اسمها النفس الأمارة.

إذا جاهدتها، ولم أُسلِّم لها، وقاومتها، فأسألها: هل ما تريديه في شرع الله، أم مخالف لشرع الله؟! وأنا أُريد الجهاد، ففي البداية قد لا أستطيع جهادها، فتضحك عليَّ أحياناً، وعندما تضحك عليَّ، فإن النفس الأُخرى تلومني وتؤنبني وتوبخني، وهذه اسمها النفس اللوامة: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (2القيامة).

وهي بداية السير الصحيح في الطريق إلى الله ﷻ، أنها تلومني كلما أُخطئ، وكلما أسهو، وكلما أنسى، وكلما أجفو، لأستقيم على النهج السوي الذي كان عليه حضرة النبي ﷺ وصحبه الكرام.

فإذا مشيت في جهاد هذه النفس، وقويت النفس اللوامة، فإن الله يُعينني من عنده، ويُعطيني النفس الملهمة، التي تُلهمني بفعل الخير، وتنبهني للبعد عن عمل الشر وما يُغضب الله ﷻ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ ﴾ (الشمس).

وكما قلت: هذه كلها أوصاف لمرحلة من مراحل النفس، وهذه الأمور والحمد لله قد استوفيناها شرحاً وتفصيلاً في كتابٍ عظيم قد لا يُوجد له شبيهٌ في اللغة العربية اسمه (النفس وصفها وتزكيتها) وهذا الكتاب يقرأه الباحثون، كمرجع لهم في رسائل الدكتوراه والماجستير، ونحن جميعاً في حاجة إلى دكتوراه في معرفة الله!.

ولكي أُجاهد في هذا المقام لا بد أزن هذه الإلهامات وهذه الخواطر بميزان الشــريعة المطهرة، فكل إلهام أُلهمت به أعرضـــه على شـــرع الله، فإن رأيته موافقٌ لشرع الله أمضيته واستعنت بحول الله وطول الله وقوة الله جل في عُلاه.

وإن رأيته يخالف شـــرع الله ضـــربتُ به عرض الحائط، لأنه يكون إلهاماً من النفس الإبليسية، نسأل الله الحفظ منها ومن وساوسها أجمعين.

وإذا مشـــيتُ على هذا المنهج العليِّ في الإلهام وميزانه بشـــرع الملك العلام، ســأصــل إلى مقام أســمع النداء في باطني بدون آذان ولا أصــمخة ولا هواء: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ التي اطمأنت إلى ذكر الله، واطمأنت إلى طاعة الله، واطمأنت للاقتداء بسيدنا رسول الله، واطمأنت إلى توحيد المطلب، فلا تطلب غير وجه الله.

أين تذهب؟ ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ فيُعيدها إلى المربي الأعظم ﷺ، والرب هنا الذي يقوم بالتربية، ومن الذي يقوم بالتربية لكل الأولين والآخرين؟ سيدنا رسول الله ﷺ.

﴿ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ فيخلع عليها خِلع الرضـــا، ويوافيها بالفتوحات، ويواليها بالإكرامات، إلى أن تكون راضـــية تمام الرضـــا عن هذه العطاءات وهذه الفتوحات، وهذه اسمها (النفس الراضية) ليست راضية بالمال والعيال وما شابه، لكنها راضية بالعطاء الذي خُصَّ به الصالحون والأولياء.

﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ بعد أن ترضـــى بهذا العطاء، فإن الله ﷻ يُزيدها من عنده، فيُحاول أن يتلمَّس رضـاها، ويُدخلها في قوله: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (34الزمر) وهؤلاء يقولون فيهم: إن لله عبـاداً لا يحوجهم الله إلى حركـة اللسان، وإنما يستجيب لهم فوراً بما يخطر على القلب والجنان.

بدون أن يسأل، فيكون حاله كحال أهل الجنة التي وصفناها، فبمجرد أن يخطر على باله شيء، يجد هذا الشيء أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه، تسخيراً من الله، وتذليلاً من الله لأنه ارتقى إلى مقام النفس المرضـــية، والنفس المرضـــية يســـعى كل الكون في ارضـــائها، فتتنافس الملائكة في ارضـــائها، وتتنافس الكائنات جميعاً في ارضـــائها، لماذا؟ لأنها نالت الرضـــا من الله، ودخلت في قول الله: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (22المجادلة)أخذت الحسنيين.

فإذا أكرم الله هذا العبد، وأظهر لله ﷻ زُهده في كل هذه المقامات، فكلما عرضوا عليه شـــيء، يقول: أنا لا أُريد إلا وجه الله، فيُجمِّله الله بنفس محمدية اســـمها (النفس الكلية) فيأخذ الوراثة الجامعة لسيدنا رسول الله ﷺ.

سيدي أبو اليزيد البسطامي ؓ كان من هؤلاء الرجال ...

صلى العشاء ذات يومٍ في بيت الله وخرج إلى منزله، وأحد الذين يتعشَّقوا أحوال الصالحين مشى خلفه، يريد أن يعرف كيف حال هذا الرجل مع الله في خلوته.

فدخل الخلوة، وجلس الرجل ينظر، فنوى الشـــيخ أن يُصـــلي ركعتين لله، وبقي الليل كله واقفاً بين يدي مولاه، وكأنه في حالة ذهول وغائب، لأنه في مشاهدات عليَّة، والإنســان في حال المشـاهدات لا يشـعر ولا يحس بمن حوله من الكائنات، وهذا حال كل الصالحين.

ســيدي أحمد البدوي ؓ كان يختلي في غار حراء الذي كان يختلي فيه حضــرة النبي، ومكث فيه ســـبع ســـنين، وكان آونة يقف أمام الغار أربعين يوماً، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يجلس، لأنه مأخوذ!.

وهذه الأحوال لا نتشـــبَّه بها، ولا نقلدهم في اتيانها، لأنـه مـأخوذ من عند الله ومعان، فلو عملتها من نفسي سيكلني الله إلى نفسي ولا أستطيع عمل شيئا.

وعند مقربة الفجر ختم الركعتين وسلَّم، فنظر فوجد الرجل جالسـاً، فقال له: منذ متى وأنت هنا؟ قال: منذ صلاة العشاء، فقال له: وماذا تريد؟

قال: أُريد أن تحكي لي شيئاً مما رأيته في هذه الليلة؟ قال: لا تستطيع أن تتحمَّل، فأخذ يتوسَّل إليه، ويستعين بذكر النبي ﷺ متوسلاً والصالحين لديه، ليحكي له شيئاً مما رآه في هذه الليلة، وفي النهاية قال: سأخبرك بشيء تستطيع تحمله:

فقد أخذ الله روحي في هذه الليلة وعرض عليَّ جمالات الدنيا كلها، فقلت: وعزتك وجلالك لا أُريد هذا، فعرض عليَّ جمال عوالم الملكوت، فقلت: وعزتك وجلالك لا أُريد هذا، فعرض عليَّ جمالات الجنة، فقلت: وعزتك وجلالك لا أُريد هذا، وكلما عرض عليَّ عالم من العوالم العلية، أقول: وعزتك وجلالك لا أُريد هذا !!

فأوقفني بين يديه، وقال: وماذا تريد؟ قلت:

لا أُريد إلا جمال وجهك !، قال:أنت عبدي حقاً ..، ووليّ صدقاً.

أهل المنازل العالية في الجنة

فهؤلاء هم أصحاب الأحوال العالية ...

وقد ورد في الأثار المتنوعة أن أهل الإيمان سيدخلون الجنة ويضعونهم في أعلى المنازل الراقية في الجان، ويأمر الله الملائكة أن تعرض عليهم كل طرائف الجنة ومُتع الجنة،

فلا يرضــون بالطعام والشــراب ولا بأي مُتعة من هذه المتع، فتســألهم الملائكة عن سر ذلك، فيقولون: تركناها ونحن أحوج ما نكون إليها في الدنيا، وعزتك وجلالك لا نريد إلا جمال وجهك، كما قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَــيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ } [324]

هل دخلنا الجنة للطعام والشــراب والنســاء وغير ذلك!!؟ لا، بل لأن فيها وجه الله.

رجل صـــحابي عظيم قالوا له: هل تُحب الجنة؟ قال: نعم، قالوا: ولم؟ قال: لأن فيها رسول الله ﷺ!.

324 صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي رضي الله عنه

ليس لأن فيها الحور والقصور والبساتين، ولكن أنا داخل الجنة لأن فيها رسول الله ﷺ، وهي الموضع الذي يتجلى علينا الله فيه بوجهه الجميل:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة)

هؤلاء يقول فيهم الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حُسنها بالزهد همَّتهم
لا كُفء لله يحجبهم فيبعدهم أحدٌ تنزه تعلمه سريرتهم

ماذا يفعلون بالجنة وبما في الجنة؟!

فكل واحد منا عندما يخرج من الدنيا ... يظهر له مقعده في الجنة .... ونعيمه المجهز له في الجنة ...

سيدنا عمر بن الفارض رضي الله عنه في هذه اللحظات :

رأى الهيلمان العظيم الذي له في الجنة، فقال:

فإن تكُ منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

إن كانت هذه منزلتي عندك، فأيامي ضاعت هدراً !!

وماذا تريد؟ قال:

أمنيــةٌ ظفرت نفســـي بهــا زمنــاً والـيـوم أرآهـا أضـــغـاث أحـلامِ

أنا أريد الأمنية التي كنتُ أحلم بها طوال عمري .... وهي النظر .... إلى وجه الله سبحانه تعالى.

فلا بد من: (جاهد تشـــاهد) لا بد للإنســـان أن يجاهد ويُعلِّي الهمة،.... إياك أن يكون طلبك من الله داني، لكن اجعل طلبك من الله دائماً راقي، لتكون لك ... منزلة كبيرة وكريمة عند الله ﷻ.

إياك أن تقول: أنا أُريد أن يدخلوني الجنة وفقط، لكن ما دام الله قد فتح لك الباب وقال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الواقعة) فلمَ تترك هذا المقام وتقول: يكفيني مقام أهل اليمين؟!!.

لكن لا بد أن تعلِّي همتك، وعُلوُّ الهمة يحتاج إلى الدليل والبرهان بجهاد النفس، وجهاد النفس يحتاج من الإنســان إلى الرجل الذي يُشــرف على جهاده، ويُرقِّيه حسّــاً ومعنى، ويصبر معه حتى ينال مراده إن شاء الله.

نسأل الله ﷻ أن يمُن علينا برضاه، وأن يُحقق أملنا في النظر إلى وجه الله، وأن يُمتع قلوبنا بجمال حبيبه ومصطفاه، وأن يجعل لنا همةً عالية فيما عند الله، وأن يجعلنا دائماً وأبداً نسعى في رضاه

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن علينا للهدى ﴿١٢﴾ وإن لنا للآخرة والأولى ﴿١٣﴾ فأنذرتكم نارا تلظى ﴿١٤﴾ لا يصلنها إلا الأشقى ﴿١٥﴾ الذى كذب وتولى ﴿١٦﴾ وسيجنبها الأتقى ﴿١٧﴾ الذى يؤتى ماله يتزكى ﴿١٨﴾ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴿١٩﴾ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴿٢٠﴾ ولسوف يرضى ﴿٢١﴾ ﴾ (الليل)

20.الأتقى 325

بســـم الله الرحمن الرحيم – الحمد الذي ذكر لنا في قرآنه الكريم النماذج الطيبة لخاصـــة المؤمنين، وأعلى المقربين، وما لهم من عظيم الأجر والثواب والعطاء عند رب العالمين ﷻ، والصـلاة والسـلام على سـيدنا رسـول الله، مصـدر كل الخيرات، وكنز كل المبرات، والأُسـوة الطيبة للصـالحين والصـالحات، والشـفيع الأعظم لجميع الكائنات يوم الميقات، صـلى الله عليه وعلى آله وصـحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يارب العالمين.

الآيات التي معنا اليوم لوحة شـرف أعطاها الله لسـيدنا أبي بكر الصـديق ﵁ وأرضـــاه، حتى إذا أراد أي أحد من المؤمنين من بعده إلى يوم الدين التكريم الإلهي، وأراد الشرف الأعلى، وأراد العطاء الأغلى، فينظر إلى هذا النموذج الكريم الذي بيَّنه لن العزيز الحكيم ﷻ.

الهدى هدى الله

وبدأ الله ﷻ هذه الآيات بإقرار حقيقة ينبغي أن نعيها جيداً جماعة المؤمنين، لنعرف فضل الله علينا بالإيمان، فنشكره تبارك وتعالى على نعم الإيمان في كل وقت وحين:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ الهدى بيد الله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ (73آل عمران).

325 الأقصر – إسنا – طفنيس - 2 من جمادي الآخرة 1440هـ 2019/2/7م

فلو أنت أحببت إنساناً حباً شديداً وهو بعيد عن الله، وأردت أن تقربه إلى حضرة الله، فإن لم يكن له نصيب من فتح الله فهل تستطيع أن تفعل معه شيء؟! لا، حتى ولو كان ابنك، فسيدنا نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام حاول مع ابنه المستحيل لكن لا فائدة، لأن الهداية من الله ﷻ.

وسيدنا رسول الله ﷺ عمه أبو طالب كان هو سنده، وهو الذي يدافع عنه، وهو الذي يصد الكافرين، فكان يطمع في أن يؤمن ليحظى بشفاعته عند رب العالمين، ... فقال له الله وقال لنا كلنا:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (56القصص).

هداية الهداة

إذاً ماذا علينا؟ علينا هداية البيان، فنُبيِّن ونوضح، لكن هداية الإحسان فهي من الحنان المنان ﷻ: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ (48الشورى) نبين ونوضح وليس علينا شيء غير ذلك.

لكن الله أعطانا شيء آخر يعيننا على بلوغ هذا المراد، فإذا أردت لقريب أو بعيد أن يهديه الله، فتُبيِّن له وتدعو له، ثم تطلب من الله أن يهديه، وهذا أمر متاح ومباح، وعندما تدعو فإن الله يستجيب لك الدعاء ويتحقق الرجاء.

وهذا ما وضح في دعاء رسول الله ﷺ عندما اشتد قومه في مكة عليه وقال:

{ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ،أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ } [326]

سيدنا عمر في هذا اليوم أمسك بسيفه وذهب إلى المكان الذي فيه حضرة النبي وصحبه المباركين، فسألوه: ماذا ستفعل؟ فقال: سأقتل هذا الرجل لأريح قريش والعرب منه، فقال له أحدهم: قبل ذلك انظر إلى أختك وزوجها فقد دخلا في الإسلام!!

فجنَّ جنونه، وتحول على بيت أخته، وكان عندهم رجل يُقرؤهم القرآن، ... فلما طرق الباب وعرفوا صوته خبأوه، لأن سيدنا عمر كان من الأشداء، فقد كان طويلاً وعريضاً وبه قوة لا يستهان بها.

ولكن سيدنا عمر كان قد سمع صوته وهو يقرأ القرآن قبل أن يطرق الباب، فقال لهم: أين الذي كان يقرأ؟ فقالوا له: لا يوجد أحد هنا، فقال لهم: سمعت أنكم دخلتم في الإسلام، وأمسك بزوج أخته وألقاه على الأرض وهمَّ أن يضربه، فأرادت أخته أن تمنعه فضربها، وسال الدم من أنفها، فلما رأى الدم رقَّ قلبه، وتركها وترك زوجها، وكان هذا الوقت وقت استجابة دعاء رسول الله.

326 جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

فقال لهما: ما هذا الذي سـمعته قبل أن أدخل؟ .. فقالوا له: هذه آيات من القرآن، فقال: أريد أن أسمعها، فخرج القاريء من مخبأه لأنه اطمأن، فقالت له أخته:

لا تستطيع سماعها وأنت مشرك نجس، ولكن يجب أن تغتسل أولاً، وتتوب إلى الله حتى نُسمعك كلام الله جل في علاه.

ثم قرأ القاريء آيات من أول سورة طه: ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾ (طه) فانشـرح صدره للإسلام ونطق بالشهادتين في الحال.

ثم ذهب لحضرة النبي ﷺ، وحضرة النبي في بداية الدعوة كان يجتمع بأصحابه في دار رجل اسمه الأرقم بن أبي الأرقم سراً حتى لا يعرف أحد مكانهم.

وكانوا قد جعلوا طرقة مخصـوصـة على الباب لهم، فالذي يطرق هذه الطرقة يعرفوا أنه منهم فيفتحون له ويظلون كما هم، والذي يطرق طرقة مخالفة يختبئون خوفاً من أن تكون كتيبة من الكافرين والمشركين جاءت لتؤذيهم أو تسبب لهم أي ألم.

فطرق عمر الباب وسـمعو صـوته، فقاموا ليختبأوا، فمنعهم رسـول الله ﷺ، وأمرهم بالبقاء مكانهم، لأن رسـول الله ﷺ عرَّفه ربه، ودخل سـيدنا عمر وأعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ، وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مِتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: بَلَى،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ، قَالَ: فَفِيمَ الاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا وَأَنَا فِي الآخَرِ لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا [327] }

خرجوا في صفين، الصف الأول أمامه عمر بن الخطاب، والصف الثاني أمامه حمزة بن عبد المطلب، وحضرة النبي ﷺ مشى في المؤخرة في المنتصف، وخرجوا في هذا الموكب من دار الأرقم بن أبي الأرقم حتى وصلوا إلى الكعبة.

وهذه سُنَّة المواكب التي اتخذها السادة الصوفية رضي الله عنهم وأرضاهم، فقد أخذوها من هذه، حتى لا يقول أحد: لماذا تصنعون هذه المواكب؟! وما مصدرها؟! هذا مصدرها، فهي واردة في الأحاديث الصحيحة.

ومشى الموكب حتى وصلوا إلى بيت الله الحرام ودخلوا جميعاً وصلُّوا أمام قريش، ولم تستطع قريش أن تقدم لهم أي ايذاء لأن الله ﷻ عصمهم وحفظهم من ذلك بحفظه وصيانته تبارك وتعالى.

---

327 دلائل النبوة لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما

فنحن علينا هداية البيان لأي إنســـان، والذي نُحبه ندعوا له، ونُلح في الدعاء، والله ﷻ وعدنا بأن يستجيب لنا الدعاء، وبسبب استجابة الدعاء قد تتحق الهداية لهذا الرجل، أو لهذه المرأة، أو لهذا الولد، أو لهذه البنت.

كثير من الأحباب المؤمنين يرى ابنه في فترة من الفترات كفترة الشـــباب وقد أخذه الطيش، لأن فترة الشـــباب كلها غرور، فيتســـرع الأب ويدعو عليه، لماذا يا أخي؟!! أنا أحزن عندما أرى أحد من المؤمنين يدعو على أحد من أولاده!! والنبي ﷺ قال:

{ لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ }[328]

فلو استجاب الله لك ستندم، لأنك أنت الذي ستحمل ذلك، فلو دعوت على ابنك بأن يبتليه الله بمرض!!، فمن الذي سيحمله عندما يمرض؟! أنت، وستطوف به البلاد للعلاج، لكن لو دعوت له بالهداية فهذا أفضل.

328 سنن أبي داود واتحاف المهرة لابن حجر عن جابر بن عبد الله ﷺ

نريد من المؤمنين أن يستبدلوا بالدعاء على، إلى الدعاء إلى، فبدلاً من أن ندعوا على الأولاد وعلى البنات وعلى الأموال ندعوا لهم، والدعاء لهم محقق الإجابة إن شاء الله ،وبهذا وعدنا الله، وبهذا أمرنا سيدنا لله ﷺ.

لو دعوت لابني بالهداية فلا أستعجل، ولكن أصبر، لأن عليَّ الدعاء، والله ﷻ يستجيب لك في الوقت الذي يشاء فيه، لا في الوقت الذي تريده أنت، يستجيب لك في الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد، لأنه أعلم بمصالح العبيد سبحانه وتعالى.

الصادق مع الله في غنى في الدارين

﴿ وإنّ لنا للآخرة والأولى (١٣) ﴾:

كثير من الناس يعتقد أن الذي يمشي في طريق الله سيكون له الآخرة فقط، لكن كل الذي يمشي في طريق الله صادقاً فله الدنيا والآخرة.

والأولى هي الدنيا، ونحن رأينا ذلك، فلا يوجد رجل صدق مع مولاه إلا وأحياه الله الحياة الطيبة، وفرَّحه بكل ما له وما حوله، وله بعد ذلك في الآخرة ما يشاء الله من النعيم المقيم، وجوار النبي الرءوف الرحيم ﷺ.

فنريد أن نُلغي هذه الفكرة، لأن كثير من الناس تدعوه إلى السير في طريق الله، فيقول لك، أنتم تريدون الآخرة، ولكن أنا أريد أن أرى الدنيا أولاً، وبعدها أسير معكم!!.

لكن أقرب طريق لنوال متع الدنيا طريق الله ﷻ!، فالقانون الإلهي قال:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ماذا له في الدنيا؟

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (97النحل) والحياة الطيبة ليس شرطاً أن يسكن في فيلا، أو يكون معه سيارة أحدث موديل، لكن أهم من ذلك أن يعطيه الله راحة البال، فهل هناك نعمة في الدنيا أغلى من راحة البال؟!! لا يوجد أبداً.

فلو نام الإنسان على تراب ولكنه مرتاح البال فسيكون نومه هنيء مريء، ولو نام في قصر، وعلى سرير إيطالي أو ألماني ولكن عنده هموم ومشاكل، فإنه يظل طوال الليل يتقلب يميناً وشمالاً، ويركبه الهم والمشاكل، وفي الصباح يقول: لم أنم طوال الليل لحظة واحدة!!.

فالذي يُنيِّم ليست القطيفة أو الحرير، لكن راحة البال!!

فالرجل الذي كان وزيراً في بلاد فارس، وأراد أن يزور عاصمة الدولة الإسلامية ويرى الخليفة، فوصل الرجل بعد صلاة الظهر، فسأل عن الخليفة، فلم يعرفوا مكانه، لأنه ليس له حرس ولا سكرتارية ولا مجلس رئاسة ولا شيء من ذلك، فمشى معه رجل ليبحث له عنه، وهذا الوزير كان يعرف أن الملوك في بلاد فارس لهم قصور، وحرس أشداء، وبذخ وترف ومجوهرات، وأشياء لا تخطر على البال، ولذلك كان يعتقد أن الخليفة له قصر مثل ذلك.

فمشى مع الرجل حتى وجدا سيدنا عمر نائماً على الأرض تحت شجرة، لأن الجو كان حاراً، فذهب عمر ليستظل بها ونام على الأرض بدون فرش ولا غيره،!!

فنظر إليه الرجل وقال:

(حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر!.)

بسبب العدل أصبحت آمناً من كل الناس، فليس لك أعداء، لكن الأكاسرة والقياصرة يخافون حتى من أقرب المقربين لهم، بل إن معظمهم لا يأكل طعام إلا إذا ذاقه الطباخ أمامه أولاً، حتى يطمئن خوفاً أن يضع له فيم سمّ!!.

راحة البال

فراحة البال يجعلها الله للمؤمنين في حياتهم الدنيا، وراحة البال تأتي من أن الله ﷻ يحقق لي ما أتمناه، ولا يعطيني الذي يُطغيني ويُلهيني ويُنسيني رب العالمين، فيعطيني على قدر حالي، فلو احتجت أربعمائة جنيه في الشهر، يأتيني بهم الله، لكن يُنزل معهم البركة، فيكفوني وزيادة!!، ولو احتجت إلى ألف جنيه في الشهر يأتيني بهم، ومعهم البركة فيكفوني وزيادة.

وهذه هي الحياة الطيبة التي جعلها الله للمؤمنين والمؤمنات في الدنيا، أن الإنسان ينام وليس في قلبه حقد على أحد، ولا كره ولا بغض لأحد، ولا بينه وبين أحد عداء، وإنما قلبه سليم لأنه جهَّزه لمناجاة الكريم ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (97النحل) وفي الآخرة: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (97النحل)

أخبرنا الله لننتبه أن الدنيا والآخرة لنا، فالرجل الذي يمشي في طريق الله، ويأخذ بضاعة الله، سيكفيه كل هموم دنياه، ويكفيه كل ما يخاف منه ويخشاه في أخراه، ...ويكون في أمن الله ﷻ.

النار والمؤمن

ثم بعد ذلك يبين الله لنا النار لنعرف أنه لا علاقة لنا بها:

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾

وتلظَّى يعني توقد، ونار الآخرة:

﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ (24البقرة).

لكن مَن الذي يدخلها: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾ ويصــلاها يعني يذوق عذابها،

ومَن الأشـقى؟ قيل: الأشـقى هو الذي لم يؤمن بـالله ورسـوله، يعني الكافر والمشـرك، وهم الذين سبقت لهم الشقاوة من عند الله ﷻ، فلو عرضنا عليه كتاب الله، أو عرضنا عليه دين الله سيُكذِّب: ﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ ويعرض عنا أيضاً.

لكننا لا شــأن لنا بها: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾ الأتقياء لا شــأن لهم بالنار من بعيد

أو من قريب، لكن بعد أن ندخل الجنة ونتمتع بها، ســـيتم عمل رحلة للمؤمنين إلى جهنم ليشـــاهدوا أهلها، حتى نعرف فضـــل الله علينا!!، فنذهب، وعندما يدخل الواحد فينا جهنم ستقول له كما أخبر ﷺ:

{ تَقُولُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِ جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لهبي } [329]

تريد أن لا تنطفأ لتُعذب هؤلاء القوم، وكما نحن نقول في المثل: (النار لا تحرق مؤمن أبداً!) فحتى عندما يدخل فيها تطلب منه أن يمر ســـريعاً خوفاً من نوره أن يطفؤها.

عندما يريد ملائكة النار أن يزيدوا من عذاب أهل النهار يكشـــفون لهم عن أصـــحابهم في الجنة، لكن وهم في مكانهم، فيرونهم من فوقهم، فيقولون لهم كما أخبر القرآن:

﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (50الأعراف) حتى ولو قطرة ماء، أو شيء مما أعطاه الله لكم، لكن يقولون لهم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠ ﴾ (50الأعراف).

329 معجم الطبراني والبيهقي عن يعلي بن مُنية رضي الله عنه

صفات الأتقى

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ﴾ الأتقى هو الذي يخشى الله، ويعمل بما أمره مولاه، ويبتعد عن كل ما عنه نهاه ﷻ، ويقتدي في كل أعماله وأحواله بسيدنا رسول الله ﷺ.

﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ ﴾ ويتزكَّى هنا ليس معناها إخراج الزكاة، ولكن يُخرج ماله ليُطهِّر نفسه، ويُطهر ماله، ويزداد اقبالاً على الله تبارك وتعالى، هذه الآية : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ ﴾ نزلت في سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه، فأهل مكة كانوا أشداء على المسلمين وخاصة الضعفاء، لكن الذي من عائلة كانوا يخافون منه بسبب عائلته، فالذين ليس لهم أحد، وهم بصفة خاصة الذين كانوا عبيداً، وكانوا يبيعونهم ويشترونهم، فهؤلاء كانوا يشتدون في عذابهم أشد العذاب.

سيدنا بلال ﷺ مؤذن الرسول ﷺ كان عبداً عند أحد الكافرين وهو أمية بن خلف، فكأن يأخذه في الحر الشديد، وحر مكة شديد جداً، ويذهب به إلى الصحراء، ويخلع له ملابسه ويجعله عرياناً،

ويلقيه على رمل الصـــحراء، والرمل في هذا الوقت يكون كالفرن، ويأمر الآخرين من العبيد أن يضعوا صخوراً كبيرة على صدره، حتى لا يستطيع أن يتحرك يميناً ولا شمالاً!!، وكذلك يضربونه بالسياط، ويقول له: لن نرفع عنك هذا العذاب إلا إذا رجعت للكفر، وهو لا يزيد عن قول: أحد أحد أحد، والأحد هو الله ﷻ، ســـيدنا رسول الله ﷺ مر عليه في يوم، فوجده لا يزيد عن قول: أحد أحد ... فقال له ﷺ:

{ سَيُنجِيكَ أَحَدٌ أَحَدٌ يَا بِلالْ }[330]

وبعدها قابل ســـيدنا أبو بكر، وانظر إلى الصـــادقين، لا يحتاجون لأوامر ولكن بالتلميح، فالذي يحتاج إلا الأوامر هو مســـكين في طريق الله ﷻ، لأنه لا يعمل شـــيء إلى إذا طلبت منه وتُلح عليه، وهذا لا يصـــح، فحكى رســـول الله لأبي بكر ما يحدث لبلال من العذاب، ففهم ســـيدنا أبو بكر أن رســـول الله يريد منه أن يُفدي بلال، فذهب إلى أمية بن خلف، وقال له: لما ذا تفعل به ذلك؟!! هل تبعه لي؟ فوافق، ولكنه أخذ يساوم، وأراد أن يأخذ فيه أضعاف الثمن، سيدنا بلال لم يكن يملك شـيء، لأن بعض العبيد كانوا عند أسيادهم يصنعون لأنفسهم ثروة فيتركوهم، وكان عند سيدنا أبو بكر عبد ذكي، فكان يملك عشـــرة آلاف من الغنم، وكذا وكذا من المال من إنتاجه، غير خدمته لأبي بكر، فعرض عليه أبو بكر أن يدخل في الإسلام ويترك له أمواله،

330 ورد في السيرة الحلبية

فرفض هذا العبد، فوجدها أبو بكر فرصـــة، فقال لأمية بن خلف: أنا ســأعطيك العبد فلان وآخذ منك بلال، فوافق، وأخذ بلال وأعتقه، الكافرون بطبيعتهم يحبون الإشـــاعات، فقالوا: لا بد أن بلال له يد على أبي بكر، وله جمايل عليه، لذلك اشـــتراه وأعتقه، لأنهم لا يعتقدون أن أحد يعمل شيء لله .. وكثير من أهل زماننا هكذا، فالكثير لا يقضــي مصـلحة لأحد إلا إذا كان مقابل مصـلحة، ولا يُصـدِّق أن هناك أحد يقضــي مصلحة لأحد لوجه الله!!، بسبب الذي يعيش فيه.

فرد الله على الكافرين وقال لهم: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ ﴾ ليس لأحد نعمة ولا يد على أبي بكر، فلماذا فعل ذلك؟ ﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ ﴾ فعل ذلك لوجه الله سبحانه وتعالى.

وليس بلال وحده الذي أعتقه ســـيدنا أبو بكر، فقد أعتق ســـبعة من المؤمنين المستضعفين، لينقذهم من شدة وسطوة بأس الكافرين.

وأبوه في هذا الوقت لم يكن قد دخل الإســـلام، لأنه قد أســـلم في عام الفتح، حتى أن ســـيدنا أبو بكر عندما هاجر إلى المدينة تركه في مكة وحده، لأنه لا يوجد عندنا إكراه في الدين: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (256البقرة)

فقال له أبوه لما رآه يشتري هؤلاء الضعفاء: لِمَ لا تشتري عبيداً أقوياء يكونوا سند لك وتعتمد عليهم؟! قال: يا أبت هؤلاء سندي عند الله ﷻ!، فأبوه في واد، وهو في واد آخر!!، فهو يريد سنده عند الله ﷻ وليس عند خلق الله.

اكرام الله للصدِّيق

ولذلك أكرمه الله، فكما خصَّ الله حضرة النبي بعطاء لم يحصل عليه أحد من الأنبياء أشرك أبو بكر في هذا العطاء، فسيدنا موسى أسرع ليقابل الله على طور سيناء: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (84طه) أسرعت لترضى عني، لكن سيدنا رسول الله قال له الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (5الضحى) يعني سيعطيك الله في الزمن القادم وفي الآخرة، سيعطيك ما تريد إلى أن ترضى.

سيدنا جعفر الصادق ﷺ قال: (ولن يرضى وواحد من أمته في النار) لمَّا نزلت هذه الآية اجتمع أصحاب رسول الله في المسجد فرحاً بهذه الآية، وقالوا: لم نفرح بشيء فرحنا بنزول هذه الآية!، وقال فيها سيدنا حسان بن ثابت ﷺ:

قرأنـا في الضـحى ولسـوف يُعطي فسـرَّ قلـوبنـا ذاك العـطـاء
وحـاشـا يـا رسـول الله ترضـى وفـينـا مـن يُـعـذب أو يُسـاء

لن يرضـى أبداً إلا بعد أن يأخذ شـهادات عفو من العفو ﷻ لمن دخل جهنم، ويُدخلهم الجنة إن شاء الله.

نفس العطاء أعطاه الله لسيدنا أبو بكر فقال: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

سيعطيه كل ما يريد إلى أن يرضى!! ..

ما هذا الفضل العظيم؟!.

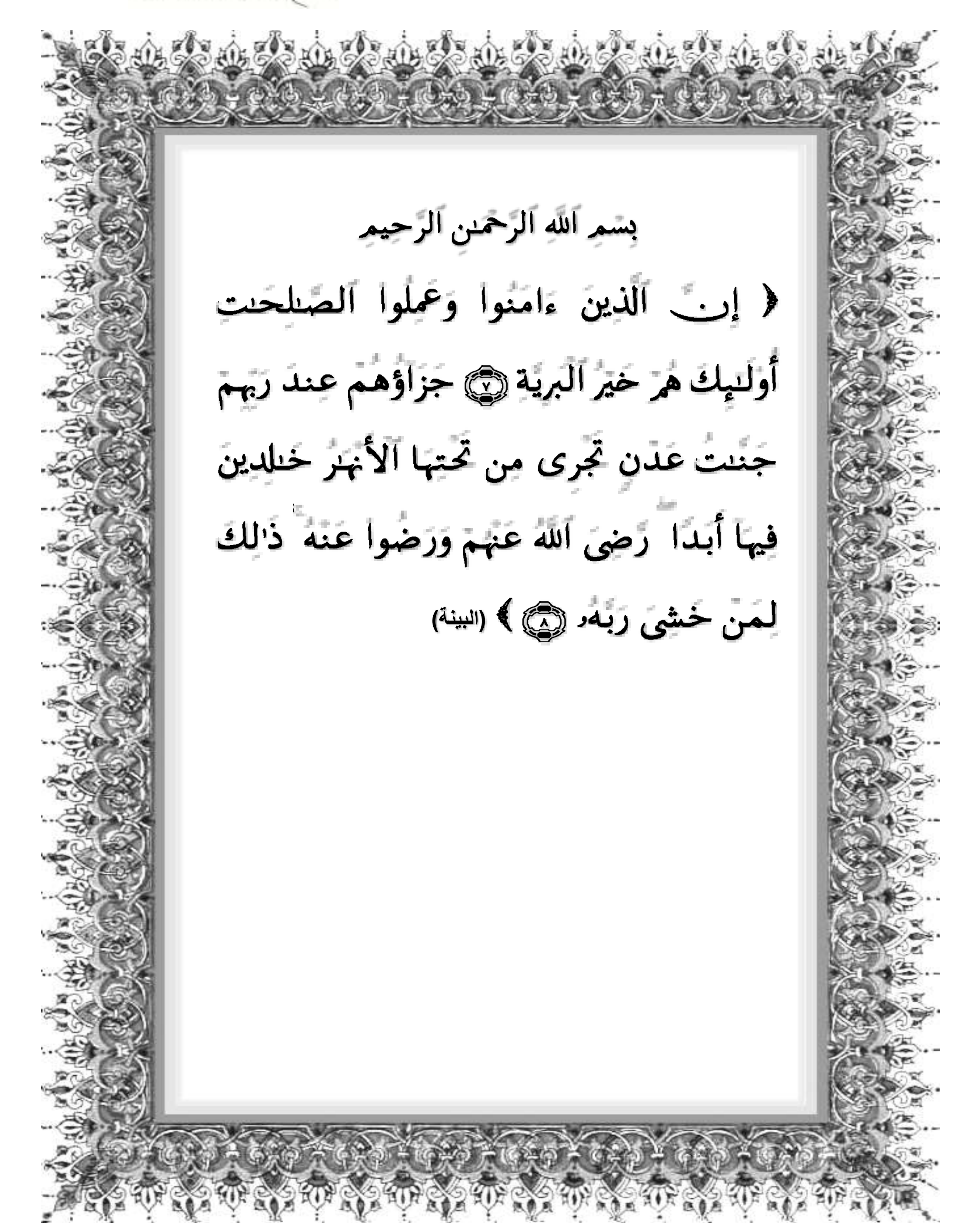
هذا الفضل ليس لأبي بكر وحده، ولكن لكل من يمشي على هذا الهدي الكريم، يعمل العمل لله، ولا يبتغي به إلا وجه الله، ولا يطلب الأجر والثواب إلا من حضـرة الله، ويشتري بكل ما يملك الطيبات التي جهَّزها الله للصالحين من عباد الله.

الذي يمشي على هذا المنوال سيأخذ رتبة الصِدِّيق، ويكون من: ﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ (69النساء) وأولهم أبو بكر الصديق ..!!

وهناك صـدِّيقون في الأمة إلى يوم القيامة، وهم الذين مشـوا على هذا النهج القويم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهيئنا لأحسن الأعمال فإنه لا يُهيئ لأحسنها إلا هو، وأن يرزقنا راحة البال، ويجعلنا دائماً وأبداً من عباده الذاكرين الفاكرين الحاضـــرين المطيعين لحضـرته في كل وقت وحين، وأن لا يشـغلنا بالدنيا طرفة عين ولا أقل عن الإقبال على حضــرته، وعن حســن الاقتداء بخير بريته، وأن يبارك لنا في أســماعنا وأبصـــارنا وقواتنا، وأن يبارك لنا في أولادنا وبناتنا وزوجاتنا، وأن يبارك لنا في أموالنا، وأن يبارك لنا في أوقاتنا، وأن يبارك لنا في كل أحوالنا حتى نكون من الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصلحت أولئك هم خير البرية ۝٧ جزاؤهم عند ربهم جنت عدن تجرى من تحتها الأنهر خلدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ۝٨ ﴾ (البينة)

21.خير البرية [331]

*** بســـم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله على هداه، والشـــكر لله على عطاه، والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه، وكل من آمن به وصدَّق به ورآه، وكل من آمن وصـــدَّق ولم يحظ برؤياه، واجمعنا جميعاً من الأولين والآخرين ظاهراً وباطناً على حضرة حبيب الله ومصطفاه؛ في الدنيا ويوم لقاء الله .. آمين آمين يارب العالمين.

الآيات التي معنا ومثلها كثير في كتاب الله، ذكرت أن شـــرط الإيمان لا بد أن يُقرن به العمل الصالح: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وكلمة الصالحات تجمع كل الآيات التي في كتاب الله التي تحض على الخيرات والمبرات والفرائض والواجبات، وكل الأحاديث الواردة عن رســـول الله ﷺ التي تحبب في النوافل والقربات.

فكل ذلك لا بد منه للمؤمن إن أراد أن ينال رضـــا مولاه، وأن يبلغ الدرجات العلى فوق الجنة.

فهناك الجنة، وهي منازل، وهناك فوق منازل الجنة منزلة أعلى وأرقى اســـمها منزلة الرضوان: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (72التوبة) أكبر من كل نعيم في الجنة.

---

331 الأقصر – إسنا –مسجد الطومية بطفنيس - 2 من جمادي الآخرة 1440هـ 2019/2/7م

أفضل الأعمال الصالحة

الذي يريد هذه الرتب العلية، وهذه العطاءات التي لأهل الخصوصية فلا بد أن يواظب أن يكون كما قال رب البرية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يقوم بكل الصالحات بدون استثناء.

ونحن في هذا الزمان ابتلينا في كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام والإيمان، فهم يوقفون الأعمال الصالحة على العبادات الظاهرة، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ونسوا أركان الإسلام التي جاء بها الحبيب المصطفى ﷺ.

فأركان العبادات، قال فيها ﷺ:

{ بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ } [332]

لكن أركان الإسلام عقيدة حقة، وعبادات خالصة لله، ومعاملات حسنة مع خلق الله، وأخلاق كريمة مع جميع عباد الله، فهذه أربع أركان.

---

332 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

ومن أراد أن يكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلا بد أن يجتهد في هؤلاء الأربع، سُـئل النبي ﷺ: أيهما أفضـل عبد يعتزل الخلق ليتفرغ لعبادة الله، أم رجل يخالط الخلق ويصبر على أذاهم؟ فقال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ }[333]

العبـادات المعروفـة بينـك وبين الله، .... ويجمعهـا قول الله جـل في علاه: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (46فصـلت) لو أحييت الليل كله فهل سـنأخذ شـيء منك؟! لا، فهو لك أنت، ولو قرأت القرآن كل يوم مرة، فلمن هذا؟ لك أنت، ولو صـمت طوال العام، فلمن هذا؟ لك أنت، ولو حججت كل عام، فلمن هذا؟ لك أنت، كل هذه الأعمال لك أنت.

لكن أفضـل الأعمال التي يتقرب بها الصـالحون إلى الواحد المتعال العمل المتعدّي إلى الغير، والذي يكون فيه نصيب من الخير للغير.

إذا كان الإنسـان بعمله هذا سيخفف عن فقير مسكين، أو سيجبر خاطر يتيم، أو يعين رجل كبير في السن لا يستطيع الحركة إلا بصعوبة، أو يخفف الحزن عن مسلم مرت بـه ظروف جعلتـه يسـتشـعر الألم والحزن، أو يخفف الوحدة والعزلـة عن المريض، ويؤنسه في مرضه ولو لدقائق أو لحظات ...

هذه هي الأعمال الأرقى في السنن والنوافل التي نتقرب بها إلى الله ﷻ.

---

333 جامع الترمذي وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما

عبادة الصلح بين المتخاصمين

لكننا متفقين أن الفرائض ليس فيها تفريط، وأنا أتكلم عن السنن، فلو أحيا رجل الليل من صلاة العشاء إلى الفجر قائماً بين يدي الله يُصلّي لله، ورجل آخر رأى اثنين متخاصمين فجلس معهما بعد صلاة العشاء يحاول أن يصلحهما، فأيهما أعلى في الأجر والثواب؟! لن نقرر نحن، لكن الذي يقرر الذي لا ينطق عن الهوى، قال ﷺ:

{ أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ }[334]

ويقصد النبي في الحديث السنن والنوافل وليس الفرائض، لأن الفرائض ليس فيها نقاش، فالأفضل من هذه السنن أن أجد اثنين بينهما شحناء وأزيل هذه الشحناء وأردهما للمودة والنقاء والأُخُوة والصفاء.

هذا العمل أفضل من قيام ليلة إن كان في الصلاة، أو في تلاوة القرآن، أو في ذكر الأسماء، أو في أي عمل من الأعمال النفلية، فالأفضل من ذلك كله الإصلاح بين المؤمنين والمؤمنات.

334 سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه

الحقيقة أن آباءنا وأجدادنا كانوا على الفطرة النقية، مع أن معظمهم كانوا أميين من ناحية التعليم، لكن قلوبهم كانت مملوءة بالحب والصفاء والنقاء والمودة لكل من حولهم من الخلق، فكان عندما يحدث شيء من الخلاف بين اثنين في شارع، فإن رجال الشارع لا ينامون ويجتمعون ويقولون: لن نرتاح حتى نصلحهما ويبيتا متصالحين ومسرورين وفرحين!.

لا ينتظر أحد منهم أن ينتدبه أحد ليقوم بالصلح، كما يحدث الآن، فلو قلت لأحد: لماذا لم تصلح فلان وفلان؟! فيقول: لم ينتدبني أحد!، ولم يطلبني أحد!، لكن هل تنتظر أن يطلبك أو ينتدبك احد لتُصلح بين مسلم ومسلم؟!! مادمت رأيت خصام بين اثنين أو جماعة، فحقوق الإيمان وحقوق إخوانك المؤمنين التي وفَّقها الرحمن، وأخذها النبي العدنان، تقتضي أنك من نفسك تبذل ما في وسعك، وتستعين بمن معك من أهل النقاء والصفاء لتًصلح بين المتخاصمين.

قد يذهب رجل ليُصلح لكن نيته أن يبين لمن حوله أنه قام بالمهمة، فلن يتم الصلح، متى يتم الصلح حتماً ولا بد؟ إذا نوى نية صادقة أن يُصلح بين هؤلاء، طلباً لمرضاة الله، وابتغاء وجه الله، لا طلباً للعلو في الدنيا ولا حب الظهور، وإنما رغبة في ارضاء الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم.

والله ﷻ وضَّح لنا هذا النظام في آيات القرآن في مواضع من تشريع الرحمن، وقال لنا جميعاً: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ ماذا نفعل يا رب؟ ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ (9الحجرات) ولكن تراعي العدالة، فإياك أن تميل مع فريق على فريق!.

وكلمة (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) تكليف من الله لكل المؤمنين القريبين الذين يستطيعون أن يتقدموا بمبادرة الصلح، ولو تأخر واحد منهم سيأتي يوم القيامة ويؤاخذ ويعاتب من الله ومن حبيب الله ومصطفاه، لماذا تركت إخوانك المؤمنين متخاصمين؟! وكان بإمكانك أن تُصلح بينهم ولم تتدخل!.

هل تريد أن لا تتدخل إلا إذا كان لك شيك سينصرف أو عمل ستُرفع به، أو أجر ستفرح به؟!!، هذا ليس حال المؤمنين، لكنك تتقدم بنفسك وتُصلح إذا كان بين فردين أو جماعتين من المؤمنين.

إذا كان الخلاف بين رجل وزوجته، ونحن جيران لهما، أو معنا في الشارع، أو هو زميل لي في العمل، وهناك صلة بيني وبينه، فهل نتركهم ونشاهد فقط؟!!، مَن الذي يُصلح؟!! البعض يقول: لجنة الصلح في هذا المكان، لكن لجنة الصلح قد يكون معها كثير من الخلافات!، لذلك كل واحد من المسلمين عضو في لجنة الصلح بين المؤمنين، فلا تستصغر نفسك، لأنك لو استعنت بربك فإن الله يحوِّل لك كل عسير إلى يسير، لكن اذهب واستعن بالله، ونفذ مراد الله في كتاب الله جل في علاه.

إذا لم نســـتطع أن نصـــلح بينهما فنعمل كما قال الله: ﴿ فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾ (35النســـاء) واحد من طرفه، وواحد من طرفها، وانظروا للحكمة الإلهية: ﴿ إن يريدا إصلحا يوفق الله بينهما ﴾ (35النساء).

حدث خلاف بين رجل وزوجته في عهد ســـيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فطلب واحد من طرفه وواحد من طرفها، وطلب منهما أن يذهبا ليُصلحا بينهما، فذهبا وعادا ولم يُصلحا بينهما، فقال لهما عمر: نيتكما غير خالصة لله، فأخلصا النية لله وابغيا فعل الخير لله وسـيتم الصـلح إن شــاء الله، وأمرهما بتجديد النية أمامه، فجددا النية وذهبا، ولما عادا قالا: أصلحنا بينهما والحمد لله!!، لأن الله قال ذلك:

﴿ إن يريدا إصلحا يوفق الله بينهما ﴾ (35النساء).

صفات مجتمع المؤمنين

فمشـاكل المسلمين وخصـومات وخلافات المسلمين التي ملأت المجتمع سـببها الحقد والحسـد والكره والبغض، وهذه خصـائص وأمراض لم تكن موجودة في مجتمعات المؤمنين، لأن مجتمعات المؤمنين يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[335]

تريد أن ترى المسلمين تراهم في التواد بينهم، وفي التراحم بينهم، وفي التعاطف بينهم، لكن الصـلاة كل واحد منهم هذا بينه وبين الله، فكلنا نقف بين يدي الله في الصـلاة، لكن هل كلنا في الأجر سـواء؟ لا، فكل واحد منهم على قدر نيته، وهذا لا يؤثر على هذا، لأن كل واحد له أجره وثوابه على قدر نيته عند ربه.

نحن نريد أن نُظهر جمال الإسـلام، ولذلك لا بد أن نأخذ ما ركَّز عليه الحبيب المصـطفى من المحبة والمودة والوئام وغيرها من الصـفات الطيبة بين المسـلمين والمسلمات.

335 صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير ﷺ.

أصحاب رسول الله ﷺ أدركوا ذلك .. والصالحون من بعدهم مشوا على ذلك، والذين نسمع عنهم أنه كان يُصلي في الليلة خمسمائة ركعة، أو يصوم الدهر كله، أو يتلو القرآن كل يوم وليلة، وغير ذلك، فهؤلاء اسمهم العُبَّاد، ولا شأن لنا بهم، لكن الصالحين غير ذلك، فالصالحون على نهج الأولين.

تهجُّد أبى بكر وعمر

سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما كم ركعة كان يصليها أحدهما في الليلة لله؟! كيف كان تهجدهما لنمشي عليه ونكون من الصديقين؟! كان أحدهما يبحث في المدينة ليرى المنقطعين من أمة محمد ﷺ، وهم الذين لا زائر لهم، ولا جليس لهم، ولا أنيس لهم، وما أكثرهم في هذا الزمان، فتجد الرجل وقد تزوج أولاده بعيداً عنه، وانشغل كل واحد منهم بنفسه عنه، فأصبح وحيداً، وكذلك إن كانت امرأة، فنفس الأمر.

فكانوا يبحثون عن مثل هؤلاء، ماذا يفعلون لهم؟ يُقدمون لهم الخدمة الواجبة لوجه الله ﷻ، فلا يقضون الليل بين جدران مسجد رسول الله!!، ولكن يأخذون الليل في شوارع المدينة يتحسسون ويبحثون عن المستضعفين من عباد الله.

سيدنا عمر كان يبحث فوجد امرأة مقعدة وليس معها أحد، وكلما ذهب قبل الفجر حتى لا يراه أحد - لأنه يريد العمل خالصــاً لله، - فيجد البيت مكنوس ومرشــوش، وعندها الماء والطعام، وتكرر الأمر أكثر من مرة، فســألها: من الذي يفعل لك ذلك؟ فقالت له: رجل، فقال: من هو؟ قالت: لا أعرفه، لم يُعرِّفها بنفســه لأنه يُعرِّف الخالق ﷻ!.

فنوى أن يذهب مبكراً ويختبأ ليرى من هذا الرجل، فوجده ســيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه، يأتي كل ليلة ليقوم بهذا العمل.

وسيدنا عمر جمع المسلمين على صلاة القيام في رمضان، وأمر سيدنا أُبي بن كعب أن يُصــلي بهم صــلاة القيام، وكان يتركهم في صــلاة القيام ويذهب يبحث في طرقات المدينة عن المساكين الذين يحتاجون إلى المساعدة والمعاونة.

ذات مرة سمع بكاء أطفال صغار، وهناك موقد نار وعليه إناء به ماء، وبجواره امرأة، فقال لها: لما لا تُسكتي هؤلاء الصبية؟! ولكن الأطفال لم يسكتوا!، فقال لها: هل هذا الطعام أمامه وقت كثير ليستوي؟ فقالت له: أي طعام؟!! هذا ماء فقط أوهمهم به حتى يناموا!!، فأســرع وكان معه ســيدنا عبد الرحمن بن عوف، إلى بيت مال المســلمين، فالآخرون يصــلون التراويح لكن كانت تراويحه في قضـــاء حاجات المسلمين.

ففتح بيت المال وأخرج جوالاً من الدقيق وسمناً، وحمله على ظهره، فقال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف: أحمله عنك يا أمير المؤمنين، فقال له: أتحمل عني أوزاري يوم القيامة؟!! وأخذ الدقيق والسمن وذهب لهذه المرأة، وقال لها ضعي الدقيق على السمن واصنعي لهم ما يسمى بالعصيدة.

وقال لها: أنت ستسوي الطعام، وأنا أنفخ لك على النار، فاختار المهنة الشاقة!!، وخرج الدخان فاسوَّد وجهه وشعر لحيته، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين دعني أفعل مكانك، فيقول له: أتحمل عني أوزاري يوم القيامة؟!!.

فهذه عبادة سيدنا عمر ﷺ وأرضاه.

وفي يوم آخر وجد رجلاً قادماً من البادية ونصب خيمة أقام فيها، وزوجته تتألم، فسأله عن سبب ألمها؟ فقال له: إنها في حالة ولادة، وليس معها أحد، فأسرع إلى بيته، وأخذ زوجته السيدة أم كلثوم بنت الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه، وحمل معه ما يلزم المولود وأم المولود من طعام وكسوة، وأدخل زوجته الخيمة لتُشرف على وضع المرأة، وكانت النساء في ذاك الزمان وإلى عهد قريب يُلهمهم الله ـ لصفاء نياتهم وصدق إراداتهم ـ عملية الولادة بدون تعليم طبيب ولا أخذ دواء، وكانت تتم بيسر وتيسير غريب وعجيب!!.

وهذا الرجل كان لا يعرف سيدنا عمر، وبعد أن أنهت زوجة سيدنا عمر الولادة، قالت: يا أمير المؤمنين بشِّر صاحبك بغلام، فبُهت الرجل لمَّا عرف أنه أمير المؤمنين، وقال: أمير المؤمنين وزوجته جاءا ليُولِّدا زوجتي!!.

هذه كانت أعمال الصحابة المباركين الأولين رضوان الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، ومشى على هذا المنهاج كل الصالحين إلى يومنا هذا، وإلى يوم الدين.

سيدنا علي زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ وأرضاه كان من الوجهاء والأغنياء، فكان يملك بساتين ومزارع، ولديه أولاد وخدم، وعنده كل ما عند الأغنياء في زمانه، وعندما حضرته الوفاة وأرادوا أن يُغسلوه وجدوا في ظهره من أعلى شيء مثل الكالُّوا الكبير، كأنه كان يشتغل عتَّال (شيال أو حمَّال) فتعجبوا.

وبعد مرور مدة من الزمن وجدوا أن ثلاثين بيتاً في المدينة انكشفت أحوالهم ولم يعودوا يجدوا القوت الضروري لهم، فسألوهم: كيف كنتم تعيشون؟ قالوا: كان يأتينا رجل بالليل كل شهر يحمل جوالاً من الدقيق على ظهره، وصرة مال في يده، ووعاء فيه سمن في يده الأخرى، ويطرق الباب، وعندما نقول: من الطارق؟ يضع ما معه ويمشي حتى لا نراه، فعرفوا أن الذي كان يعولهم هو سيدنا علي زين العابدين.

وهناك رواية تقول أنهم كانوا سبعين بيتاً من بيوت المدينة، بدون أن يعرف أحد أنه هو الذي يعولهم، وعنده الخدم، ولكنه لا يريد أن يعرفهم، وعنده أولاده، ولكنه لا يريد أن يخبرهم، لأنه سمع الحبيب ﷺ يقول:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ كَفَضْلِ صَلاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاةِ النَّهَارِ }و فى الأثر: (وصدقة السر أفضل من سبعين صدقة في العلانية). [336]

ولو تتبعنا سير الصالحين أجمعين نجدهم على هذا النهج المبارك، ووصلوا بذلك إلى فضل ورضوان رب العالمين ﷻ، ولذلك كنا نرى أناس من كبار القوم، وقد يكون في منصب كبير، ولكن تجده يوم الجمعة ويحمل على ظهره قربة ماء كبيرة، ويذهب بها في مسجد الإمام الحسين، أو مسجد السيدة زينب، أو في الموالد ويسقي الناس!!، لماذا؟

طلباً لمرضاة الله تبارك وتعالى.

فالعمل الصالح الذي نتقرب به حقاً إلى الله هو العمل الذي يتعلق بخلق الله، وينتفع به غيرك من عباد الله، قال ﷺ:

{ خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ } [337]

خير الناس عند الله أنفعهم لعباده، وليس لنفسه، لأنه يعمل هذه الأعمال يطلب بها مرضاة الله ﷻ، وليس فيها شهوة نفس، ولا رياء، ولا سمعة، ولا حب ظهور.

---

336 الحديث فى معجم الطبراني عن ابن مسعود ﷺ، والأثر فى الدرة الخريدة فى شرح الياقوتة الفريدة لمحمد فتحا
بن عبد الواحد السوسى:
337 مسند الشهاب والطبراني عن جابر ﷺ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾ يعني خير المخلوقات كلها، فهم أفضل عند الله من الملائكة، لأن الملائكة ليس فيهم شهوة، ولا نفس، وهؤلاء مع الشهوة والنفس تغلَّبوا عليهم، وعملوا ما لم تصنعه الملائكة المقربين في الطاعة التي يُرضون بها رب العالمين ﷻ.

ولذلك عندما ننظر في القرآن، هل نحن الذين نزور الملائكة، أم هم؟ هم الذين سيزورونا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ لم يقل تنزل، ولكن (تتنزل) يعني باستمرار: ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (فصلت) يعني نحن خدمكم في الحياة الدنيا والآخرة.

مَن الذي سيخدم الآخر في الجنة؟ هل نحن أم الملائكة؟! الملائكة: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝٢٤ ﴾ (الرعد).

فالإنسان الذي مشى على منهج النبي العدنان، وعلى منهج الخلفاء الراشدين، وعلى منهج الصالحين الهادين المهديين، فهو أعلى قدراً عند الله تعالى من الملائكة أجمعين.

حتى في ليلة القدر، فإن أمين الوحي جبريل ينزل ومعه جماعة من الملائكة، ويعطي لهم خطوط سير، فيذهب كل واحد منهم لرجل من المؤمنين، أو لثلة من المؤمنين، يُبشِّره بفضل الله، ويبلِّغه السلام من الله تبارك وتعالى، حتى نعرف أن هؤلاء أفضل البرية، يعني أفضل الخليقة قدراً ومقاماً وأجراً وثواباً عند من يقول للشيء كن فيكون.

جنات عدن

هؤلاء ما جزاؤهم؟

﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ ليس جنة واحدة، ولكن كل واحد منهم له جنات، على حسب مقامه وقدره عند رفيع الدرجات ﷻ.

وكلمة (عدن) يعني إقامة، فجنات عدن يعني جنات يقيم فيها ويديم المقام فيها، لا يخرج منها أبداً ...

هذه الجنات تجري من تحتها الأنهار: ﴿ فِيهَا أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (15محمد) الثمرات التي تخطر على البال، أو حتى التي تلوح في الخيال عنده، لأن الله تبارك وتعالى يريد إكرامهم وتنعيمهم.

هذه الجنة لو سـيمكثوا فيها فترة ثم يخرجوا لن يتهنوا وسـيحزنوا، لكن الله طمأنهم وقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾.

مقام الرضوان

بعد أن يدخلوا هذه الجنات يريد الله أن يرفع قدرهم إلى مقام الرضـوان، فيقول لهم:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا } [338]

338 البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

فينالون مقام الرضوان، والذي قال لنا فيه الله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾

رضي الله عنهم لأنهم امتثلوا لأمر الله، وتابعوا حبيبه ومصطفاه، وكان كل همهم في الدنيا من وراء أعمالهم النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في علاه.

وهم رضوا عنه لأنهم في الدنيا رضوا عن الله في أقداره، فلم يتسخط واحد منهم على قضاء قضاه عليه مولاه، ولذلك المؤمن الحريص على أن يكون من أهل هذه المقامات العالية يحرص جداً على الرضا ... فإياك في يوم من الأيام أن تضحك عليك نفسك وتقول حتى ولو في نفسك: لماذا يارب لا تغير حالي؟! ولماذا لا تُبدل فقري؟! وغير ذلك، لأنك بهذا أنت غير راض عن الله ﷻ.

لكن كونك من أهل الإيمان فانت موقن تمام الإيقان أن الله يختار لك الأفضل والأحسن والأعظم لك في الدنيا ويوم لقاء حضرة الديان ﷻ، وهو يقول لنا في الحديث القدسي لنعي ذلك جيداً:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الْفَقْرُ، وَإِنْ بَسَطْتُ لَهُ أَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الصِّحَّةُ وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلا السَّقَمُ وَلَوْ أَصْحَحْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ }[339]

من العباد لو وسَّع عليه الله لذهب للخمر والمخدرات والنساء، وبذلك سيضيع، ولذلك الفقر له دواء، ومن العباد لو أصححه الله لافترى على عباد الله، ويريد أن يضرب هذا، ويقتل هذا، وبذلك سيضيع، ولذلك المرض له دواء.

وكما ورد في الأثر: (لو اطَّلعتم على الغيب لاخترتم الواقع) ستختار الذي اختاره لك الله ﷻ، لأن الله وهو العليم الحكيم، أعلم بما ينفعنا، وما يرفعنا، وما يضرنا، وما يسبب البلاء الذي لا نطيقه لنا، فنرضى بقضاء الله.

ولكن ليس معنى ذلك أن نترك السعي والأسباب!، لكن نسعى ونأخذ بالأسباب ثم بعد ذلك نتوكل على مسبب الأسباب، ونرضي بما قدَّره الله ﷻ لنا.

339 حلية الأولياء لأبي نعيم وابن عساكر عن أنس ﷺ.

فضيلة الرضا عن الله

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ عدَّ علوم الإيمان، عندما سأله سيدنا جبريل عن الإيمان:

فقد ورد أن سيدنا جبريل جاء إلى رسول الله وهو بين أصحابه في صورة رجل لا يظهر عليه أثر السفر، وجلس أمامه جلسة التشهد ووضع يديه على ركبتيه، وهنا قال البعض أن جبريل وضع يديه على ركبتي النبي، وهذا لا يصح لأن هذا ليس من أدب الملائكة الكرام، ولكنه جلس كجلسة التشهد ووضع يديه على ركبتيه هو، فلا بد أن نأخذ بالنا من الفقه في الأحاديث النبوية.

وسأل حضرة النبي لتتعلم الناس، فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة، فلما سأله عن الإيمان قال له:

{ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ } [340]

الإيمان بالله سهل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾

(38الزمر) وكلنا نؤمن بالملائكة والكتب والرسل والقيامة

340 صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وغير ذلك، لكن الامتحان يظهر في القضـاء والقدر الذي قضـاه علينا صـاحب القوى والقدر تبارك وتعالى.

ولذلك علَّمنا حضرة النبي أن نقول في كل صباح وكل مساء كما أخبر:

{ مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولا، إلا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ } [341]

إذا رضيت يعطيك الحبيب البشرى:

{ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ } [342]

من أغنى الناس في الدنيا كلها؟ أهل الرضـا عن الله، وأهل القناعة بالأرزاق التي تولاهم بها الله جل في علاه: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾.

والصفة الأساسية التي بها التقييم عند العزيز العليم:

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾:

الذي امتلأ قلبه بالخشـية من الله، والخوف من الله، ومراقبة الله ﷻ، ويقينه بأن الله في كل أنفاسه يطلع عليه ويراه.

341 سنن أبي داود ومسند أحمد
342 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﵁

نسـأل الله ﷻ أن يملأ قلوبنا بخشـيته، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل الرضـا عن حضـرته، وأن يرزقنا في الآخرة مقام الرضـوان، وأن يوفقنا لخير الأعمال الصـالحة التي تجعلنا مع النبي العدنان، وأن يشـرح صـدورنا على الدوام، لما يرفع قدرنا عند الملك العلام

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (العصر)

22.الناجون [343]

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي أنار بصائرنا بنور الإيمان بالله، وأثلج صدورنا بسماع كلام الله، وأهَّلنا ظاهراً وباطنا بمنِّه وفضله وجوده لأن نكون موفقين على الدوام للعمل بما يحبه ويرضاه، والصلاة والسلام على إمام كل إمام، وسيد كل سيد، ونبي كل نبي، ورسول كل رسول؛ سيدنا محمد الذي جعله مولاه حجة على الكافرين والجاحدين والمشركين، وحجة لنا يشفع لنا عند ربنا يوم الدين، صلى الله عليه وعلى آله المباركين، وصحابته الصادقين، وكل من مشى على نهجهم وصار على دربهم إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم في الحياة البرزخية والحياة الأخروية وفي جنة النعيم اجمعين.

المقصود بالعصر

هذه السورة القصيرة مع قصر آياتها، وقلة عدد كلماتها فقد قال الإمام الشافعي ﵁ عنها: لو تدبر الناس هذه السورة لاكتفوا بها!

لأنها سورة جامعة، يكفي أن الله ﷻ بدأها بالقسم:

343 الأقصر – إسنا – الحميدات - 3 من جمادي الآخرة 1440هـ 2019/2/8م

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ ﴾:

وهذا القســـم فيه معان لا تعد، وكلها إمداد من الواحد الأحد لمن اصـــطفاهم الله واجتباهم من عباد الله المفسـرين والمئولين الصــادقين، بعضــهم قال: والعصــر يعني عصـر الدنيا كلها، من أول آدم إلى قيام الساعة، وهذا جائز، وبعضـهم قال: والعصـر يعني عصــر النبوة، وهذا أفضــل عصــر كان في هذا الكون من أوله إلى آخره؛ فهو العصر الذي كان فيه حضرة النبي ﷺ، وقال ﷺ مؤيداً لهذا الرأي:

{ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ } [344]

وبعضــهم قال: العصــر هو وقت العصــر في النهار، فالنهار فيه وقت الصــبح، ووقت الظهر، ووقت العصـــر، ووقت العصـــر يبدأ من حين انتهاء وقت الظهر إلى وقت الغروب، والذي فُرض علينا فيه صلاة العصر، واستندوا إلى قول الرسول ﷺ الذي روته السـيدة حفصـــة بنت عمر بن الخطاب رضـــي الله عنهما حينما قرأ ﷺ: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ (238البقرة) وذكر بعدها مفسراً للصلاة الوسطى أنها صلاة العصر.

344 البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وبعضـــهم ذكر أن العصـــر يعني حياتك أنت، فعصـــرك يعني فترة حياتك التي تعيشــها في الحياة الدنيا، وتُكلَّف فيها بأداء ما يحبه الله وما يرضــاه، وما أنزل لك من تشريعات على حبيبه ومصطفاه، وما فصَّله من أعمال وأحوال ينبغي أن تقوم بها في كتاب الله جل في علاه.

معان كثيرة، وأكتفي بما ذكرته، ولا أريد الزيادة عليكم، وكلها تكاد تدور حول مفهوم واحد، أن العصر هو الوقت الذي يُطالب فيه الإنسان بالعمل بالشرائع الإلهية التي أُنزلت على النبي العدنان ارضاءاً لحضرة الرحمن، وطمعاً في دخول الجنان إن شاء الله تبارك وتعالى.

ساق لنا الله في هذه السورة قضية، هذه القضية قال فيها:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ :

أي إنســـان مهما أوتي من أموال، ومهما أوتي من جاه، ومهما كان يملك من مقتنيات وممتلكات في هذه الحياة سيكون خاسر عندما يغادر الدنيا للقاء الله، إلا الذين فيهم الأوصاف الأربعة التي ذكرها الله في هذه السورة المباركة.

أوصاف الفائزين

من الذي يخرج من الدنيا وقد فاز وجاز؟ الذي فيه هذه الأربع صفات، وهذا قد حاز القبول من الله، ونال رضاء حبيب الله ومصطفاه، وينجو من العذاب الذي جهَّزه الله لمن عاداه، ويدخل إلى الجنة ليتمتع بالنعيم الذي يُكرم به الله الصالحين من عباد الله.

ولذلك لا بد أن نأخذ بالنا جيداً ونتحقق بهذه الصفات ..

الأولى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

والثانية: ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

والثالثة: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

والرابعة: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾.

الذي به صفة واحدة من هؤلاء فهناك شكوك حول نجاته علي اليقين يوم لقاء رب العالمين، كما نسمع كثير من المتحزلقين الآن، تقول له: لماذا لا تُصلي يا فلان؟ فيقول: أنا مؤمن، والصلاة ليست كل شيء، ويقول: هناك أناس كثيرة تُصلي ولكنها تسرق وترتشي وتفعل كذا وكذا، ويعدد لك، ليلتمس عذراً لنفسه، لكن هل هذه الأعذار مقبولة عند رب العالمين تبارك وتعالى؟!! لا.

الإيمان والعمل الصالح

كل آيات القرآن التي تتكلم عن الإيمان كما ذكرنا قبل ذلك يعقبها عمل الصالحات:

﴿ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ ﴾:

لأن الإيمان دعوة، والدعوة تحتاج إلى دليل وبرهان، والدليل والبرهان على صدق الإيمان العمل بما يطالب به الله تبارك وتعالى أهل الإيمان.

لكنك تدَّعي الإيمان، وتتكلم دائماً وأبداً وتُثني على أهل الإيمان، وتترك نفسك على هواها تلعب بك وتمرح شرقاً وغرباً، وبعد ذلك تطمع أن يغفر الله لك ويُدخلك الجنة، كيف يكون ذلك؟!! أنت تطمع في محال.

حتى أن الذي سيغفر له الله، فإن شرط المغفرة أن يتوب ويرجع، لكن إذا وقع إنسان في ذنب ولم يتب، ولم يستشعر الندم، ولم يرجع إلى الله، ويسأل الله أن يقيله من هذا الذنب الذي فعله، فهل هذا سيتوب عليه الله ﷻ؟! لا.

شرط التوبة أن الإنسان يشعر بوقع الذنب، ويشعر بالخجل من الله، وبالحياء من مولاه، فيضرع إلى الله، ويتوجه إليه بالألفاظ التي فيها استعطاف لحضرة الله، وفيها سؤال برفق ولين لمولاه، حتى يتوب عليه الله ﷻ.

لذلك لا بد أن يكون مع الإيمان العمل الصالح، وكثير من المسلمين في هذا الزمان والحمد لله ملتزمين بهذه الركنين، لكننا خالفنا الصحابة المباركين في الركنين الأخيرين: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾.

التواصي بالحق

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾:

كثير منا عندما يرى إنسان يعمل عملاً لا يُرضي الله يقول: لا شأن لي، وغيره يقول: لا شأن لي، وآخر يقول: أنا أخاف إن وجهته أن يؤذيني أو يسبني.

لكن سيدنا رسول الله ﷺ علَّم أصحابه المباركين على غير هذا، فهناك أكثر من رواية عن أكثر من صحابي من صحابة حضرة النبي ﷺ، كان كل واحد فيهم يقول: أُخذ علينا العهد من رسول الله ﷺ أن ننصح لكل مسلم.

عندما أرى مسلماً يوم الجمعة مثلاً والأذان يؤذن وسيصعد الخطيب المنبر، وهو جالس في الشارع، أو يقف يتكلم مع فلان، فأقول له:

هيا يا فلان لصلاة الجمعة، وهذا كان نهج السلف الصالح.

إذا لم يخجل مني سينخجل من غيري أو من غيره، لأنه لو نصحه أكثر من واحد فلن يظل مكانه، وسيتحرك، حتى ولو لم يدخل المسجد سيختبيء.

وحضرة النبي ﷺ الشيء الذي كان يحرص عليه على الدوام؛ عدم المجاهرة بمعصية الله، وهذه حدثت في الزمن الذي نحن فيه الآن.

هل كان هناك أحد يستطيع في شهر رمضان أن يُخرج سجائر في أي شارع أو في مواصلات أو في أي مكان ويشربها أمام المؤمنين؟!!

لا، لأن الكل سينهره، وإذا وجد ذلك يستحي.

لكن الآن الكل يقول: لا شأن لي، ويخافون من أذيته، ولن يحدث شيء أبداً لو صدقت النية، وصفيت الطوية، وصممت على أن تعمل العمل الذي يُرضي رب البرية، فيستحيل أن يحدث لك شيء!!

لأنك ســـتكون في حماية الله، وكفاية الله، وحفظ الله، وصـــيانة الله، ويكفيك قول الله:

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (137البقرة).

الطريقة الصحيحة للنصيحة

فنحن كمســـلمين مطالبين جميعاً بأن ننصـــح بعضـــنانحن إخوة في الإيمان، ومقتضى الأُخُوة :

إذا رأيت أخاً لي زلَّ أو خلَّ في عمل من الأعمال أن أنصحه !!

لكن لا تكون النصيحة على الملأ، لأن النصيحة على الملأ فضيحة ..

أو لا تصـل النصـيحة إلى حد التشـنيع، كأن أقول لأحد: فلان عمل كذا، وأذهب لغيره وأقول له: فلان عمل كذا، وأقول للثالث: فلان عمل كذا!!

لكننا مأمورين بستر المؤمنين، قال ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ }[345]

345 سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ.

مأمورين بستر بعضنا، لذلك لا بد أن تكون النصيحة بالطريقة الصحيحة، بيني وبينه، وبلطف، وبالموعظة الحسنة كما أخبر أحكم الحاكمين ﷻ.

والموعظة الحسنة يعني:

- لا أشتمه ولا أجرحه.
- ولكن أبيِّن له خطأه باللطف واللين ..

حتى يرجع إلى رب العالمين ﷻ.

مجتمع المسلمين يظل في الخير أبد الآبدين ما دام رجاله مستمسكين بهذا الأمر .. والمراد عاملين، ولو تخاذلوا عن القيام بهذا الأمر وعن النصيحة سيكون للمستهترين كيان، ويُصبح لهم صوت عال، ويريدو أن ينفذوا ما هم فيه رغم أنف كل الحاضرين، وذلك بسبب نسيان المسلمين التواصي بالحق الذي أمر به سيد الأولين والآخرين ﷺ.

والله ﷻ ضرب لنا مثلاً عظيماً حتى لا نتعاظم النصيحة لأي أحد: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ (1الأحزاب)

وهل النبي غير تقي لله؟! لا، لكن الله يوجِّه له هذا الخطاب حتى لا يستكبر أحد إذا نُصِح بتقوى الله وخشية الله، والخوف من الله، ولذلك سيدنا عمر ﵁ -وانظروا للأصحاب الأتقياء الأنقياء، - أول خطبة خطبها على منبر رسول الله في المدينة بعد تولى الخلافة قال: أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن وجدتم فيَّ خيراً فأعينوني، وإن وجدتم فيَّ اعوجاجاً فقوِّموني.

من الذي يقول؟ الخليفة!!، فقال له أحد الحاضرين: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوَّمناك بسيوفنا!، فلم يحزن، ولم يأمر بحبسه!، ولكن قال: الحمد لله الذي جعل في أمة رسول الله من يُقوِّم عمر بسيفه.

شيء يُفرح أنهم وصلوا إلى هذه الشجاعة الأدبية، والشهامة الإيمانية، والجرأة في قول الحق لأي إنسان.

ولذلك كان يمشي في يوم الأيام هو وبعض صحبه، فإذا بامرأة عجوز تناديه وتقول له: تعالي يا عمر أنا أريدك – لم تقل له خليفة المؤمنين – فقالت له: أنت كنت ترعى الغنم في مكة بقراريط – دراهم – من الأجر وتُدعى عميراً، وأصبحت الآن تُسمَّى أمير المؤمنين، فاتقي الله في الرعية.

الذين كانوا حوله كعادتهم في كل زمان، قالوا لها: كيف تقولين لأمير المؤمنين هذا؟!! فقال لهم: دعوها! هذه التي استمع الله لصوتها من فوق سبع سماوات، فهم لا يعرفونها، لكنها هي المرأة التي قال الله فيها: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (1المجادلة) ونزل البيان فوراً من حضرة الله لها، ثم قال لهم: لا خير فيهم إن لم يقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها!.

إذا كتموا الحق وصمتوا ضاع الحق! وكما ورد في الأثر:

(لعن الله قوماً أضاعوا الحق بينهم)، ...

وإذا لم يقبلها فكما قال عمر ﷺ:

(لا خير فينا إن لم نقبلها)[346]

نحن نحتاج إلى كلمة الحق في كل حياتنا !!

346 قال ابن الجوزي في "مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" وعن الحسن رحمه الله قال : كان بين عمر بن الخطاب ﷺ وبين رجل كلام في شيء ، فقال له الرجل : اتق الله يا أمير المؤمنين ، فقال له رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله، فقال له عمر ﷺ : دعه فليقلها لي نعم ما قال . ثم قال عمر : لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم . اهـهذه القصة أخرجها أبو يوسف القاضي بسنده في كتابه " الخراج ".

فالمشاكل كثرت وزادت عن الحد!

وهذه المشـــاكل تحتاج إلى حل، والذي يقوم بالحل إذا كان الخلاف بين اثنين أو جماعة فهم إخوة، فلا يميل مع أحد منهم، ويعمل بقول رسول الله ﷺ:

{ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا } [347]

وقوله ﷺ: { وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ } [348]

نتائج الاعتراف بالخطأ

نفرض أنك أخطأت في حق إنسان، فعليك أن تقول له: سامحني، وهذه قليلة في هذا الزمان، فالناس تتكبر في الاعتراف بالخطأ ويجادل ويجافي حتى لا يظهر أنه مخطيء، مع أنه لا شـــيء فيها لو أنه طلب من أخيه أن يســـامحه، ويعترف أنه أخطأ في حقه، وتنتهي القضية، وتظل القلوب في صفاء ونقاء على الدوام.

هل فينا أحد محفوظ من الخطأ؟! لا، قال ﷺ:

347 صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر ﷺ
348 الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب ﷺ

{ كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ } [349]

والفضـــيلة أن أعترف بالحق أنني أخطأت، حتى ولو كان مع أقرب الناس إليَّ، وهذا أمر صعب على كثير من الناس، فلو حدث بينه وبين زوجته أمر وهو مخطيء، فهل يقول لها: سـامحيني يا أم فلان فأنا أخطأت؟!! سـيسـتكبر ويسـتعظم أن يقول لها أخطأت، في حين أنك لو اعترفت بخطأك وطلبت منها أن تســـامحك فإن كل الذي بداخلها سيذهب وينتهي، وستزيد المحبة والمودة، لأنها عرفت أنك رجل تعرف الحق وتقوم به ولو كان على نفسك.

قضـــية بين اثنين، وانا أرى أن فلاناً على خطأ، وطُلب مني أن أقول رأيي، فأقول: لا شـأن لي، لأني لو قلت رأيي سـيغضـب فلان مني!!، فمن أين نأتي بشـهود على الحق؟!!

من أين نأتي بأناس يُظهرون الحق؟!!

هل نستورد رجال يُظهرون الحق ونحن أهل دين الحق؟!!

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (33التوبة).

349 سنن ابن ماجة والدارمي عن أنس ﷺ.

فنحن في حاجة في كل مجتمعاتنا على أن نعوِّد أنفســنا على قول الحق ولو كان مراً!

مثلاً: نحن نصاحب بعض في الله، ووجدت أحد الأحباب في الله ورسوله يُفضِّل ولد من أولاده على بقية أولاده بدون ســبب، والآخرين يضـــطهدهم، فلو تركته فأنا شريك في هذا الإثم وهذه الجريمة !!

لكن حق الصداقة والأُخُوة يقتضي أن أنصحه، فأقول له:

يا فلان هذا خطأ، فالهدي الإسلامي:

{ سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ } [350]

ســووا بين أولادكم حتى في القُبلة، فلو قبَّلت واحداً لا بد أن تُقبِّل الآخرين ما داموا معك ويشاهدونك !

ولو كنت تحب واحد منهم أكثر من الآخرين، فلا تُظهر هذه المحبة أمام إخوته الآخرين حتى ينشأوا جميعاً على الحب لبعضهم.

---

350 سنن البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

هذه الأمور أفعال وليست أقوال!

أفعال وأحوال ينبغي أن يعيش فيها أفراد الأُمَّة، لأنه يكفي أن لنا شـــرفاً عظيماً عند الله، أن الله سيجعلنا شهداء وشفعاء على الأنبياء وأممهم.

كيف نشهد على الأنبياء وأممهم إلا إذا كنا عدول؟!!

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (143البقرة)

نحن الذين سنشهد على الأنبياء لأننا العدول الذين لا نميل إلا مع الحق أينما حلَّ وحيثما ذهب، فينبغي أن يكون أمرنا هذا جميعاً.

وأظن أنه لو احتيا بيننا هذا الخُلُق فلن نسـمع عن مشـكلة في بلد من البلاد، ولا عن خلاف بين أخ وأخيه، إن كان في الله أو في العصـــب والنســب، لأن الكل يريد الحق، ولا يريد إلا الحق لينال رضاء الله تبارك وتعالى.

التواصي بالصبر

فلا بد أن نوصـــي بعضـــنا لنتغلب على كل ما في هذا الزمن من فتن، إن كانت فتن الغلاء، أو الأمراض، أو الوبـاء، أو ارتفـاع نفقـات التعليم، أو ارتفـاع تكـاليف الزواج .. كل شـــيء في الدنيا الآن يحتاج إلى جرعة من الصــبر، فبدون الصــبر هل يستطيع أحد أن يعيش؟! سيعيش، لكن قد يُغضب الله تبارك وتعالى.

الذي يعيش بالحلال في هذا الزمن يحتاج إلى الصبر الجميل، فلا بد من:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ :

نوصي بعضنا دائماً بالصبر.

طاعة الله تحتاج إلى الصبر، والبعد عن معاصي الله يحتاج إلى الصبر، والرضا بالقضــاء الذي ينزل علينا من الله يحتاج إلى الصــبر ... فحياة المؤمن كلها تدور حول الصبر، ويكفينا شرفاً وفخراً قول الله تبارك وتعالى لنا:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (10الزمر).

فيجب أن نُصبِّر بعضنا، فلو مرض إنسان وزاد مرضه، نجد البعض يقول أنه يستحق!!، لماذا؟!! هل قال ذلك حضرة الله أو حضرة النبي؟!! لا، حضرة النبي ﷺ يحكي عن رب العزة فيقول:

{ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ، وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي،ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يُسْتَأْنَفُ الْعَمَلَ } [351]

يعني يغفر الله له ما مضى من الذنوب، ويأمره أن يستأنف العمل فيما بقي، فبالله عليكم لو ذكرنا هذا الحديث لرجل مريض بمرض طال ويعاني منه ماذا يحدث له؟ سيفرح ويُسر لأنه عرف أنه سيأخذ أجر عظيم من العظيم سبحانه وتعالى.

الذي سيمرض قبل موته، البعض هداهم الله يقول: إن الله غضبان عليه فأمرضه ساعة موته، والحبيب لم يقل ذلك، بل كما رود بالأثر: (إذا أحب الله عبداً أمرضه قبل موته).

الذي يحبه الله يأتيه ببعض المرض قبل أن يموت، قال ﷺ:

{ مَرَضُ يَوْمٍ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ ثَلاثِينَ سَنَةً } [352]

351 الحاكم في المستدرك واالبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه
352 تاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن عائشة رضي الله عنها

كل يوم يغفر له الله به ذنوب ثلاثين سنة لصبره على هذا الألم، وعلى هذا الداء، وعلى هذا المرض، فلذلك نحن في حاجة إلى معرفة الصــبر جيداً، ونُصــبِّر إخواننا المؤمنين، فمن كان عنده ضيق رزق نُصبِّره نقول له: إن شاء الله سيفتح لك باب:

﴿ يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (212البقرة)

وعندما يفتح هذا الباب سيأتيك خير كثير من عند الله ﷻ!!.

الذي ينتظر من الله أن يوجِد له عمل، نقول له:

عليك أن تسعى وتدعو الله، وما دمت ستسعى وستدعو الله فلا بد أن يأتيك توفيق الله ورعاية الله، وسيأتيك عمل ترضاه، ويُغطِّي كل احتياجاتك وزيادة في هذه الحياة.

فنحن كلنا في حاجة إلى الصبر، لنصبر على هذا الزمان ..

ما الذي يجعل الناس تلجأ إلى المعاصي؟!

عدم الصبر !!

يريد أن يكون رجل غَني في وقت يسير:

- فيعتقد أن الرزق البسيط من الحلال لن يبلِّغه ذلك !
- فيغش! أو يزيد في السعر!
- أو يغير في الصنف! ويدخل في أبواب الغش !!

فتُصـــبح أرزاقه كلها حرام!، وأصـــبحت صـــحائفه كلها ذنوب وآثام، ونُزعت البركة منه على مدى الأيام.

لكن يجب أن نُعلِّمه الصبر الجميل: ﴿

وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (35فصلت).

لذلك حتى يقينا الله من الهلاك والخسارة، ونكون من أهل النجاة والفلاح والنجاح والفوز يوم القيامة نضع هذه الروشتة أمامنا:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

ونعاهد الله على القيام بها كلها مجموعة.

ولذلك كان أصـحاب حضـرة النبي ﷺ كما يُروى عنهم إذا اجتمع نفران منهم لا ينصرفا حتى يقرءا سورة العصر، ويُسلِّما على بعضهما ثم ينصرفا، لماذا؟ ليتعاهدوا على العمل بسورة العصر.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يملأ قلوبنا بتقواه، وأن يملأ جوانح أفئدتنا بحبه وحب حبيبه ومصطفاه، وأن يكشف عنا كل حجاب حتى ننظر بنور الله، وأن يرفع عنا كل غطاء يحجبنا عن النظر إلى وجه حبيبه ومصطفاه، وأن يجعلنا دائماً وأبداً لا نخشى إلا الله، ونقوم بكل عمل بإخلاص قلب ووعي ويقين طمعاً في رضاء الله

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ نبذة: ولد فضيلته في 18 أكتوبر 1948م، الموافق 15 من ذى الحجة 1367هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة 1970م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة 2009م.



۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم 224 ومقرها الرئيسى 114 شارع 105 المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواضيع بالإنجليزية وكذا الكتب.

۞دعـوته: 1- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس،

2- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، 3- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ مساهمات الشيخ الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

ومساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة أو برامج التوك شو التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، وهو يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

و نذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر :

1- خطبة وصلاة الجمعة : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها :*جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[353]، جمع على من مســجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمســجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها.

2-: البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

3- إذاعة القرآن الكريم: أمسـيات دينية كثرة متعددة. خطبة وصــلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة. خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات.

353 الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من عشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيرى بالمقطم .

4- إذاعة وسط الدلتا :* حديث الصباح * الأمسية الدينية.

5- إذاعة الشباب و الرياضة: * برنامج: عصافير الجنة.

6- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج من بيوت الله. * برنامج فى زمرة النبى ﷺ.

7- القناة السادسة: حلقات من برنامج "السيرة العطرة". وبرنامج "آيات محكمات".

8- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من برنامج "لقاءات إيمانية".

9- القناة الثقافية: برنامج "فتاوى على الهواء"

10- إذاعة القاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة.

11- القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

12- قناة القاهرة بالتليفزيون: حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك ولا يزالا مستمرأن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان 2018 برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم.

13- قناة الدلتا التليفزيونية: برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا.

۞ المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و الأندية الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحيى الشيخ عديد المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.كما شارك الشيخ وأحيى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات و دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدار السنين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

✪ قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة

حتى 25مارس 2019م، خمس عشرة سلسلة تحتوى على 112 كتاب

م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	ط	ت
السلسة الأولى : فى تفسير القرآن الكريم : 12				4	نفحات من نور القرآن 1	1	
14	نفحات من نور القرآن 2	1		48	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام	3	
91	الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ	1		93	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	1	
96	تفسير آيات المقربين: ج1	1		102	تفسير آيات المقربين: ج2	1	
103	حكمة لقمان وبر الوالدين	1		105	تفسير آيات المقربين : ج3	1	
108	تفسير آيات المقربين : ج4	1		109	تفسير آيات المناسبات	1	
112	تفسير آيات المقربين : ج5						
السلسلة الثانية : الفقـــــــه: 9				2	زاد الحاج والمعتمر	3	
5	مائدة المسلم بين الدين و العلم	2		52	كيف تكون داعياً على بصيرة	1	
54	مختصر زاد الحاج والمعتمر	2		71	الصيام شريعة وحقيقة	1	
72	إكرام الله للأموات	1		95	صيام الأتقياء	1	
100	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	1		104	سنن الهدى	1	
السلسلة الثالثة : الحقيقة المحمدية: 11				7	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	4	
13	إشراقات الإسراء ج 1	2		22	الكمالات المحمدية	2	
23	الرحمة المهداة	2		33	واجب المسلمين المعاصرين نحوه ﷺ	2	
35	إشراقات الإسراء ج2	1		61	السراج المنير	1	
70	ثانى اثنين	1		85	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	1	
87	تجليات المعراج	1		90	شرف شهر شعبان	1	
السلسلة 4 : من أعلام الصوفية: 7				1	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	2	
3	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	1		41	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	1	
45	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	2		59	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	1	
97	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	1		107	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	1	
السلسلة الخامسة : الدين والحياة: 7				26	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	2	
34	كيف يحبُّك الله	4		39	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	2	
50	قضايا الشباب المعاصر	1		67	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	1	
75	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	1		92	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	1	

السلسلة6: الخطب الإلهامية للمناسبات : 7				16	خطب المولد النبوى	1	
17	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	1		18	خطب شهر شعبان و ليلة الغفران	1	
19	خطب شهر رمضان و عيد الفطر	1		20	الحج و عيد الأضحى	1	
21	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	1		55	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:1	2	

السلسلة السابعة: الخطب الإلهامية العصرية: 1				78	الأشفية النبوية للعصر	1	

السلسلة الثامنة: المرأة المسلمة: 5				9	تربية القرآن لجيل الإيمان	1	
43	المؤمنات القانتات	2		44	فتاوى جامعة للنساء	2	
74	الحب والجنس فى الإسلام.	1		106	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	1	

السلسلة التاسعة : الطريق إلى الله: 12				6	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	2	
25	طريق المحبوبين وأذواقهم	1		28	المجاهدة للصفاء و المشاهدة	2	
30	علامات التوفيق لأهل التحقيق	1		31	رسالة الصالحين	1	
32	مراقى الصالحين	2		57	تحفة المحبين في عاشوراء للقاوقجى (تحقيق)	1	
60	نوافل المقربين	1		64	أحسن القول	1	
79	دعوة الشباب العصرية للإسلام	1		88	مجالس تزكية النفوس ج1	1	
89	مجالس تزكية النفوس 2	1					

السلسة العاشرة: الأذكار والأوراد: 7				8	مفاتح الفرج	6	
15	أذكار الأبرار	1		37	مختصر مفاتح الفرج	5	
38	أذكار الأبرار صغير	3		40	أوراد الأخيار تخريج وشرح	2	
56	نيل التهانى بالورد القرآنى	1		73	جامع الأذكار والأوراد	2	

السلسلة 11: دراسات صوفية معاصرة: 16				10	الصوفية و الحياة المعاصرة	1	
11	الصفاء والأصفياء	1		12	أبواب القرب ومنازل التقريب	1	
29	الصوفية فى القرآن والسنة	3		36	المنهج الصوفى والحياة العصرية	1	
42	الولاية والأولياء	1		49	موازين الصادقين	1	
51	الفتح العرفانى	1		53	النفس وصفها وتزكيتها	1	
58	سياحة العارفين	1		63	منهاج الواصلين	1	
65	نسمات القرب	1		68	العطايا الصمدانية للأصفياء	1	
77	شراب أهل الوصل	1		83	مقامات المقربين	1	
98	آداب المحبين لله	1					

السلسلة الثانية عشر : الفتاوى: 6				24	فتاوى جامعة للشباب	1	
76	فتاوى فورية ج1	1		80	فتاوى فورية ج2	1	
84	فتاوى فورية ج3	1		86	فتاوى فورية ج4	1	
101	يسألونك	1					

السلسلة الثالثة عشر: أسئلة صوفية: 4				27	نور الجواب على أسئلة الشباب	2	
69	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	1		99	إشارات العارفين	1	
111	بينات الصدور						

السلسلة الرابعة عشر: حوارات مع الآخر: 3				81	سؤالات غير المسلمين	1	
82	حوارات الإنسان المعاصر	1		94	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	1	

السلسلة الخامسة عشر: شفاء الصدور: 5				46	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	2	
47	بشائر المؤمن عند الموت	3		62	بشريات المؤمن في الآخرة	1	
66	بشائر الفضل الإلهي	1		110	الدعاء المستجاب	1	

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــرة
مكتبة المجلد العربي	25912524	116 شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	25901518	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	27958215	52 شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	25898029	17 الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	25904175	1 عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	01227475931	2 زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	25915224	11 ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	25900786	130 شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	25902541	22 شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	25108109	1 شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	25104441	9 ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري	23934127	عمارة اللواء 2 شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	23961459	28 شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	33350033	109 شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	25756421	6 ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	24015602	طيبة 2000، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	23910994	9 شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	33449139	6 ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية	01005042797	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	25898253	128 شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	25934882	9 شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	26444699	21شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

		الإســـكندرية
كشك سونا	01224609082	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى	01001232698	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد	01114114300	66 شارع النبى دانيال، محطـة مصر
مكتبة الصياد	03-3928549	4 ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	03-5462539	23 المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	01288343555	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
		الأقـــــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	055-2326020	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	040-3334651	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	040-3323495	طنطا- 9ش سعيد والمعتصم أمام كلية
كشك التحرير	01008935182	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	01002285253	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	01001421469	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	01005731550	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	01224917744	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	01226468090	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	01227960409	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد
أولاد عبدالفتاح السمان	093-2327599	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين

كشك أبو الحسن	01069518616	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	01008698664	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى
كشك حسنى بإسنا	01111491823	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بجميع أنحاء الجمهورية، ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل النسخ المطبوعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com ، أوعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى. أو الناشر:

دار الإيمان والحياة،114 ش105 حدائق المعادي بالقاهرة، ت: 25252140-02، ف: 02-25261618

الفهرست

مقدمة..4

1.تجارة لن تبور...8

أسباب النزول...9

التجارة الرابحة...10

النجاة من العذاب..11

من أسرار البلاء...13

تجديد الإيمان...18

الجهاد الموصِّل...21

الإنفاق...24

طلب العلم...25

أجر المجاهدين...26

النظر إلى وجه الله...28

بشرى النصر..30

الفتح القريب..32

2.رسول الأميين...36

تسبيح الكائنات...37

حكمة إرسال الرسول منا...44

مهمة النبي في أمته.. 46
تلاوة الآيات.. 47
عبادة التفكر.. 48
تزكية النفس.. 51
علوم الكتاب.. 52
البشرى للمؤمنين المعاصرين.. 54
فضل الله.. 56
3.السعي إلى ذكر الله.. 58
الاستعداد لصلاة الجمعة.. 60
السعي إلى ذكر الله.. 61
ابتغاء فضل الله.. 66
العقوق الخفي.. 67
4.المسارعة إلى الصالحات.. 75
جهاد أهل اليمين.. 76
جهاد المقربين.. 77
المداومة على ذكر الله.. 80
الذكر الكثير.. 81
الانشغال بالله عما سواه.. 83
الاستعانة بذكر الله على إتمام الأعمال.. 85

البذل والإنفاق 88
5.أركان الإيمان.. 94
علم البدء وعلم النهاية.. 94
دحض حجج الكافرين.. 98
روشتة النجاة 102
الاقتداء بالنبي في أخلاقه ومعاملاته.. 104
حال المؤمن مع القرآن.. 109
مراقبة الله.. 113
6.الأرزاق الحسان الإلهية.. 119
روضات الجنان.. 119
تقوى الله والخوف منه 122
علامات العقلاء 124
نعم الله الخاصة للمؤمنين.. 127
رسول النور والهداية 129
روشتة دخول الجنة.. 134
الأرزاق الحسنة.. 136
7.التوبة النصوح 140
موقف المؤمن من الذنوب.. 141
التوبة النصوح.. 142

التوبة وحقوق العباد.. 143
قبول التوبة 148
جزاء التائبين.. 150
فضل الله على المؤمنين في الآخرة.. 153
أهل التكريم من الكريم.. 155
8.علامات رضا الله تعالى عن العبد.. 161
علامات رضا الله على العبد.. 161
مراقبة الله.. 162
تذكر الموت والدار الآخرة 163
تجهيز أرض القيامة للحساب.. 166
نفخات الصور.. 167
النشأة الأخرى.. 172
العرض على الله.. 175
9.أهل التكريم في الجنة.. 181
الأشفية القرآنية.. 182
المناعة الإيمانية.. 184
المداومة على الصلاة في وقتها في جماعة.. 186
فضائل صلاة الفجر.. 188
الانفاق 189

محاسن الصدقة.. 191
استشعار يوم القيامة.. 193
الخشية من عذاب الله.. 195
الأمان من الأمراض الجنسية العصرية.. 196
الأمانة ورعاية العهود.. 198
الشهود العدول.. 199
المحافظة على أركان الصلاة وخشوعها.. 201
جنات الاكرام.. 202
10.أهل المعية.. 204
عمل طلاب المقامات العالية.. 205
كيفية قيام الليل.. 210
أعمال أهل المعية.. 213
تيسير الله للمؤمنين.. 219
برنامج المقربين.. 220
11.النعيم والملك الكبير.. 232
نعيم الجنة ونِعم الدنيا.. 232
العين التي لعباد الله.. 236
تفجير العين.. 238
رجال الوفاء.. 240

وجهة المقربين في أعمالهم.. 244

مقام الخشية.. 250

جزاء الصادقين... 253

12.النعيم والملك الكبير (2).. 257

أهل الجنة العالية... 257

النضرة والسرور.. 258

صفة الجنة... 260

نور المؤمنين في الآخرة.. 263

نعيم الجنة.. 266

لباس أهل الجنة.. 273

الشراب الطهور... 276

13.إشارات في سورة الإنسان... 281

شراب الشريعة والحقيقة.. 283

عين القلب... 284

العبودية لله... 285

إشارات الطعام وآكليه.. 287

14.جزاء المحسنين.. 294

مقامات القرب للمؤمنين.. 296

المحسنون.. 298
في ظلال وعيون.. 299
فواكه الجنة... 302
نعيم المحسنين.. 306
حكمة الركوع... 310
15.للمتقين مفازا 315
جنان المؤمن... 316
وصف التقوى... 317
حدائق الجنة.. 318
بين الحور العين والزوجة الصالحة.. 321
مجالس أهل الجنة.. 322
موقف من يوم القيامة... 326
المأذونون بالشفاعة.. 329
اليوم الحق.. 334
جاهزية المؤمن للقاء الله... 335
الاستعداد للقاء الله... 343
أمنيات الكافر يوم القيامة... 346
أهل العزة يوم القيامة... 348

16.الرحيق المختوم.. 355

لحظة تفكر.. 355

سابقة الحسنى.. 357

فضل الله على المؤمنين.. 361

نعيم الأبرار.. 364

لذة طاعة الله.. 366

أصناف الخلائق يوم القيامة 367

جزاء الصابرين.. 369

بركة الله للمؤمنين.. 372

لذة النظر.. 373

التنافس في الخيرات 376

17.الوجوه الناعمة.. 381

صورة وجوه الناس في الآخرة.. 383

نور التجليات الإلهية.. 386

نور الله في الإنسان 387

نور الفراسة 389

أثر المداومة على ذكر الله.. 394

وجهاء الآخرة 395

18.النفس المطمئنة 400

حقيقة الموت.. 403

وصف الموت للمؤمن... 406

مستقر أرواح المؤمنين.. 408

أسرار صلاة الجنازة.. 409

موت النفس... 413

حياة البرزخ... 414

صلاة النبي على الأتقياء.. 418

حال المؤمن عند الموت 419

19.إشارات العارفين في خواتيم سورة الفجر.. 423

الموتة الاختيارية.. 424

المجاهدة للمشاهدة... 425

مراتب النفس.. 426

أهل المنازل العالية في الجنة... 431

20.الأتقى.. 437

الهدى هدى الله 437

هداية الهداة.. 438

الصادق مع الله في غنى في الدارين.. 443

راحة البال.. 446
النار والمؤمن.. 447
صفات الأتقى... 449
اكرام الله للصدِّيق.. 452
21.خير البرية... 456
أفضل الأعمال الصالحة.. 457
عبادة الصلح بين المتخاصمين.. 459
صفات مجتمع المؤمنين... 463
تهجُّد أبى بكر وعمر.. 464
جنات عدن.. 470
مقام الرضوان... 471
فضيلة الرضا عن الله.. 474
22.الناجون.. 478
المقصود بالعصر.. 478
أوصاف الفائزين... 481
الإيمان والعمل الصالح... 482
التواصي بالحق... 483
الطريقة الصحيحة للنصيحة.. 485
نتائج الاعتراف بالخطأ.. 489

التواصي بالصبر.. 493

نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد.................................... 498

۞ قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة 501

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد....................................... 504

الفهرست.. 507

شُكْرٌ وَاجِب.. 518

تمَّ بحمد الله تعالى وهدايته وحسن توفيقه.

.. تحت الطبع للمرّة الأولى ..

1- خصائــــــصُ النبى صلى الله عليه وسلم

2- عبرٌ من حياة الصالحين ﷺ

3- أوصـــاف المريـــــد الصـادق

4- تفســــــير آيـــــــات النـــــــور



شُكْرٌ وَاجِب

يتقدم فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد بخالص الشكر والتحية للسادة الأفاضل أصحاب دار النوبار للطباعة بالعبور، ولكل العاملين بها بجميع الأقسام،على مجهوداتهم الصادقة فى طباعة مؤلفات فضيلته والتى تعدت المائة كتاب على مدار السنين الطوال؛ بكل الإخلاص والإجتهاد، وبغاية الحرص والعناية والتدقيق بكل شؤون الإخراج والطباعة والمراجعة بجميع المراحل، فإلى المزيد من الرقى والتقدم والنجاح والتوفيق ...

فوزى محمد أبوزيد



من مكتبة
تفسير القرآن الكريم
للشيخ فوزى محمد أبوزيد





زوروا موقع الشيخ WWW.Fawzyabuzeid.com



تطلب من دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ المعادى - ت : ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهرة

القائمة الكاملة لمؤلفات الشيخ فوزى محمد أبوزيد بداخل الكتاب
مع قائمة بالمكتبات ودور النشر